

اشتر السيق

في توجيه المعنى الألفاظ الطبيعية
في نهج البلاغة



ISBN 978-9933-582-29-6



9 789933 582296

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٣٠٢٦ لسنة ٢٠١٧م

IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda

مصدر الفهرسة:

رقم التصنيف: BP38.09.T3 S2 2017

المؤلف الشخصي: الصافي، ندى عبد الأمير.

العنوان: أثر السياق في توجيه المعنى لألفاظ الطبيعة في نهج البلاغة/

بيان المسؤولية : تأليف ندى عبد الأمير الصافي.

بيانات الطبعة: الطبعة الأولى.

بيانات النشر كربلاء، العراق، العتبة الحسينية المقدسة - مؤسسة علوم نهج البلاغة. 1438 - 2017م

الوصف المادي: 312 صفحة: جداول

سلسلة النشر: سلسلة الرسائل الجامعية - العراق/ وحدة علوم اللغة العربية.

تبصرة ببليوغرافية: يتضمن هوامش، لائحة المصادر: الصفحات (285 - 304).

مصطلح موضوعي شخصي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، 359 - 406 للهجرة. نهج البلاغة.

مصطلح موضوعي شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، 23 قبل الهجرة - 40 للهجرة - حديث.

مصطلح موضوعي شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، 23 قبل الهجرة - 40 للهجرة - كلمات

قصار.

مصطلح موضوعي شخصي: : علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، 23 قبل الهجرة - 40 للهجرة - نظرية

حول الطبيعة.

مصطلح موضوعي: الاسلام والطبيعة.

مصطلح موضوعي: القرآن والطبيعة.

مصطلح موضوعي: السياق اللغوي.

مصطلح موضوعي: اللغة العربية - ألفاظ.

مدخل اضافي اسم شخص: السيد نبيل قدوري الحسيني مقدم.

مدخل إضافي اسم شخص: شرح العمل/ الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، 359 - 406 للهجرة. نهج البلاغة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

أشرف السيف

فِي تَوْجِيهِهِ الْمَعْنَى لِأَلْفَاظِ الطَّبِيعَةِ
فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

تَأَلَّفُ

مِنْ مَدَى عَبْدِ الْأَمِيرِ الضَّافِي

إصدار
مؤسسة علم نهج البلاغة
في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة
العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

٢٠١٧م - ١٤٣٨هـ



العراق: كربلاء المقدسة - شارع السدرة - مجاور مقام علي الأكبر (عليه السلام)
مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠ - ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الموقع الإلكتروني: www.inahj.org

الإيميل: Inahj.org@gmail.com

تنويه:

إن الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿۷۳﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿۷۴﴾﴾^(۱).

صدق الله العلي العظيم

الإهداء

مولاي يا أمير المؤمنين يا خليفة الرحمن ومنارة الإنسان هذه بضاعتي إليك،
فهلّا قبلت؟

وإلى نور العين الذي عبّر بي الآمال الحاملة، واتسع قلبه ملياً حلمي حين
ضاقّت بي السبل، فذلّل الصعاب من أجلي ليغرس الصفاء في نفسي...
إلى الحالم أن يراني أستاذاً في جامعتي مخططاً مكتبتي محنياً الظهر تاركاً أمراضه
وآلامه وراء ظهره مشجعاً إياي في إكمال رسالتي...

إلى الذي وهبني حياةً طيبةً لأعيش وعلمني أن أسيرَ بطريق الحق ولا أخافُ
في الحق لومة لائم وعلمني أن إنسانيتي طريق خلودها طلب العلم...
إلى الذي كلّمنا ذكرته حنت العين لرؤيته واشتاقنا الروح للجلوس معه؛
لأسمع أجمل ما يحفظ من الشعر يُلقنني صغيرةً، ويحثني عليه كبيرةً، فما زالت
أذناي تسمع صدى صوته على لسان أبي الطيب المتنبّي:

إذا غامرت في شرف مَرومٍ فلا تقنع بما دون النجوم^(١)
إلى الذي فاضت روحه الطاهرة إلى ربّها، فرحل ولم يودّعني وترك في النفس
حسرة وفي القلب لوعة...

إلى الذي كان سبباً في وجود هذي الرسالة وأشهد أن كل ورقة في رسالتي
هي سبب وجودك في حياتي يا أبي.

وإلى من حملتني تسعة أشهر وفارقتني منذ نعومة أظفاري أمي -رحمها الله-.
وإلى من تحمّلوا الصعاب معي ليخرج هذا العمل على ما خرج هو الآن
إخوتي وأخواتي.

أهديكم جهدي المتواضع هذا

(١) شرح ديوان المتنبّي (للعكبري): ٤ / ١١٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدم، من عموم نعم
ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاهاء، والصلاة والسلام على خير
الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فلم يزل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) منهلاً للعلوم من حيث
التأسيس والتبيين ولم يتقصر الأمر على علوم اللغة العربية أو العلوم الإنسانية،
بل وغيرها من العلوم التي تسير بها منظومة الحياة وإن تعددت المعطيات
الفكرية، إلا أن التأصيل مثلما يجري في القرآن الكريم الذي ما فرط الله فيه
من شيء كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١)، كذا نجد
يجري مجراه في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾^(٢)، غاية ما في
الأمر أن أهل الاختصاصات في العلوم كافة حينما يوفقون للنظر في نصوص
الثقلين يجدون ما تخصصوا فيه حاضراً وشاهداً فيهما، أي في القرآن الكريم
وحديث العترة النبوية (عليهم السلام) فيسارعون وقد أخذهم الشوق
لإرشاد العقول إلى تلك السنن والقوانين والقواعد والمفاهيم والدلالات في
القرآن الكريم والعترة النبوية.

(١) الأنعام: ٣٨.

(٢) يس: ١٢.

من هنا ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تتناول تلك الدراسات الجامعية المختصة بعلوم نهج البلاغة وبسيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفكره ضمن سلسلة علمية وفكرية موسومة بـ(سلسلة الرسائل الجامعية) التي يتم عبرها طباعة هذه الرسائل وإصدارها ونشرها في داخل العراق وخارجه، بغية إيصال هذه العلوم الأكاديمية الى الباحثين والدارسين وإعانتهم على تبيين هذا العطاء الفكري والانتهاال من علوم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والسير على هديه وتقديم رؤى علمية جديدة تسهم في إثراء المعرفة وحقوقها المتعددة.

وما هذه الدراسة الجامعية التي بين أيدينا لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها الموسومة بـ(أثر السياق في توجيه المعنى لألفاظ الطبيعة في نهج البلاغة) إلا واحدة من تلك الدراسات التي وفقت صاحبته للغوص في بحر علم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقد أذن لها بالدخول إلى مدينة علم النبوة والتزود منها بغية بيان أثر تلك النصوص العلوية في الإثراء المعرفي والتأصيل العلمي في توظيف السياق للكشف عن المعاني التي تتضمنها ألفاظ الطبيعة التي جاءت في نهج البلاغة مقسمة البحث على وفق أنواع الألفاظ وما دلت عليه من حيوانات ونباتات على اختلاف انواعها.

فجزى الله الباحثة خير الجزاء فقد بذلت جهدها وعلى الله أجرها.

السيد نبيل قدوري الحسني

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين (المعروف من غير رؤية والخالق من غير رؤية الذي لم يزل قائماً دائماً إذ لا سماء ذات أبراج ولا حجب ذات إرتاج ولا ليل داج ولا بحر ساج ولا جبل ذو فجاج ولا فج ذو اعوجاج ولا أرض ذات مهاد ولا خلق ذو اعتماد)^(١)، والصلاة والسلام على المصطفى الأمين وآل بيته الطيبين الطاهرين.

وبعد:

لا بد من تسليط الضوء على التراث القديم، ولا سيما التراث العربي بتصنيفه المختلفة بعد أن شهدت العقلية اللغوية العربية تمييزاً في التصنيف والتبويب، فكيف إذا ما كان المصدر مؤلفاً من عقل عربي يُشار له بالبنان في كل محفل؟! فالحديث لا ينتهي عن نهج البلاغة، بوصفه كتاباً يحمل بين طياته (خطباً، وحكماً، ومواعظ، وأمثالاً، وغيرها)، ولم يكن خافياً على أحد أهمية نهج البلاغة منذ ظهور الدراسات النحوية والبلاغية والدلالية، إذ اهتم الباحثون بتطبيق هذه الدراسات عليه؛ لإدراك معانيه وفهم نصوصه

(١) نهج البلاغة: الخطبة (٩٠) / ١٢٢ - ١٢٣.

وبيانها؛ لقيمتها الفنية والبلاغية، وكونه جزءاً من تراثنا العربي.

ولا أخفي ما داخمني من معرفة لهذا الكتاب، وقد ملكني في قراءته منذ الصغر، حفظت أجزاءً من خطبه وبعض حكمه ومواعظه ليس هذا فحسب؛ بل حاولت جاهدة معرفة معاني بعض الكلمات التي رأيتها غريبة إذ لم يعهدها معجمي الشخصي بعد، وإن قرأت الشعر الجاهلي المتمثل بـ(المعلقات) لأن امتداد سياقها الثقافي والتاريخي مختلف.

يقول الدكتور زكي نجيب محمود عن نهج البلاغة: (ونجول بأنظارنا في هذه المختارات من أقوال الإمام عليّ، التي اختارها الشريف الرضي «٩٧٠م - ١٠١٦») «ت ٤٠٦هـ» وأطلق عليها «نهج البلاغة»، لنقف ذاهلين أمام روعة العبارة وعمق المعنى؛ فإذا حاولنا أن نصنف هذه الأقوال تحت رءوس^(١) عامة تجمعها، وجدناها تدور - في الأغلب - حول موضوعات رئيسية ثلاثة، هي نفسها الموضوعات الرئيسة التي تترد إليها محاولات الفلاسفة قديمهم وحديثهم على السواء، ألا وهي: الله، والعالم والإنسان؛ واذن فالرجل - وإن لم يتعمدها - فيلسوف ببادته، وإن خالف الفلاسفة في أن هؤلاء قد غلب عليهم أن يقيموا أفكارهم نسقاً على صورة مبدأ ونتائج، وأما هو فقد نشر القول نثراً في دواعيه وظروفه^(٢).

وقد استطعتُ النفاذ إلى بعض جزئيات هذا العالم بدراسة ألفاظ الطبيعة:

(١) حسب ما جاء في قرارات مجمع اللغة العربية (١٩٧٨ - ١٩٧٩) في القاهرة/ الدورة السادسة والأربعين: في كتابة الهمزة على السطر لتوالي الأمثال في الخط (الألف والياء) مثل: (رءوس) ينظر: مشكلة الهمزة العربية: الدكتور رمضان عبد التواب: ١١٤ - ١١٥.

(٢) المعقول واللامعقول في التراث العربي: د. زكي نجيب محمود: ٣٠.

(الحيوان، النبات، الأرض، السماء) وما يتصل بها، وقد طلبتُ من أستاذي المشرف إيجاد نوع من الدراسات الحديثة غير مطروقة من قبل بالنسبة لألفاظ الطبيعة؛ فاقترح عليّ الدراسة السياقية التي لم أكن مطلعاً عليها في سني دراستي إلا بالنزير اليسير منها، فكنتُ جالسةً في رحاب الكتب، قارئةً بتمعنٍ حول ماهية السياق؟ وعناصره؟ وأنواعه؟ ووروده في كتب التراث، أو في الدراسات الغربية: الهندية والاوربية وحول ما يعرف بـ(نظرية السياق) عند فيرث، فجاءت هذه الدراسة لبيان إحياءات النص ومدى تأثير ذلك بنظرة شمولية حول ما يقدمه السياق.

وبعد الرحلة الطويلة في البحث وجدتُ أن الدراسات السياقية قد نحت منحنيين وبحسب ما توافر لي من المراجع:

المنحى الأول: الذي يُعدُّ من أهم الصعوبات التي واجهتني، إذ أخذ الدارسون فيه الجانب النظري من السياق أكثر من الجانب التطبيقي؛ هذا إن دلَّ على شيء فإنه يدلُّ على أن الناظر للدراسات السياقية يرى أنه أمام دراسة صوتية أو نحوية أو صرفية أو دلالية لا سياقية؛ لأن التطبيق السياقي لأي نص من النصوص مختلف ومتنوعٌ يشمل جميع الجوانب، ولا يخضع لقاعدة معينة في دراسة النص أي بحسب مقتضى المقام؛ فمثلاً: قولنا: نال زيد درجة عالية. فيعرف السياق المقصود من القول بحسب: بيان اللغة الداخلية للنص، وزمنية الفعل ودلالته، ودلالة الفاعل في معرفة زيد من هو؟ فزيد ربما يكون طالباً وربما يكون شهيداً، والنتيجة التي حصل عليها بفعل القول. هذا من جانب، ومن جانب آخر يتمُّ الإحاطة بظروف المخاطب؛ وحال المتكلم، ومناسبة القول، والزمان والمكان إلى آخره.

المنحى الثاني: انصبأُ الدارسين حولَ نظرية السِّيَاق وإعطاؤها حجماً أكبرَ مما ينبغي دون إخضاعها للمجهرِ وذلك بتحليلها؛ فضلاً عن عدم البحث فيما إذا كان لها جذور وتطابق في العربية أم لا؟

أما منهج البحث، فقد بدأ بتمهيد موجز عن السِّيَاق، اتبعته بباين:

الباب الأول: الطبيعة الحيّة، وقسمتهُ على فصلين: تناولتُ في الفصل الأول: الحيوان: قسمتهُ على ثلاثة مباحث: الحيوان المفترس، والحيوان الأليف، والطيور والحشرات؛ والفصل الثاني النبات: قسمته على ثلاثة مباحث أيضاً: الأشجار، والنباتات، والأزهار.

الباب الثاني: الطبيعة غير الحيّة، قسمتهُ على فصلين: تناولت في الفصل الأول: الأرض: قسمتهُ على أربعة مباحث: الأول: التراب، والصخور، والحجارة، وما يتصلُّ بها والثاني: السهل والوادي والطريق وما يتصلُّ بها والثالث: الجبال، والصحراء وما يتصلُّ بها والرابع: البحار وما يتصلُّ بها؛ والفصل الثاني: السماء: قسمتهُ على ثلاثة مباحث: الأول: السماء والنجوم وما يتصلُّ بها، والثاني: الأمطار والأهوية وما يتصلُّ بها، والثالث: الظلمة والنور وما يتصلُّ بها.

اتبعت ذلك بخاتمة عرضت فيها النتائج التي توصلت إليها، التي منها التحليل السياقي ليكون منهجاً متبعاً في الدراسات للكتب التراثية، والمقصود بالطبيعة في هذا البحث: مظاهر الكون والحياة والأرض وما عليها من أحياء عدا الإنسان.

إنَّ عدمَ ذكرِ الإنسانِ في الرِّسالةِ لم يكنْ محضَ صدفةٍ، فالكثير من

الرسائل التي اختصت بدراسة ألفاظ الطبيعة لم تتناول الإنسان، ولعل من بين الأسباب يرجع إلى ما ذكره الدكتور كاصد الزيدي في كتابه (الطبيعة في القرآن) قال: (والمقصود بالطبيعة الحية: ما اشتملت عليه من مختلف الحيوان والطير، ولا يدخل في ذلك الإنسان بالطبع)^(١).

ويتضح مما تقدم إنه لم يحط بجميع ألفاظ الطبيعة في ضوء الدراسة السياقية، ورُبَّ سائل يسأل عن السبب؟ إن معنى الكلمة في المعجم لا يمكن أن يفهم إلا بوضعها في سياقات متعددة ومختلفة، وربما احتملت أكثر من معنى في المعجم إلا إنها في السياق لم تحمل سوى معنى واحداً؛ لذا سلط الضوء على الألفاظ التي تحمل أو تحمل أكثر من معنى أو على معنى واحد لا يفهم اختياره للنص إلا من السياق. إذ إن السياق هو الذي يحدد معنى الكلمة في النص كما يحدد سبب اختيارها من دون سواها بمعرفة المعنى لها، وقد أشرت إلى الألفاظ بعد إحصائها في مكان ورودها في نص نهج البلاغة، مع مراعاة عدم السعة واختيار الأنسب فالأنسب، وقد اعتمدت على ترتيب الألفاظ ترتيباً ألفبائياً، والمنهج الذي سرت عليه هو المنهج السياقي كأحد المناهج التي تقوم على دراسة المعنى؛ تناولت فيه الجانبين اللغوي والدلالي لسياق الكلمة، ومن ثم التحليلي حيث تُردُّ اللفظة إلى أصولها المعجمية، ويذكر معناها في المعاجم العربية القديمة منها والحديثة، ومن ثم استقرارها في النص بمعرفة ما يجاورها من ألفاظ وتحليلها إن تطلب الأمر؛ فضلاً عن ذكر مناسبة القول والعنوان والمغزى للتوصل إلى المعنى الذي ظهرت عليه الكلمة بدلالته الحقيقية أو المجازية، فكان تحليل الكلمة في إطارها المجازي

(١) الطبيعة في القرآن الكريم: كاصد الزيدي: ٩.

هو المنهج المتبع ضمن التحليل السِّيَاقِي.

اعتمدتُ على معاجم لغوية كان الأكثر استعمالاً منها: معجم كتاب العين للخليل ت (١٧٥هـ) ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ت (٣٩٥هـ) ومعجم لسان العرب لابن منظور ت (٧١١هـ).

أمّا الشروح فقد اعتمدت على: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): لعز الدين أبي حامد ابن أبي الحديد ت (٦٥٦هـ). ويُعدُّ من أطول الشروح القديمة كان لورود الحوادث وذكر الحقب التاريخية فيه فضلاً عن القضايا اللغوية والبلاغية أداة نافعة لكشف دلالة السياق، وشرح نهج البلاغة: ميثم بن علي بن ميثم البحراني ت (٦٨٩هـ) وذلك لأن هنالك ملامح للمنهج السِّيَاقِي جاءت متساوقةً ومنهجية البحث في التحليل السِّيَاقِي؛ فضلاً عن المصادر والمراجع الأخرى: السِّيَاقِيَّة والصرفية والنحوية والدلالية والبلاغية والأدبية.

إن أغلب الدراسات التي تناولت نهج البلاغة كانت تقوم على توضيح أساليب اللغة، ودراسة لبعض جوانبه البلاغية؛ لذا لم أجد ضمن الدراسات السابقة سوى رسالة (ألفاظ الفلك والهيئة في نهج البلاغة: دراسة دلالية معجمية) لـ(إيمان الشوبكي) اتخذت فيه جانب التوافق والتناقض والترابطية بين ألفاظ الفلك وهو منهج مختلف عما جاء به البحث، وهنالك بحث لأستاذي المشرف بعنوان (الحقول الدلالية لأسماء الحيوان في نهج البلاغة) افدت منه كثيراً، وبحتم. كريمة نوماس المدني الموسوم بـ(ألفاظ النبات في نهج البلاغة دراسة في المعجم والدلالة).

ومن مشكلات البحث قلة المصادر والمراجع النوعية لأن أغلب الدراسات السياقية كانت نظرية لا تطبيقية إلا ما ندر، ولم تكن هنالك دراسات سابقة للموضوع استطيع أن أقف عليها مما اضطرني إلى البحث في مضان الكتب المتنوعة: صرفاً ونحواً وبلاغة وأدباً ودلالة لاعتقادي أنّ كل هذه الدراسات وغيرها تصب في جانبي السياق اللغوي والسياق غير اللغوي (الحال) الأمر الذي تطلب مني جهداً مضاعفاً؛ وذلك لسعة البحث مع قلة الوقت المحدد له.

فما للإنسان إلا ما سعى وما التوفيق إلا من عند الله.

الباحثة



التمهيد



التمهيد

السياق

مفهومه - عناصره - أنواعه - نشأة الدراسات السياقية وتطورها..

السياق لغة

دلّت لفظة السِّياقِ في المعجم العربي على (الزراع) أي الاحتضار، فقد ذكر صاحب معجم العين (ت ١٧٥هـ) في مادة (سوق): (سُقْتَهُ سَوْقًا، ورأيتُه يسوقُ سِياقًا أي ينزع نزعاً يعني الموت... والأساقَةُ: سَيْرُ الرِّكاب للسرُّوج)^(١).

يقول الإمام علي عليه السلام من خطبة له وتشتمل على قدم الخالق وعظم مخلوقاته، ويختمها بالوعظ: «عِبَادَ اللَّهِ، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا، وَحَاسِبُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَتَنْفَسُوا قَبْلَ ضَيْقِ الْحِنَاقِ، وَانْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّياقِ...»^(٢).

ويقول السَّجَّاد علي بن الحسين عليه السلام في دعائه عند ختمه القرآن:

(١) كتاب العين: الفراهيدي: (سوق): ٥ / ١٩٠ - ١٩١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة (٩٠) / ١٢٣.

«وهون بالقرآن عند الموت على أنفسنا كرب السياق، وجهد الأئين، وترادف الحشارج، إذا بلغت النفوس التراقي...»^(١).

وأصل السِّيَاقِ سِوَاقٌ فَقَلِبْتَ الْوَاوِيَاءَ، مِمَّا ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ^(٢) (ت ٦٠٦ هـ):
 («س») وفيه دخل سعيد على عثمان وهو في السُّوقِ «أي في النَّزْعِ كَأَنَّ رُوحَهُ
 تُسَاقُ لِتَخْرُجَ مِنْ بَدَنِهِ. وَيُقَالُ لَهُ السِّيَاقُ أَيْضًا وَأَصْلُهُ سِوَاقٌ، فَقَلِبْتَ الْوَاوِيَاءَ،
 لِكَسْرَةِ السَّيْنِ، وَهِيَ مَصْدَرَانِ مِنْ سَاقٍ يَسُوقُ^(٣)، وَ(السَّيْنِ وَالْوَاوِيَاءِ)
 وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ حَدُّ الشَّيْءِ. يُقَالُ سَاقَهُ يَسُوقُهُ سِوَاقًا^(٤).

ومن ثم، فقد دلَّت على (المهر)، فقد قال الأزهري (ت ٣٧٠ هـ): (قال
 الليث: السُّوقُ معروف، يقول سُقْنَاهُمْ سِوَقًا... وَسَاقٌ فَلَانٍ مِنْ امْرَأَتِهِ، أَيْ
 أَعْطَاهَا مَهْرَهَا، وَسَاقٌ مَهْرَهَا سِيقًا وَالسِّيَاقُ: الْمَهْرُ. وَسَاقٌ إِلَيْهَا الصَّدَاقُ
 وَالْمَهْرَ سِيقًا وَأَسَاقَهُ وَإِنْ كَانَ دِرَاهِمًا أَوْ دِنَانِيرًا لِأَنَّ أَصْلَ الصَّدَاقِ عِنْدَ الْعَرَبِ
 الْإِبْلُ وَهِيَ الَّتِي تُسَاقُ فَاسْتَعْمَلَ ذَلِكَ فِي الدَّرْهِمِ وَالدينار وغيرهما...)^(٥).

كما دلَّت لفظة السياق على (التتابع)، قال الأزهري: (تساوقت الإبل

(١) الصحيفة السَّجَّادِيَّة: الإمام زين العابدين (ع): ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) ابن الأثير: أبو السعادات المبارك محمد بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم
 بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب بمجد الدين. ولد في
 أحد الربيعين سنة خمس مئة وأربع وأربعين. من مؤلفاته: (جامع الأصول في أحاديث
 الرسول) جمع فيه بين الصحاح الستة، وكتاب (النهاية في غريب الحديث والأثر) في
 خمس مجلدات، وكتاب (الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف) في تفسير القرآن
 الكريم وغيرها... ينظر وفيات الأعيان: ابن خلكان: ١٤١ / ٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٢ / ٤٢٤.

(٤) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس: (سوق): ٣ / ١١٧.

(٥) تهذيب اللغة: الأزهري: (ساق): ٩ / ٢٣١ - ٢٣٢.

تساوقاً، إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة... ابن السكيت يقال: ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة، أي بعضهم على أثر بعض ليس فيهم جارية وقوله: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسَاقُ﴾^(١) أي السوق^(٢). وقال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في دلالة السياق على الكلام مجازاً: (ومن المجاز: ساق الله إليه خيراً. وساق إليها المهر. وساق الریح السحاب... وتساوقت الإبل: تتابعت. وهو يسوق الحديث أحسن سياق، و«إليك يساق الحديث» وهذا الكلام مساقاة إلى كذا، وجئتك بالحديث على ساقه: على سرده...)^(٣).

ثم قال ابن منظور (ت ٧١١هـ) أيضاً: (السَّوْقُ معروف ساق الإبل وغيرها يسوقها سَوْقاً وسِيقاً... وقد انسَقت وتساوقت الإبلُ تساوقاً إذا تتابعت... وفي حديث أم معبد فجاء زوجها يسوق أعنزاً ما تساوق أي ما تتابعُ والمساوقة المتابعة)^(٤)، (وسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه)^(٥).

والسِّيَاق هو عبارة عن (أصوات أو كلمات أو عبارات تسبق وتتبع مفردة أو هي عنصر لغوي في لفظة أو معنى. وتتأثر أصوات الكلام غالباً بالأصوات المجاورة لها وكذلك البيئة اللغوية المحيطة بها.

(١) القيامة: ٣٠.

(٢) تهذيب اللغة: (ساق): ٩ / ٢٣٤.

(٣) أساس البلاغة: الزمخشري: ٢٥٥.

(٤) لسان العرب: ابن منظور: (سوق)، ١٠ / ١٦٦.

(٥) المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون: ١ / ٩٦٥ - ٩٦٧.

علاقة سمات العالم الخارجي بمعنى اللفظة أو النص تُعد مفاهيم النص أو الحالة للمحور المركزي من فروع علم الدلالة جميعاً لكون جميع الرموز الكتابية والفعلية تمثل العالم المحيط بالمتحدث^(١).

وورد في المعجم الفلسفي (السياق في الفرنسية Contexte وفي الانجليزية context و سياق الكلام أسلوبه ومجراه، تقول: وقعت هذه العبارة في سياق الكلام، أي جاءت متفقة مع مجمل النص... و سياق processus الحوادث مجراها وتسلسلها وارتباط بعضها ببعض، فإذا جاء الحادث متفقاً مع الظروف المحيطة به كان واقعا في سياقها، وإذا جاء مخالفاً، وجب البحث عن علة هذا الخلاف تقول: سياق المرض و سياق الظواهر النفسية أو الاجتماعية)^(٢).

مما تقدّم ذكره يندرج السياق في اللغة تحت معانٍ عدة منها: النزاع للروح وخروجها من الجسد، و سياق المهر، وولادة فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة، وسير الإبل وتتابعها، ومن ثم سياق الكلام وأسلوبه ومجراه، فإنّ جميع ما ورد من معانٍ للسياق أعطى دلالة واضحة بأنّ السياق في اللغة قد دلّ على صفات مشتركة وهي: التتابع والتواصل والاستمرار والانتظام داخل إطار السياق قبل أن يدل على مفهومه الخاص في سياق الكلام في الوقت الحاضر.

(١) معجم اللغة واللسانيات: هارتمان وستورك: ١٠٧.

(٢) المعجم الفلسفي: د. إبراهيم صليبيا: ١ / ٦٨١.

السِّيَاق اصطلاحاً

لعلّ الذي يريد استجلاء التعريفات الاصطلاحية الخاصة بالسياق، يلاحظ أنّها تنوّعت وتغيّرت بحسب الغرض المراد منها وبحسب وروده، فقد جاء السياق عند السجلماسي^(١): (ربط القول بغرض مقصود على القصد الأول)^(٢)، أي جعل السياق رابطاً يربط اللفظ (القول) الذي يدلّ على معنى (غرض مقصود) مع القصد الأول من القول أو الكلام.

وقيل بأنّه: (دراسة الكلمة داخل التركيب أو التشكيل الذي ترد فيه، ولا يظهر معنى الكلمة الحقيقي، أو لا تتحد دلالتها إلا من خلال السياق بضروبه المختلفة)^(٣).

وقيل أيضاً بأنّه: (تلك الأجزاء التي تسبق النص أو تليه مباشرة ويتحدد من خلال المعنى المقصود)^(٤). أو (تلك الأجزاء من الخطاب التي تحف بالكلمة في المقطع وتساعد في الكشف عن معناها)^(٥)، وقد عرّفه ستيفن أولمان: (النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم)^(٦).

(١) ابو محمد القاسم بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري السجلماسي الأندلسي، ولد ونشأ في سجلماسة، ورحل إلى فاس فأخذ من علمائها ودرّس في القرويين صنّف كتابه: المنزح البديع في تجنيس أساليب البديع أملاه سنة ٧٠٤هـ... ينظر الأعلام: للزركلي: ١٨١ / ٥ ومقدمة التحقيق لكتابه: ٤٦.

(٢) المنزح البديع في تجنيس اساليب البديع: السجلماسي: ١١٨ - ١١٩.

(٣) علم الدلالة دراسة وتطبيق: د. نور الهدى لوشن: ٩٥.

(٤) معجم المصطلحات الادبية: مجدي وهبة: ٢٨٨.

(٥) استراتيجيات الخطاب: عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٤٠، نقلا عن: Geoffrey Leech; Principles of prgmatics, Ibid, p٤٧.

(٦) دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان: ٥٧.

ويبدو أن السياق يتخذ عدة صور، مردّها واحد ألا وهو ربط أجزاء الكلام بعضها مع البعض الآخر للدلالة على معنى معين داخل الكلام أو النص أو الخطاب التي تشكل مسرح السياق، ومن ثم الكشف عن المعنى بحسب ما يوجهه السياق للكلمة داخل النص.

ولعلّ ما جاء به صاحب المعاجم الأدبية من تعريف للسياق أشمل وأوضح؛ إذ يقول السياق هو: (بيئة الكلام ومحيطه وقرائنه)، وهو (بناء كامل من فقرات مترابطة، في علاقته بأي جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة. ودائماً ما يكون السياق مجموعة من الكلمات وثيقة الترابط «بحيث» يلقي ضوءاً لا على معاني الكلمات المفردة فحسب، بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها.

وكثيراً ما يغير المحيط التي توجد فيه العبارة من المعنى الذي يبدو واضحاً في العبارة ذاتها أو يوسعه أو يعدله)^(١).

ولدى استقرار الدلالة الاصطلاحية للسياق، نجد أنّها تكشف عن كونه أداة تحديد المعنى المقصود للكلمة، لذا فهو يعد منهجاً من مناهج دراسة المعنى.

ويرى الدكتور حازم فارس أبو شارب بأن السياق: (عبارة عن وحدة لغوية أساسية ذات دلالة متكاملة يمكن تحليلها بالاستعانة بمقولات لغوية، ومقولات ما وراء اللغة، فالسياق يشكّل المكان الطبيعي لبيان المعاني الوظيفية لمكوناته، إذ تتحدّد الوظائف اللغوية «الصوتية، والصرفية،

(١) معجم المصطلحات الأدبية: إبراهيم فتحي: ٢٠١ - ٢٠٢.

والنحوية، والإيقاعية» لكلّ مكوّن لغوي داخله^(١).

وينبغي هنا التفرقة بين المقصود من فكرة (السياق) وفكرة (الجملة)، فالسياق مفهوم اجتماعي ونصّي، أما الجملة فهي مفهوم نحوي.

وتتضح أهمية هذه التفرقة فيما يتعلق بقضية الغموض الدلالي؛ فالجملة قد يعثورها الغموض عندما تفصل من سياقها الذي ترد فيه، أمّا السياق فهو (المرجع) الدلالي الذي يعطي الأطراف المشاركة في الوقف اللغوي المعنى المقصود^(٢).

ويتضح مما تقدّم أن لا فرق بين السياق لغةً واصطلاحاً - فقد جاء السياق في الاصطلاح مكماً للسياق في اللغة بوصف السياق نظاماً متكاملًا مكوّنًا من وحدات بنائية الغاية منه تحديد النسق في الكلام للكشف عن المعنى النص.

عناصر السياق

تختلف عناصر السّياق في النص أو الخطاب وبحسب أنواع السّياق، ويسمّيها الدكتور تمام حسان بـ(المساوقات) إذ يقول: (تحليل المعنى في سياق الموقف Context ثمرة من ثمار الدراسات اللغوية الحديثة والنظرة إلى المعنى من خلال الموقف تتجه إلى عدد من المساوقات مثل المتكلم والقول والسامع أو السامعين والظروف الاجتماعية التي تشمل العرف والعلاقات الاجتماعية

(١) نظرية السياق عند فيرث ومدى تأثرها بنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني (بحث):

د. حازم فارس أبو شارب.

(٢) ينظر: علم الدلالة عند العرب فخر الدين الرازي نموذجاً: د. محي الدين محسب: ١٦٦.

وتشمل الزمان والمكان والمأثورات والأشياء والعرض والنتيجة...^(١).
كما ذكّر هايمس أنّ العناصر الأساسية التي تشكّل سياق الخطاب هي:
(المتكلم، والمخاطب، والمشاركون، والموضوع، والقناة، والمقام، والسنن،
وجنس الرسالة، والحدث، والمقصد)^(٢).

ولدى رومان ياكبسون رؤية خاصة لدى إظهاره للعناصر الخطابية في
التواصل اللفظي بأنّ السياق هو العامل المفعّل للرسالة بما يمدّها من ظروف
وملابسات توضيحية كما سماه المرجع (Le referant - باصطلاح غامض
نسيباً) وقد اشترط لفظيته^(٣)، وجعل لهذه المراجع (السياقات) أنماطاً خاصة
بها بحسب ما ذكر عن ذلك بقوله: (وقد استطاع سائير، في تاريخ لاحق
«١٩٣٠») في الملاحظات التمهيدية لمشروعه أسس اللغة، أن يستخلص
الأنماط الأساسية للمراجع التي تصلح كأساس طبيعي لأقسام الخطاب: أي
الموجودات مع تعبيرها اللغوي أي الاسم: والأحداث المعبر عنها بواسطة
الفعل: وأخيراً كفيات الوجود والحدوث المعبر عنها في اللغة تبعاً بواسطة
الصفة والحال)^(٤).

وقد ذكر أحد الباحثين أنّ ما جاء به رومان ياكبسون يمثل السِّيَاق
اللفظي وهنالك عناصر للسِّيَاق غير اللفظي وهي:

أ- الموقع (Site): أو الاطار الزمكاني - Le cadre spatio - tem

(١) البيان في روائع القرآن: د. تمام حسان: ١ / ٤٠٠.

(٢) لسانيات النص: محمد خطابي: ٢٩٧.

(٣) ينظر: قضايا الشعرية: رومان ياكبسون: ٢٧.

(٤) م.ن: ٦٤.

prel؛ أي أن يكون الخطاب مطابقاً لحيز مكاني ولحظة زمانية.

ب- الهدف (Le but): يرى جاكسون ضرورة التمييز بين الهدف العام والهدف الخاص لبيان هدف العملية التواصلية.

ت- المشاركون في العملية التواصلية: (Les participants): مع الأخذ بعين الاعتبار عدد المشاركين ومميزاتهم الشخصية وعلاقاتهم المتبادلة من حيث درجة معرفتهم وطبيعة علاقاتهم الاجتماعية والعاطفية^(١).

ويمكن التمثيل للعناصر بالمخطط الآتي:

ولا فرّق بين السّياق اللفظي وغير اللفظي^(٢)؛ لأنها يكمل أحدهما الآخر، فيصيران وحدة واحدة في الكشف عن المعنى أو الدلالة، مع ملاحظة أن هنالك عوامل خارجية تؤثر في المتكلم أو في المتلقي أو في كليهما: (كالمنشأ، والجنس، والسن، والبيئة، والمركز الاجتماعي، هناك العوامل الفردية التي ترجع إلى القائل وحده، وهي عوامل يرجع معظمها إلى الشخصية أو المزاج، كالحدة أو الهدوء، والدعابة أو الرزانة، والتواضع أو الغرور... من درجات متفاوتة أو متقاربة، هذا كله إلى جانب عامل وجداني مهم آخر وهو موقف القائل من مخاطبه في لحظة القول بالذات)^(٣).

(١) ينظر: التواصل اللساني والشعرية: الطاهر بو مزبر: ٣٠ - ٣١.

(٢) من المعروف أن السياق اللفظي: هو السياق اللغوي (المقالي)، والسياق غير اللفظي: هو السياق غير اللغوي (المقامي).

(٣) مدخل إلى علم الأسلوب: شكري محمد عياد: ٤٧.

أنواع السِّيَاقِ

يلاحظُ بأنَّ أنواعَ السِّيَاقِ قد تعددتُ وتنوَّعتْ بين العلماءِ، وبحسبِ المراد منها، ولكن؛ يمكنُ القولُ إنَّ السِّيَاقَ يُطلَقُ على مفهومين رئيسين:

الأول: السِّيَاقِ المقالي (السِّيَاقِ اللغوي).

والثاني: السِّيَاقِ المقامي (السِّيَاقِ غير اللغوي) ولكل قسم فروع، بحسب ما يأتي:

الأول: السِّيَاقِ المقالي (السِّيَاقِ اللغوي): المقصود به (حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة، عندما تتساوق مع كلمات أخرى، مما يكسبها معنى خاصاً محدداً. فالمعنى في السِّيَاقِ هو بخلاف المعنى الذي يقدمه المعجم، لأن هذا المعنى الأخير متعدد ومحتمل، في حين المعنى الذي يقدمه السِّيَاقِ اللغوي هو معنى معين له حدود واضحة وسمات محددة غير قابلة للتعدد أو الاشتراك أو التعميم)^(١)، (ولعل تعدد المعنى واحتماله من جهة وتعيينه من جهة أخرى الفارق الأساسي بين الكلمة التي في المعجم واللفظ الذي في السِّيَاقِ)^(٢)، فكلمة (عين)، وهي من المشترك اللفظي، من معانيها: حاسة البصر، ونبع الماء، وجاسوس العدو، ومنظار الباب، وسيد القوم، والسِّيَاقَاتِ هي التي تحدد وتفرق المعنى عن الآخر، فعندما نقول بكت العين دمعاً كان لها مدلول العين الجارحة وتفيض العين في الشتاء أي المقصود نبع الماء لا سواه، وينطبق هذا الكلام على أغلب المفردات حين ترد في السِّيَاقِ، ويرجع هذا إلى طبيعة المعنى في المعجم تختلف عن طبيعته في السِّيَاقِ؛ لذا

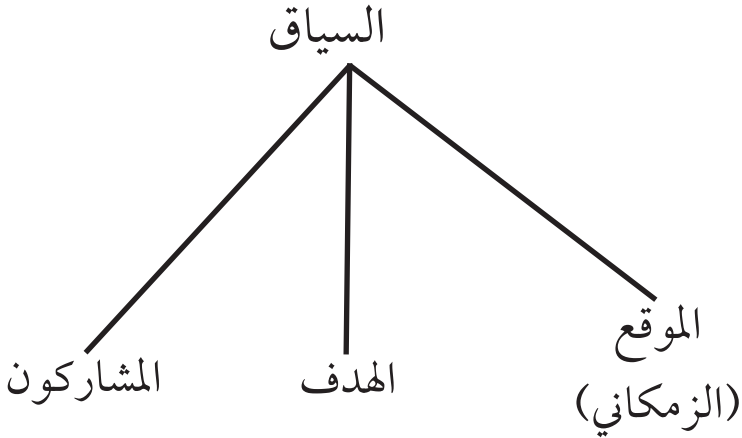
(١) الألسنية: د. نسيم عون: ١٥٩.

(٢) اللغة العربية مبناها ومعناها: د. تمام حسان: ٣٢٥.

فالسِّيَاق اللُّغَوِي يوضح الكثير من العلاقات الدلالية عندما يستعمل مقياساً لبيان الترادف أو الاشتراك أو العموم أو الخصوص أو الفروق^(١).

ويقسم السِّيَاق اللُّغَوِي على عدة أقسام:

- أ- السِّيَاق الصَوْتِي.
- ب- السِّيَاق الصَّرْفِي.
- ت- السِّيَاق التَّرْكِيْبِي.
- ث- السِّيَاق الدَّلَالِي.



- ج- السِّيَاق المعْجَمِي.
- ح- السِّيَاق البَلَاغِي وغيرها من هذه الأنواع كالسِّيَاق الأَسْلُوبِي والأَدْبِي.
- الثاني: السِّيَاق المَقَامِي (السِّيَاق غير اللُّغَوِي): على العكس من السِّيَاق

(١) ينظر الألسنية: ١٥٩ - ١٦٠.

اللغوي ويسمى بالسياق الاجتماعي Social context، ويسمى السياق الاجتماعي عند فيرث باسم Context of Situation أي سياق الموقف. وعند Palmer عرف باسم Context Non Linguistic أي السياق غير اللغوي، وهناك باحثون يستعملون كلمة السياق من دون تمييز بين السياق اللغوي من جانب والسياق غير اللغوي من الجانب الآخر^(١).

وسياق المقام: (يعنى بالظروف التي تتصل بالمكان او المتكلم او المخاطب وغيرها، في اثناء التفوه بالكلام، واثرتلك الظروف في الدلالة)^(٢)، ويمكن أن نُطلق عليه: علم دراسة حالة الكلمة أو الكلام.

ويستقري الدكتور تمام حسان فكرة المقام بجعله كبرى القرائن، إذ يقول: (إن الكلمة المفردة «وهي موضوع المعجم» يمكن أن تدل على أكثر من معنى وهي مفردة ولكنها إذا وضعت في «مقال» يفهم في ضوء «مقام» انتفى هذا التعدد عن معناها ولم يعد لها في السياق إلا معنى واحد لأن الكلام وهو مجلى السياق لا بد أن يحمل من القرائن المقالية «اللفظية» والمقامية «الحالية» ما يعين معنى واحداً لكل كلمة. فالمعنى بدون المقام «سواء أكان وظيفياً أم معجمياً» متعدد ومحتمل لان المقام هو كبرى القرائن، ولا يتعين المعنى إلا بالقرينة)^(٣).

(إنّ مراعاة المقام تجعل المتكلم يعدل عن استعمال الكلمات التي تنطبق على الحالة التي يصادفها خوفاً أو تأدباً. بل قد يضطر المتكلم إلى العدول عن

(١) ينظر: مدخل الى علم اللغة: د. محمود فهمي حجازي: ١٥٩. نقلاً عن: Firth, Pa- pers in Linguistics, Lyons, Introduction 413

.Palmer, Semantics 34 - 58, 92 - 101

(٢) اللغة في الدرس البلاغي: أ.د. عدنان عبد الكريم جمعة: ١٢٠.

(٣) اللغة العربية مبناها ومعناها: ٣٩.

الاستعمال الحقيقي للكلمات فيلجأ إلى التلميح دون التصريح. وكلما كان الكلام موافقاً ظروف المقام كان مقبولاً ومستحسناً في ظرفه وحينه... المهم هو وجود المناسبة بين الكلام والموقف^(١).

وعلى الباحث هنا الامام بالسياقات الاجتماعية التي يجري فيها الكلام كما ذكرتها سابقاً، وذلك بدراسة الآثار الأدبية سواء كانت زمانية او مكانية مع الملاحظات الشخصية، لما لها اهمية بالغة فيما يؤديه المقام للمعنى.

ويشمل السياق غير اللغوي:

أ- سياق الحال.

ب- سياق الموقف.

ت- السياق العاطفي.

ث- السياق الثقافي.

نشأة الدراسات السياقية وتطورها

يبدأ طريق الدلالة بالألفاظ، وتتنظم هذه الألفاظ داخل التراكيب وفقاً لأنظمة مختلفة وأطر متسقة، ويتبلور للألفاظ من ذلك معانٍ لها مدى واسع في الذهن؛ لأن كل لفظة لها دلالة ذاتية قائمة بها والأخرى إيجائية، وبتراكم المعاني والدلالات يبرز دور السياق محدد المعنى المقصود من اللفظة فشكل لدينا معنيين وهما:

أ- المعنى الأصلي للفظه.

(١) مبادئ اللسانيات: د. أحمد محمد قدوري: ٣٥٨.

ب- المعنى السياقي^(١).

ومن هذا المنطلق ظهرت الإشارات منذ زمن التاريخ الأول للدراسات اللغوية عامة والسياق خاصة إلى جانب النظريات؛ وربما لم يسلب الضوء على السياق على ما سوف يُستعرض في تحويل هذا العلم إلى نظرية، ومن المؤكد أن الدراسات الأوربية ما كانت لتصبح في الوضع الذي وصلت إليه؛ لولا الأفكار التي رَفَدَتْها الأعمال اللغوية من خارج أوروبا خاصة منها: مؤلفات اللغويين الهنود القدامى في قواعد السنسكريتية ونظامها الصوتي، وكذلك ما نُقِلَ من اللغة العربية في عصر إزدهار الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس إلى اللغة اللاتينية. فيبدأ بالتدرج التاريخي للسياق على النحو الآتي:

١. السياق عند الهنود.

٢. السياق عند العرب.

٣. السياق عند الغرب.

١ - السياق عند الهنود

(يرجع الفضل إلى بانيني^(٢) في أنه وصف بدقة كبيرة الخصائص النحوية

(١) ينظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم: عودة خليل: ٦٩، واللغة والمعنى والسياق: جون لاينز: ١٤.

(٢) من أشهر علماء الهند اللغويين والاسم بانيني هو اسم الأسرة، اختلف في اسمه كما اختلف في عصره، فقبل بأغلب الآراء عصره ما بين (٧٠٠ أو ٦٠٠) قبل الميلاد، أُلّف عددًا من الكتب في اللغة والنحو، والكتاب الذي خلد اسمه في النحو السنسكريتي هو - Adhyayas (ashat) ينظر: البحث اللغوي عند الهنود: الدكتور أحمد مختار عمر: ٣٣ - ٣٤.

اللغوية للسنسكريتية، وربما كان هذا التقنين الممتاز سبباً في أن السنسكريتية صارت بمرور الوقت اللغة الرسمية لكل الهنود البراهمة واللغة التي تنطقها الطبقة العليا^(١).

وقد سبق بانيني ياسكا Yaska (وهو من أعلام اللغويين الهنود عاش قبل الميلاد بما يقرب من ٧٠٠ عام ويعد مؤسس علم الاشتقاق Etymology عند الهنود وقد وضع في ذلك كتاباً عرف باسم Nirukta «= التفسير»^(٢)، ولعلّ أولى الإشارات الدالة على أثر السياق في الكلمة وطرق معرفة معناها ما نصح به ياسكا في: (وضع الكلمة في سياقها إذا أُريد معرفة معناها ليسهل اشتقاقها)^(٣)، ففي ذلك ربط بين السياق والدلالة لمعرفة الاشتقاق.

وقد كان بانيني يعتمد في تحليله النحوي على اللغة الحقيقية الحية، وهو بذلك ينظر لموقف الحدث اللغوي وهو ما يسمى بسياق الحال، فضلاً عن كونه انتمى لمدرسة تدعو إلى تحليل الجملة إلى كلمات مع اعتبار الكلمة المفردة وحدة للمعنى.

فلا بد للجملة عند الهنود أن تلي ثلاثاً محاور:

المحور الأول: التوقع.

المحور الثاني: الإختصاص.

المحور الثالث: التقارب أو التجاور.

(١) علم اللغة نشأته وتطوره: د. محمود جاد الرب: ٢٠، نقلاً عن: Bloomfield: Lan-
guage p. 63

(٢) ينظر: البحث اللغوي عند الهنود: ٢٩ - ٣٠.

(٣) م. ن: ٦٦.

فالجملة لاتعد مقبولة نحويّاً إلا بعد استيفائها هذه العناصر، إذ إنَّ عنصر التوقع مقترن دائماً بالسامع وهم بذلك راعوا عنصراً من عناصر سياق الحال او المقام وهو السامع الذي يقع عليه الخطاب.

أمّا المحور الثاني: الاختصاص، فهو مرتبط بالسياق اللغوي وأساسه أن تكون الكلمة مؤتلفة مع غيرها من الكلمات على مستوى العبارة او الجملة او النص وهو بهذا اعطى المتكلم دوراً في صياغة جملة تركيبية صحيحة ذات معنى أو دلالة^(١).

٢ - السِّيَاقُ عِنْدَ الْعَرَبِ

يُجَدُّ الْبَاحِثُ إِنَّ السِّيَاقَ لَهُ مَكَانَةٌ فِي الْمِيَادِينِ اللَّغَوِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ، سِوَاءَ كَانَتْ أَصُولِيَّةً أَمْ تَفْسِيرِيَّةً أَوْ قُرْآنِيَّةً أَوْ بَلَاغِيَّةً أَوْ نَحْوِيَّةً، وَمِنَ الْوَاضِحِ وَغَيْرِ الْقَابِلِ لِلشُّكِّ أَنَّ الْعَرَبَ سَبَقُوا غَيْرَهُمْ إِلَى التَّنَفُّنِ بِالْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْعُلُومِ الْأُخْرَى، وَلَوْلَا اخْتِلَاطُ الْأَلْسِنَةِ لَمَا اضْطَرَّ الْعَرَبُ إِلَى تَأْسِيسِ عُلُومٍ مَعْرُوفَةٍ تُعْنَى بِالْحِفَاطِ عَلَى النَّصِّ، وَلَا سِيَّمًا النَّصِّ الْقُرْآنِيَّ: مِثْلَ عِلْمِ النَّحْوِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ وَالصَّرْفِ وَغَيْرِهَا.

ولعلَّ هذا السببَ قَادَ إِلَى عَدَمِ ذِكْرِ السِّيَاقِ وَتَسْلِيطِ الضَّوِّءِ عَلَيْهِ كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي الْأَسْلُوبِ؛ لِذَا وَرَدَ السِّيَاقُ مَتَنَاثِرًا بَلْفِظِهِ دَالًّا بِمَعْنَاهُ فِي الْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ؛ لِشِكْلِ اللَّبْنَةِ الْأَسَاسِ فِي بِنَاءِ النَّظَرِيَّةِ الدَّلَالِيَّةِ، وَمِنَ الْمِصْطَلَحَاتِ الَّتِي اسْتَعْمَلَتْ لَهَا الَّتِي تُوْحِي بِمَعْنَاهَا: (النَّظْمُ، التَّرْكِيبُ، النَّسَقُ، الْمَقَالُ،

(١) ينظر: م. ن: ٧٦، ونظرية السياق بين القدماء والمحدثين: د. عبد المنعم خليل: ٩٩.

التعليق، المؤلف، الصياغة^(١)، ويمكن إضافة المقام والحال والمقتضى والمقصد، وسوف نتبع أثر السياق فيما ورد في المصادر العربية إذ يمكن حصرها بالأصناف الآتية:

أ- السياق عند الأصوليين

استطاع الأصوليون بتوظيفهم للنظريات أن يؤسسوا منهجاً لفهم النص، لذا عدّ السياق لديهم الأداة الخاصة في فهم مكونات النص، وفي ضوء دراستهم للقرائن المخصصة الأصولية وغيرها.

وقد أكد الأصوليون على إنَّ الكشف عن المعنى يكون من خلال السياق، تناولوا اللفظة المفردة في مبدأ المواضع ومعانيها، وتناولوا المعنى المفهوم من التراكيب، إذ تختلف دلالتها من أسلوب لآخر بحسب عمق النص لديهم في تحديد مقاصده، والسياق هو الذي يحدد ذلك^(٢)، ولما كانت الدلالة هي غاية الأصولي وركيزة عمله، فقد جال الأصوليون وراءها أيّاً كان مكانها، وعرضوا لها سواء أكان ذلك على مستوى اللفظ المفرد أم على مستوى التركيب ففي تعريفهم للغة يقولون إنّها (الألفاظ الموضوعية للمعاني)^(٣).

إذ إنّ قضية اللفظ والمعنى والمناسبة بينهما أخذت حيزاً كبيراً عندهم، ويدلنا على ذلك اختلاف آرائهم وتعدد وجهات النظر لديهم، ومن النماذج التي تؤكد تناول السياق من قبل الأصوليين الشافعي (ت ٢٠٤هـ) في كتابه (الرسالة) إذ يُعد أقدم كتاب قال في لغة القرآن: (فإنما خاطب الله بكتابه

(١) الدلالة السياقية عند اللغويين: أ.د. عواطف كنوش: ٩٣.

(٢) ينظر: التصور اللغوي: د. أحمد عبد الغفار: ١١١.

(٣) نهاية السؤل في شرح منهج الأصول: الأسنوي: ١٢ / ٢.

العرب بلسانها، على ما تعرّف من معانيها، وكان ممّا تعرّف من معانيها اتّساع لسانها. وأنّ فطرته أن يُحاطَبَ بالشيء منه عاماً ظاهراً يُرادُ به العامُّ الظاهرُ، ويُستغنى بأولِ هذا منه عن آخره. وعاماً ظاهراً يُرادُ به العامُّ ويُدخلُه الخاصُّ، فيستدلُّ على هذا ببعض ما حوِطَ به فيه. وعاماً ظاهراً يرادُ به الخاصُّ. وظاهراً يُعرّفُ في سياقه أنه يُرادُ به غيرُ ظاهره. فكلُّ هذا موجودٌ علمُه في أولِ الكلامِ أو وَسَطِهِ أو آخره^(١).

وقد جعل الشافعي للتخصص بالسياق باباً سمّاه: (باب الصَّنْفِ الذي يبيِّنُ سِيَاقَهُ مَعْنَاهُ)^(٢)، ومما جاء فيه قوله في معنى الآية: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ * إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾^(٣).

(فابتدأ - جل ثناؤه - ذكر الأمرِ بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر، فلما قال: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾، دلَّ على أنه إنّما أراد أهل القرية)^(٤).

وقد ذكر الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) في إعمال دلالة السياق، فيقول مشيراً إلى تحديد المعنى المراد من النص، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٥).

(١) الرسالة: الشافعي: ٥١ - ٥٢.

(٢) م. ن: ٦٢.

(٣) الأعراف: ١٦٣.

(٤) الرسالة: ٦٢ - ٦٣.

(٥) الجمعة: (٩ - ١٠).

حيث يقول: (إنما نزلت وسيقت لمقصد وهو بيان الجمعة، وما نزلت الآية لبيان أحكام البياعات، ما يحل منها وما يحرم، فالتعرض للبيع -لأمر يرجع إلى البيع في سياق هذا الكلام- يخبط الكلام ويخرجه عن مقصوده، ويصرفه إلى ما ليس مقصودا به. إنما يحسن التعرض للبيع إذا كان متعلقا بالمقصود، وليس يتعلق به إلا من حيث كونه مانعا للسعي الواجب، وغلب الأمر في العادات جريان التكاسل والتساهل في السعي بسبب البيع)^(١).

ثم يأتي ابن القيم (٧٥١هـ) يؤكد على أن السياق له حضور في التراث العربي وذلك بقوله: (السياق يرشد إلى تبين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظراته)^(٢).

وفي العصر الحديث يبرز من بين أعلام الأصول الشهيد محمد باقر الصدر (١٩٨٠م) جعل للسياق تعريفا مانعا جامعاً فقال: (كل ما يكتنف اللفظ الذي نريد فهمه من دوال أخرى، سواء كانت لفظية كالكلمات التي تشكل مع اللفظ الذي نريد فهمه كلاما واحدا مترابطا، أو حالية كالظروف والملابسات التي تحيط بالكلام وتكون ذات دلالة في الموضوع)^(٣).

ويضرب مثالا على حجية الدليل اللفظي وإثبات المعنى للفظ الوارد في

(١) شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل: الغزالي: ٥١.

(٢) بدائع الفوائد: ابن القيم: ٤ / ١٣١٤.

(٣) دروس في علم الاصول (الحلقة الأولى): السيد محمد باقر الصدر: ١٣٠.

السِّيَاقِ فِيهَا إِذَا تَعَدَّدَتِ الْمَعَانِي لِلْفِظِ فِي اللُّغَةِ^(١)، وَأَحَدَهَا أَقْرَبُ إِلَى الْفِظِ لُغَوِيًّا مِنْ سَائِرِ مَعَانِيهِ فَهُوَ يَذْكَرُ كَلِمَةَ (الْبَحْرِ) وَيَذْكَرُ أَنَّ لَهَا مَعْنَى حَقِيقِيًّا قَرِيبًا وَهُوَ (الْبَحْرِ مِنَ الْمَاءِ) وَمَعْنَى مَجَازِيًّا بَعِيدًا وَهُوَ (الْبَحْرِ مِنَ الْعِلْمِ)، فَإِذَا قَالَ الْأَمْرُ: (إِذْهَبْ إِلَى الْبَحْرِ فِي كُلِّ يَوْمٍ) وَأَرَدْنَا أَنْ نَعْرِفَ مَاذَا أَرَادَ الْمُتَكَلِّمُ بِكَلِمَةِ الْبَحْرِ مِنْ هَذَيْنِ الْمَعْنَيْنِ؟ فَإِنْ لَمْ نَجِدْ فِي سَائِرِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي السِّيَاقِ مَا يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْمَعْنَى الظَّاهِرِ مِنْ كَلِمَةِ الْبَحْرِ كَانَ لِرَافِعِ عَلَيْنَا أَنْ نَفْسِرَ كَلِمَةَ الْبَحْرِ عَلَى أَسَاسِ الْمَعْنَى اللُّغَوِيِّ الْإِقْرَبِ تَطْبِيقًا لِلْقَاعِدَةِ الْعَامَّةِ الْقَائِلَةِ بِحُجِيَّةِ الظُّهُورِ. أَمَّا إِذَا قُلْنَا (إِذْهَبْ إِلَى الْبَحْرِ فِي كُلِّ يَوْمٍ) وَاسْتَمَعْنَا إِلَى حَدِيثِهِ بِاهْتِمَامٍ، فَإِنَّ الْإِسْتِمَاعَ إِلَى حَدِيثِ الْبَحْرِ لَا يَتَّفِقُ مَعَ الْمَعْنَى اللُّغَوِيِّ الْإِقْرَبِ إِلَى كَلِمَةِ الْبَحْرِ، وَإِنَّمَا يَنْسَبُ الْعَالَمُ الَّذِي يَشَابَهُ الْبَحْرَ لِعِزَارَةِ عِلْمِهِ، وَيُطْلَقُ عَلَى كَلِمَةِ (حَدِيثِهِ) فِي هَذَا الْمَثَالِ اسْمُ (الْقَرِينَةِ)، لِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى الصُّورَةِ الْكَامِلَةِ لِلْسِّيَاقِ وَأَبْطَلَتْ مَفْعُولَ كَلِمَةِ الْبَحْرِ وَظُهُورَهَا. وَأَمَّا إِذَا كَانَتِ الصُّورَتَانِ مُتَكَافِئَتَيْنِ فِي عِلَاقَتَهُمَا بِالسِّيَاقِ، فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْكَلَامَ أَصْبَحَ مَجْمُولًا وَلَا ظُهُورَ لَهُ، فَلَا يَبْقَى مَجَالٌ لِتَطْبِيقِ الْقَاعِدَةِ الْعَامَّةِ.

وَلِذَا فَإِنَّ الْأَصُولِيَّ يَحَاوِلُ مِنْ خِلَالِ الْأَدْوَاتِ الَّتِي يَمْتَلِكُهَا الْوَصُولُ إِلَى أَفْضَلِ طَرِيقَةٍ لِاسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَمِنْ الْأَدْوَاتِ الَّتِي تَعِينُهُ عَلَى ذَلِكَ.

ب- السِّيَاقُ عِنْدَ النِّحَاةِ

إِذَا مَا نَظَرْنَا الْفِكْرَ الْعَرَبِيَّ وَتَارِيخَ تَطْوَرِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَهْدِ تَأْسِيسِ عِلْمِ

النحو نجده يتناول السياق ويلتقي السياق مصطلح (الوضع) المستعمل كثيرا في آثار النحويين العرب القدماء، والمعروف أنّ الكلام: بأنّه اللفظ المركب المفيد بالوضع، أي بحكم النمط التركيبي المحدّد لكلّ جملة من الجمل كالجمله الاسمية، والفعلية، والخبرية، والإنشائية، والمثبتة، والمنفيّة، والمؤكّدة، والاستفهامية، وجملة الأمر، والنهي، والتحضيض والشرط^(١).

لقد أدّى محور النحاة القدامى: ويتمثل بالعهد الذهبي لتأليف الكتب النحوية ضمن المدارس المعروفة انذاك: كمدرسة البصرة والكوفة وبغداد وغيرها.

فقد جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) بمضمار السياق ودلالته قبل (مالينوفسكي، وفيرث) إذ اعتمد على الدلالة السياقية في منهج كتابه (العين) ومن ثم الدلالات الأخرى الصوتية والصرفية وغيرها^(٢).

لقد اختار الخليل اللفظة وذكر الوجوه والمعاني التي خرجت إليها، وهو ما يسمى بالمشترك اللفظي مثل لفظة (غرب): (العرب: التّماذي وهو اللّجاجة في الشّيء، قال:

قد كَفَّ من غَرَبِي عن الإنشادِ

(١) ينظر: نظرية السياق عند فيرث ومدى تأثيرها بنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني (بحث).

(٢) ينظر: النسق القرآني: الدكتور محمد ديب الجاجي: ٣٥١، ومنهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب العين (بحث): الدكتور أحمد نصيف الجنابي: ١٦١ وما بعدها، المعجمية العربية أبحاث الندوة التي عقدها المجمع العلمي العراقي (١٥ - ١٦ شعبان ١٤١٢هـ، ١٨ - ١٩ شباط ١٩٩٢م).

وَكُفَّ مِنْ غَرْبِكَ أَي: مِنْ حَدِّتِكَ

وَاسْتَعْرَبَ الرَّجُلُ إِذَا لَجَّ فِي الضَّحِكِ خَاصَّةً، وَاسْتَعْرَبَ عَلَيْهِ فِي الضَّحِكِ أَي لَجَّ فِيهِ.

وَالْعَرْبُ أَعْظَمُ مِنَ الدَّلْوِ، وَهُوَ دَلْوٌ تَامٌ، وَعَدَدُهُ أَغْرِبٌ، وَجَمْعُهُ غُرُوبٌ، وَاسْتَحَالَتِ الدَّلْوُ غَرْبًا أَي عَظُمَتْ بَعْدَهَا مَا كَانَتْ دُلْيَةً... وَكُلُّ فَيْضَةٍ مِنَ الدَّمْعِ غَرْبٌ، يُقَالُ: (فَاضَتْ غُرُوبُ الْعَيْنِ)، قَالَ: (أَلَا لَعَيْنِكَ غُرُوبٌ تَجْرِي)^(١)، فَحَدَّدَ مَعْنَى الْكَلِمَةِ بِحَسَبِ السِّيَاقِ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ، مَعَ بَيَانِ الْقَصْدِ.

وَلَعَلَّ أَقْدَمَ إِشَارَةَ دَالَةَ عَلَى سِيَاقِ الْحَالِ بِلِإِشَارَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ لَوْ أَمَعْنَا النَّظَرَ عِنْدَ سَبْيُوهِ (ت ١٨٠ هـ) فِي (الْكِتَابِ)، قَوْلُهُ: (بَأَنَّكَ لَوْ قَلْتَ: «مَكَّةُ رَبِّ الْكَعْبَةِ» إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا مُتَوَجِّهًا وَجْهًا لِلْحَاجِّ وَفِي هَيْئَةِ الْحَاجِّ فَكَأَنَّكَ قَلْتَ: يَرِيدُ مَكَّةَ وَاللَّهِ)^(٢)، وَلَوْلَا الظُّهُورُ بِهَذِهِ الْهَيْئَةِ لَمَا عَرَفَ الْمُرَادَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ.

وَيَأْتِي ابْنُ جَنِي (ت ٣٩٢ هـ) مُتَعَرِّضًا لِّلْسِيَاقِ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ، وَسِيَاقِ الْحَالِ^(٣) بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ، وَتَعَلَّقَهُ بِالدَّلَالَةِ فِي مَسَائِلِ الْحَذْفِ بِقَوْلِهِ: (وَكَانَ هَذَا إِذَا حُذِفَتْ الصِّفَةُ وَدَلَّتِ الْحَالُ عَلَيْهَا. وَذَلِكَ فِيهَا حِكَاةُ صَاحِبِ الْكِتَابِ مِنْ قَوْلِهِمْ: سِيرَ عَلَيْهِ لَيْلٌ، وَهُمْ يَرِيدُونَ: لَيْلٌ طَوِيلٌ. وَكَأَنَّ هَذَا إِذَا حُذِفَتْ فِيهِ الصِّفَةُ لِأَنَّ دَلَّ مِنَ الْحَالِ عَلَى مَوْضِعِهَا. وَذَلِكَ أَنَّكَ تَحَسُّ فِي كَلَامِ الْقَائِلِ لِذَلِكَ مِنَ التَّطْوِيحِ وَالتَّطْرِيحِ وَالتَّفْخِيمِ وَالتَّعْظِيمِ مَا يَقُومُ مَقَامَ قَوْلِهِ: طَوِيلٌ أَوْ

(١) كِتَابُ الْعَيْنِ: (غَرْبٌ): ٤ / ٤٠٩.

(٢) الْكِتَابُ: سَبْيُوهِ: ١ / ٢٥٧.

(٣) يَنْظُرُ: الدَّرْسُ الدَّلَالِيُّ فِي خِصَائِصِ ابْنِ جَنِي: الدُّكْتُورُ أَحْمَدُ سَلِيمَانَ يَاقُوتَ: ٣٨ - ٤٣.

نحو ذلك. وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأملتته. وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلاً! فتزيد في قوة اللفظ بـ«الله» هذه الكلمة، وتتمكّن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها «وعليها» أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك^(١).

يقول د. عبدالكريم مجاهد: (إذا كان فيرث Firth يرى في نظريته الدلالية أن المعنى هو المحصلة النهائية لتحليل الحدث اللغوي تدريجياً على مستويات اللغة كافة: الاجتماعية والصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية... فإن ابن جني قد سبقه إلى هذه الرؤية، وإن جاءت مبعثة تفتقر إلى التنظيم في إطار شامل)^(٢) لذا يعطي د. مجاهد اشارات توضيحية في مجال الإشارة الى السياق.

ت- السياق عند البلاغيين

عرفت بلاغة الكلام بأن يكون (الكلام مطابقاً لمقتضى الحال مع فصاحته)^(٣)، والمناسبة تكون للموقف الذي يتحدث عنه مثلاً: موقف المدح أو الذم وغيرها، وقد اهتم العرب بذلك منذ القديم، فقال الخطيب:

تَحَنَّنْ عَلَى هَذَاكَ الْمَلِيكُ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالاً^(٤)

إنّ نظرية السياق تقوم على عدة محاور منها المقام والمقال بصورة عامة، وقد أكد البلاغيون أنّ: (لكل مقام مقال) هذا القول كان الأساس في تناولهم للبنية السياقية.

(١) الخصائص: ابن جني: ٣٧٠ - ٣٧١.

(٢) الدلالة اللغوية عند العرب: الدكتور عبد الكريم مجاهد: ١٥٧.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني: ٢٠.

(٤) ديوان الخطيب (برواية وشرح ابن السكيت): ٣٣٥.

من الإشارات التاريخية للمقام المرتكز الثاني للسياق، يصل إلينا ما نقله الجاحظ (ت ٢٥٥) عن بشر ابن المعتمر (ت ٢١٠هـ)، قوله: (والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصّة، وكذلك ليس يتّضع بأن يكون من معاني العامّة. وإنّما مدارُ الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكلّ مقام من المقال)^(١)، وفي موضع آخر يؤكد على وضع الكلمة في المكان المناسب لها لتختار سياقها مع مراعاة حال المخاطب في الإيفهام يقول: (ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاماً، ولكلّ حالة من ذلك مقاماً، حتّى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات)^(٢).

وإذا ما رجعنا إلى عبد القاهر الجرجاني نجد أنّ الألفاظ لا تتفاضل عنده من كونها هي ألفاظ؛ بل تجد ضالّتها من نظرية النظم عندما توضع في تركيب أو سياق معين: (وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها)^(٣) فالرصف هنا لمعاني الألفاظ وتجاورها مع المناسبة والاستحسان لذلك يؤكد كون السِّيَاق مطروحاً لدى البلاغيين بجانبه الأساسيين المقال والمقام.

٣- السِّيَاق عند الغربيين

لم يكن اهتمام فلاسفة اليونان القدماء كغيرهم بالنسبة للسياق، ولعلّ

(١) البيان والتبيين: الجاحظ: ١٣٦.

(٢) البيان والتبيين: ١٣٨ - ١٣٩.

(٣) دلائل الاعجاز: عبد القاهر الجرجاني: ٥٠.

السبب يرجع إلى (البحث عن أرفع الأساليب التي ينال بها الخطيب رضا سامعيه. ويكسب عن طريقها إقناع قضاياه وحكامه)^(١).

ولعلّ بوادٍ سياق الحال تظهر جلية مما دعا إليه أرسطو في فن الخطابة، إذ أكدّ على أنّ فن الإقناع للخطيب يبدأ دراسة أمزجة المستمعين وكيفية التأثير فيها، ثم تظهر بوادٍ أخرى للسياق اللغوي وإن لم يرد بلفظه إلاّ إنّ جميع المؤشرات تدل عليه، فهو يذكر أنّ أسلوب الخطبة الجيد يتوقف على اختيار الكلمات لأنّ طبيعة المفردات المستخدمة هي التي تؤدي إلى الوضوح والملاءمة وتوصل إلى المطلوب كما يجب استخدام الأسلوب المناسب مع مراعاة حال المستمع: ذكراً كان أو أنثى شيخاً كان أو شاباً، وهكذا^(٢).

لقد نظرَ العالم الانثروبولوجي مالينوفسكي^(٣) إلى اللغة بأنّها ليست مجرد أداة لتوصيل الأفكار، بل هي في المكان الأول جزء من نشاط اجتماعي متسق لدى اشتغاله بأبحاث خاصة بسكان جزر التروبرياندي في البحار الجنوبية.

(١) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين: ١٠٢.

(٢) ينظر: النقد الأدبي عند الإغريق والرومان: الدكتور عبد المعطي الشعراوي: ١٦٤ - ١٦٥.

(٣) مالينوفسكي، (برونيسلاف Malinowski، Bronislaw «١٩٤٢ - ١٨٨٤»). عالم اجتماع بريطاني اشتهر بدراسته لثقافة شعب جزر تروبرياندي في جنوب غربي المحيط الهادئ، وبإسهاماته في نظريات الثقافة الإنسانية.

وُلِدَ مالينوفسكي في بولندا وعمل بالتدريس في جامعتي لندن وييل، وقد ألّف الكتب الآتية: مغامرو المحيط الهادئ الغربي (١٩٢٢ م)؛ الحياة الجنسية للهمج في شمال غربي ميلانيزيا (١٩٢٩ م)؛ الحدائق المرجانية وسحرها (١٩٣٥ م). مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية: دنيس كوش: ٥٨، ونظرية السياق (مقال) - علي عزت: ١٩، مجلة الفكر المعاصر: العدد ٧٦ يوليو - ١٩٧١: اللغة.

ورأى بأن اللحظة التي تفصل فيها الكلمة عن السياق الذي يغلفها أو عن سياق الموقف الذي تستخدم فيه تصبح كلمة جوفاء غير ذات مغزى؛ لأنّ الالفاظ لا يمكن أن توجد في فراغ؛ لذا فإن اللغة لم تستخدم مجرد مرآة للفكر المنعكس، بل كانت في استخداماتها البدائية عبارة عن رابطة أو حلقة اتصال في النشاط الانساني.

وقد لاحظ مالمينوفسكي أنّه من الصعب العثور على مرادفات لفظية حرفية لعبارات وتعبيرات كثيرة يستخدمها سكان جزر التروبريانند، بخاصة فيما يتعلق بعاداتهم ودياناتهم ومعتقداتهم.

ووجد نفسه في غمار إيجاد حل للمشاكل اللغوية التي صادفها ليخرج بنظرية تتعلق بالمعنى واللغة اطلق عليها نظرية سياق الموقف (Context of Situation) أوردها في مقالة (مشكلة المعنى في اللغات البدائية - ١٩٢٣) الذي نشره ملحقاً لكتاب (أوجدن وريتشاردز) المعروف (معنى المعنى (The Meaning of Meaning) حيث يؤيد نظريتها الخاصة بالاتصال (Communication) ويركز فيها على اللغة.

وقد وجدت هذه النظرية الصدى الأكبر لدى فيرث في الأربعينيات من القرن الماضي الذي وظفها لصالح علم اللغويات، ووجد في هذه النظرية إطاراً مناسباً تنتظم فيه العناصر الاجتماعية التي تضم الأشخاص والأدوات والأحداث الى جانب عنصر اللغة الذي تقوم بينه وبين هذه العناصر علاقات وتفاعلات مهمة لا يمكن إغفالها عند دراسة الأحداث اللغوية فإنّ اللغة ظاهرة اجتماعية في المقام الأول، لذا اهتم مالمينوفسكي بالأجناس البشرية بالدرجة الأولى اما اللغة فكان اهتمامه بها عارضا في كونه عالما انثروبولوجيا

أما فيرث فقد كان عالماً لغوياً مهتماً بالثقافة الانسانية بالدرجة التي تعينه على تكوين نظرية لغوية لها اطار منهجي يمكن تطبيقه بوجه عام على الأحداث اللغوية^(١).

ومن هنا يمكن القول إنّ النظرية السياقية (context theory) قد ارتبطت باللساني البريطاني جون روبرت فيرث (J.T FIRTH 1960)، وتقوم هذه النظرية على النظر إلى المعنى بوصفه (وظيفة في سياق) وقد أحدثت بذلك تغييراً جوهرياً في النظر إلى المعنى من علاقة عقلية بين الحقائق، والرموز الدالة عليها - كما رسمها اوجدن وريتشاردز في مثلثها الدلالي المشهور - إلى (مركب من العلاقات السياقية) بحسب عبارة فيرث^(٢).

رسم يوضح المثلث الدلالي المشهور للمعنى، وقد انطلقت من ذلك النظريات ولا سيما النظرية السياقية^(٣).

إنّ منهج النظرية السياقية يعد من المناهج الأكثر موضوعية ومقاربة للدلالة، ذلك لأنه يقدم أنموذجاً فعلياً لتحديد دلالة الصيغ اللغوية. وقد تبنى كثير من علماء اللغة هذا المنهج ومنهم العالم وتغنشتين (-wittgenen-stein) الذي يصرح قائلاً: (لا تفتش عن معنى الكلمة وإنما عن الطريقة التي تستعمل فيها)^(٤).

(١) ينظر: علم الدلالة: أف. آر. بالمر، اللغة ونظرية السياق (مقال) - علي عزت: ١٩ - ٢٣،

مجلة الفكر المعاصر: العدد ٧٦ يوليو - ١٩٧١.

(٢) ينظر: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب: الدكتور محمد محمد يونس: ٢٨.

(٣) ينظر: الدلالة والنحو: د. صلاح الدين صالح حسنين: ٢٠.

(٤) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي: منقور عبد الجليل: ٨٨.

وقد طوّر العالم فيرث نظرية سياق الحال والعناية بالجانب الدلالي للغة الطبيعية بوصفها وسيلة للتواصل الاجتماعي، وقد كان الفضل لمدرسة لندن ابتداءً من سنة ١٩٤٤ و١٩٥٦ وقد أسس فيرث رؤيته على القضايا الآتية:

١. البعد الاجتماعي للظاهرة اللغوية في أساسها الثقافي التواصلي مما يعني قيام التحليل اللغوي على وصف العلاقة الكائنة بين اللغة والأنساق الاجتماعية.

٢. التمييز بين العلاقة النسقية الداخلية بمستوييها الركني والاستبدالي، والعلاقة السياقية الخارجية الموقف.

٣. وضع علم الدلالة في صلب الدرس اللساني الحديث، وفي هذا السياق يقرر فيرث ان المهمة الأساسية للسانيات الوصفية دراسة الدلالة اللغوية^(١).

ومن تأثر بمنهج فيرث اللساني مايكل هاليدي -وهو من المدرسة الفيرثية الجديدة- الذي وضع نظرية في النحو النظامي (Grammaire-systematique) تستمد رؤيتها من اراء فيرث الدلالية جامعة بين المكونات الآتية:

١. الشكل (القواعد والمفردات).

٢. المادة (الأصوات والحروف).

٣. السياق، ومفهوم النحو النظامي قائم على كفاءة اللغة في استعمالها

(١) اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة: د: نعمان بوقرة: ١١٩ - ١٢٠.

لمجموعة من الاختيارات والبدائل اللسانية في سياق معين^(١).

ويقول فندريس حول السياق الذي يعطي الكلمة قيمة معينة، ويخلصها من ركامها الدلالي عبر التاريخ: (الذي يعين قيمة الكلمة في كل الحالات التي ناقشناها إنما هو السياق، إذ إنَّ الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً. والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، والسياق أيضاً هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة «حضورية»^(٢)).

الفكرة / المحتوى (المدلول)

الشيء الخارجي / المشار اليه الرمز / الكلمة

(١) م. ن: ١٢٠ - ١٢١.

(٢) اللغة: جوزيف فندريس: ٢٣١.



الباب الأول

ألفاظ الطبيعة الحيّة في نهج البلاغة





الفصل الأول

أثر السياق في الألفاظ الدالة على الحيوان

المبحث الأول: الحيوانات المفترسة

المبحث الثاني: الحيوانات الأليفة

المبحث الثالث: الطيور والحشرات



توطئة

شكّل الحيوانُ عبرَ مرّ العصور أهميةً كبيرةً في حياةِ البشرِ، واحتلّ مكانتهُ في الطّبيعةِ، لذا نجدُهُم قد تناولوه في مختلفِ الميادين بحثاً ودراسةً وتصنيفاً وتحليلاً.

والحيوانُ في اللّغةِ: (اسمٌ يقع على كل شيء حيٍّ. وسمّى الله جل وعز الآخرة حيواناً فقال ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾^(١)... وكُلُّ ذِي رُوح حيوانٌ^(٢) والجمع والواحد فيه سواء... والحيوان عَيْنٌ في الجنة)^(٣).

جاء القرآن الكريم راسماً حدودَ هذا الكائن الحي الذي سخّره اللهُ - سبحانه وتعالى- لخدمةِ الإنسانِ وإطعامه قال تعالى: ﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْكُمْ الغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ المُنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(٤) فضلاً عن اتخاذ الإنسان له مركباً ومسكناً من جلودِ الحيوانات وأصوافها وما أشبه ذلك. قال تعالى: ﴿واللهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأنعامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِن أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا

(١) العنكبوت: ٦٤.

(٢) تهذيب اللّغة: (حي): ٥ / ٢٨٧.

(٣) لسان العرب: (حيا): ١٤ / ٢١٤.

(٤) البقرة: ٥٧.

وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ^(١)، وضرب لنا الأمثلة به، وحثَّ على مراعاته؛ لذا نجدُه احتل مكانةً كبيرةً في القرآن الكريم، فقد وردَ فيه من الحيوان ما هو معجزة مثل: البقرة وناقة النبي صالح ﷺ، ومصوراً مثل: النحل، ومتكلماً مثل: هدهد النبي سليمان ﷺ.

ولم يتوقف ذكرُ الحيوانِ في القرآن في السياقاتِ المختلفةِ والصورِ المتعددة؛ بل شَمِلَ ذلكَ أن سُمِّيت بعضُ السورِ الكريمةِ باسمِ بعضِ الحيواناتِ مثل سورة: البقرة، والأنعام، والنحل، والنمل، والعنكبوت، والعاديات، والفيل، وقد تكررَ ذكرُ بعضِ الحيواناتِ أكثرَ من مرّةٍ مثل: الحوت والطير، وبمختلفِ الصُورِ: معرفةً أو نكرةً، مفرداً أو مثنى أو جمع، اسمٌ أو فعلٌ بحسبِ التراكيبِ والسيّاقاتِ المناسبةِ.

وجاءَ الرَّسُولُ الكَرِيمُ ﷺ ليكملَ ما جاءَ به القرآن في اتباعِ سُنَّتِهِ، فحثَّ الجميعَ على الرَّأفَةِ به؛ كما دخلَ في جانبِ الأحكامِ الفقهيةِ في معظمِ أحاديثِ الرَّسُولِ ﷺ^(٢)، وضربَ به المثلَ؛ لِيُشَبَّهَ به بعضُ طبقاتِ المجتمعِ، وَيُنَبَّهَ بها عن صفاتِهِمِ السَّيِّئَةِ، لَيْسَ هَذَا وَحَسْبَ بَلْ كَانَتْ أَقْوَالُهُ فِي الْحَيَوانِ ذاتَ دلالةٍ على حَسَنِ الخالِقِ وحسنِ تدبيرِهِ معَ إعطاءِ صورةٍ حيَّةٍ وواقعيةٍ يقولُ ﷺ في وصفِهِ (البراق) في حديثِ الإسراءِ والمعراجِ: «أَتَيْتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الحِمَارِ وَدُونَ البَغْلِ. يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُتَهَيِّ طَرَفِهِ" قَالَ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ المُقَدَّسِ»^(٣).

(١) النحل: ٨٠.

(٢) ينظر: الكافي: لأبي جعفر محمد الكليني، ومن لا يحضره الفقيه: لأبي جعفر بن بابويه القمي، وتهذيب الأحكام: لأبي جعفر محمد الطوسي.

(٣) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري: ١/ ١٤٥.

ليجيء بعد ذلك الإمام علي عليه السلام في كتابه (نهج البلاغة) في ذكر الحيوانات، واصفاً ومبيناً لها تارة، وتارة أخرى مشبهاً ومستعيراً ومكنياً، إذ يُعطينا منظومةً متكاملةً كان للحيوان دورٌ بارزٌ فيها، وتمثلُ الوحدات الدلالية للحيوان في نهج البلاغة ركناً من الأركان الرئيسة لوحدة الطبيعة، فهي وإن كانت ذات طابع متلون بأصناف الحيوانات المختلفة، إلا أنها في الدلالة على المعنى تتخذُ جانبين هما: المجاز والحقيقة، ومن الملاحظ أن الحيوان بصورة عامة قد احتل مكانة مرموقة في سياق النص حتى باتت الخطب تُسمى بأسماء حيواناتٍ مثل خطبتي: (الطاووس والغراب) وقد نالت (الإبل) الحظوة الكبرى على اختلاف تسمياتها وأنواعها.

ومما لا شك فيه إن ذكر الحيوان في نهج البلاغة نتيجة ارتباط العرب بهذا الكائن الحي، ومدى تأثرهم به وتأثيره في حياتهم اليومية.

وقد برع الإمام في وصف بعض الحشرات والطيور، فضلاً على الحيوانات الأخرى براعةً واضحةً وبتجسيدٍ رائع، يقول عليه السلام في خلقه الطيور وجمال التصوير: «ابْتَدَعَهُمْ خَلْقًا عَجِيبًا مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ؛ وَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنَعَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، مَا انْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْرِفَةً بِهِ، وَمَسَلَّمَةً لَهُ...»^(١) فالعرب تستطيع تصوير ذلك وإدراكه بالحس؛ طالما أنهم يرونه في حياتهم اليومية، وبالانتقال إلى صورة أخرى يلاحظ أن الإمام عليه السلام يتخذ من تسمية (الحيوان) صورةً تمثل بعض الطوائف لبعض الناس الفاسقين إذ يقول فيهم: «فَالصُّورَةُ صُورَةٌ

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١٦٥) / ٢٣٥ - ٢٣٦.

إِنْسَانٍ، وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانَ»^(١).

وفي ذلك تصويرٌ دقيقٌ لمن زلّت قدمه (فالصورة صورة إنسان وما بعده - فمراده بالحيوان هاهنا- الحيوان الأخرس كالحمار والثور - وليس يريد العموم لأن الإنسان داخل في الحيوان- وهذا مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٢)؛^(٣) لذا فإنَّ الإمامَ لَهُ نظرةٌ تأمليةٌ رمزيةٌ يرمزُ بها لكل ما حوله من أشخاصٍ أو أحداثٍ أو أشياءٍ ضمنَ حدود الحياة المختلفة.

(١) نهج البلاغة: الخطبة (٨٧) / ١١٩ .

(٢) الفرقان: ٤٤ .

(٣) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦ / ٣٧٤ .

المبحث الأول الحيوان المفترس

١- الأسد - الضرغام - اللبث

(الأسد: معروف، وجمعه: أسد وأساود)^(١)، و(آساد وآسد، مثل أجبال وأجبل، وأسود وأسد، مقصور مثقل، وأسد مخفف، وأسدان، والأنثى أسدة)^(٢)، و(الهمزة والسين والذال، يدل على قوة الشيء، ولذلك سمي الأسد أسداً لقوته)^(٤).

ومن المجاز: (استأسد عليه أي صار كالأسد في جرأته. واستأسد النبئ: طال وجنّ وذهب كل مذهب)^(٥).

وردت لفظة (الأسد) في نهج البلاغة أربع مرات^(٦)، يقول الإمام عليه السلام

(١) كتاب العين: (أسد): ٧ / ٢٨٦.

(٢) اعترض الجاحظ حول أنثى الأسد بقوله: (لا يقال أسدة، ويقال أسد ولبوة ولبوات) الحيوان: ٢ / ٢٨٥.

(٣) لسان العرب: (أسد): ٣ / ٧٢.

(٤) معجم مقاييس اللغة: (أسد): ١ / ١٠٦.

(٥) أساس البلاغة: (أسد): ١ / ٢٧.

(٦) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٣١) / ١٨٩، الخطبة (١٦٢) / ٢٣١، الكتاب (٢٨) /

٣٨٧، الكتاب (٢٦٣) / ٥٢١.

فِي سِيَاقِ التَّوْبِيخِ لِأَصْحَابِهِ وَالْكَشْفِ عَنْ صِفَاتِهِمْ غَيْرِ الْمَحْمُودَةِ: «أَيَّتْهَا
النُّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ، وَالْقُلُوبُ الْمُشْتَتَةُ... أَظَارَكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ
نُفُورَ الْمُعْزَى مِنْ وَعْوَعَةِ الْأَسَدِ!»^(١).

اخْتَارَ الْإِمَامُ ﷺ الْأَسَدَ وَهُوَ مِنْ أَقْوَى الْحَيَوَانَاتِ الْمَفْتَرَسَةِ الَّتِي تَشْكَلُ
حُضُورًا وَهَيْبَةً لَدَى الْمُتَلَقِّي، وَبِمَا يَفْرُضُهُ السِّيَاقُ؛ لِأَنَّ كُلَّ حَيْوَانٍ يَرْمِزُ إِلَى
دَلَالَةٍ مَعِينَةٍ خَاصَّةٍ بِهِ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَاخْتَارَ الْإِمَامُ ﷺ مِنَ الْأَسَدِ صَوْتَهُ؛ لِأَنَّهُ
أَشَدُّ وَأَقْوَى عَلَى نَفُورِ الْحَيَوَانَاتِ مِنْهُ، فَلَفْظَةُ (وَعْوَعَةٌ) اِكْتَسَبَتْ دَلَالَةَ الْقُوَّةِ
بِإِضَافَتِهَا إِلَى (الْأَسَدِ) وَتَكَمَّنُ الْمُنَاسِبَةُ لِهَذِهِ اللَّفْظَةِ ضَمْنَ السِّيَاقِ الدَّاخِلِي
لِلْخُطْبَةِ فِي التَّشْكِيلِ الصَّوْتِي مِنْ جِهَةٍ وَبَيْنَ الْأَدَاءِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَمِنْ
الْمَعْرُوفِ أَنَّ صَوْتَ الْأَسَدِ (الزَّيْر) الَّذِي يَكُونُ مِنْ صَدْرِهِ^(٢) يَذْكَرُ أَبُو الْفَتْحِ
الْمَعْرُوفُ بِكَشَاجِمِ (ت ٣٥٨) بِقَوْلِهِ: (وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ سِلَاحٌ إِلَّا زَيْرُهُ وَتَوَقَّدَ
عَيْنِيهِ وَمَا فِي صَدُورِ النَّاسِ مِنْ هَيْبَةِ لِكْفَاهِ)^(٣)، أَمَّا الْوَعْوَعَةُ فَهُوَ صَوْتُ
الذَّنَابِ وَالْكَلابِ وَبَنَاتِ آوَى^(٤)، فَلَمَّا ذَا اخْتَارَ الْإِمَامُ الْوَعْوَعَةَ لِلْأَسَدِ دُونَ
الزَّيْرِ فِي سِيَاقِ عَطْفِ الْمُخَاطَبِينَ لِطَرِيقِ الْحَقِّ وَبَيَانِ حَالِهِمْ؟

١. هُنَالِكَ رَوَايَاتٌ تُوَكِّدُ أَنَّ الْأَسَدَ مِنَ الْكَلَابِ وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ
فِي حَدِيثِ الرَّسُولِ ﷺ: (كَانَ لَهَبُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ يَسِبُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ...)

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١٣١) / ١٨٨ - ١٨٩.

(٢) ينظر: لسان العرب: (زأر): ٤ / ٣١٤.

(٣) المصايد والمطارد: أبو الفتح محمود بن الحسن: ٤٥ - ٤٦.

(٤) ورد في لسان العرب: (وعوع): ٨ / ٤١١ (من أصوات الكلابِ وبناتِ آوى ووعوعِ

الكلبِ والذئبِ ووعوعاً ووعوعاً عوى...).

«اللهم سلط عليه كلبك»... فجاء الأسد فانترعه فذهب به^(١)، وهذا يثبت أن الأسد كلبٌ، فجاز نسبة الوعوعة للأسد.

٢. المعنى الدلالي الذي أدته لفظة الوعوعة المتمثل في العلاقة بين الصوت ومعناه من خلال صوت الواو وهو من أصوات اللين^(٢)، وتجمع صوتي العين والواو صفة بين الشدة والرخاوة^(٣) هذه الصفات جعلت مساحة لامتداد الصوت وانسيابية أكثر. كما كان لتكرار حرفي الواو والعين أثر أسهم في بناء صيغ إفرادية داخل التركيب لقصد الدلالة حول معنى معين؛ بينما نجد لفظة الزئير قد ضمت صوت الزاي وهو من الأصوات الرخوة الذي يحوي صفة الصفير^(٤)، وكذلك صوت الهمزة وهو من الأصوات الشديدة^(٥) ويبدو أتمها حددت القرب من الأسد؛ لذا دلت صفات الحروف للفظه الوعوعة على الوضوح الصوتي أكبر بكثير من الزئير لأن له الأثر في التصويت وتداعيته على المستمع ويكمن الأثر في قوة الصوت.

٣. كما كانت مناسبة اختيار الحيوان (المعزى) دون غيره وتشبيههم به؛ لأنه يهرب بمجرد سماعه لوعوعة الأسد لا أن يراه أو يسمع زئيره إذ إن الإمام أراد التنبيه والتنويه لهم بإسماعهم صوت الحق، فشبهم بالمعزى

(١) المستدرك على الصحيحين: للحاكم: ٢ / ٥٨٨. وفي رواية أخرى أن الرسول ﷺ دعا على عتبة بن أبي لهب حيث أنه أقسم أن يقتل محمداً، فدعا عليه النبي ﷺ، فقال: «أكلك كلب الله» ففرقه الأسد قطعاً قطعاً ولم يأكل منه، ينظر: مستدرك سفينة البحار: النهازي: ١ / ١٢٧.

(٢) ينظر: سر صناعة الإعراب: ابن جني: ١ / ٨.

(٣) م. ن: ١ / ٦١.

(٤) ينظر: في البحث الصوتي عند العرب: د. خليل إبراهيم العطية: ٥٨.

(٥) سر صناعة الإعراب: ١ / ٦١.

التي ما أن سمعت وعوذة الأسد نفرت من دون رؤيته لأنها لو كانت رأته لكان استعمل لفظة الهروب بدل النفور^(١)، واستعمل الزئير بدل الوعوعة وهم كذلك ما إن نظروا الحق نفروا منه وقد عطفهم عليه، فكيف بهم إذا أمرهم باتباع طريق الحق؟ وقد صرّح الإمام في بداية كلامه بنفوسهم المشتتة وآرائهم المتفرقة!

لذا ومن هذا المنطلق نجد أنّ صوت الأسد داخل النص أدّى معادلة (وقع الأثر) على المتلقي فوق صوت الأسد أو أثر الحق ذو دلالة وتأثير على النفوس ومن هنا أعطى السياق الخطابي لصوت الأسد دلالة القوة والثبات والحضور للحق داخل النص من وقع صوت الأسد أو أثر الحق على النفوس مقابل النفور منها.

وفي سياق آخر يقول ﷺ مخاطباً معاوية: «وَأَنْتَى يَكُونُ ذَلِكَ وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمْ الْمُكَذِّبُ وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلَافِ وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٢).

إذ قصد الإمام ﷺ بـ(أسد الله) حمزة بن عبد المطلب؛ في حين قصد بـ(أسد الأحلاف) أبا سفيان^(٣)، والعرب تطلق لفظة الأسد على مقاتليها الشجعان؛ لإِنَّهُ مِنْ أَشْرَفِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي اتَّصَفَتْ بِصِفَاتِ أَفْرَدَتِهَا عَنْ بَقِيَةِ الْحَيَوَانَاتِ،

(١) يتضح من ذلك المعنى الذي أفادته لفظة النفور من النفرة أي التفرق وعدم تقبل الحق؛ بينما لفظة الهرب فتعني الفرار. ينظر: لسان العرب: (نفر): ٥ / ٢٢٤، (هرب): ١ / ٧٨٣.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب (٢٨) / ٣٨٧.

(٣) ورد في نهج البلاغة (ت: د. صبحي الصالح): ٦٨١ (أسد الله: حمزة. أسد الاحلاف: ابو سفيان، لأنه حزب الأحزاب وحالفهم على قتال النبي في غزوة الخندق).

ويضرب به المثل على القوة والشجاعة والنجدة والجرأة، لذا فقد وردت هذه اللفظة وروداً مجازياً في الدلالة على حمزة المعروف بشجاعته ودفاعه عن حمى الإسلام مقابل أبي سفيان الذي هياً وعبأ الاحلاف لقتال النبي ﷺ وقد جرت المقابلات في سياق النص بصورة متقاربة، اذ يكشف لنا السياق أنّ دلالة (أسد الله) هنا على القوة والشجاعة، ودلالة (أسد الاحلاف) فهي من السيادة أي سيادة القوم.

أمّا الضَّرْغَامُ فقد ذكره ابن منظور (ت ٧١١هـ) في معجمه: (الضَّرْغَمُ والضَّرْغَامُ والضَّرْغَامَةُ الأَسَدُ ورجل ضَرْغَامَةٌ شُجَاعٌ فِيمَا أَنْ يَكُونَ شُبَّهُ بِالْأَسَدِ وَإِمَا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ أَصْلًا فِيهِ) ^(١) («والأَسَدُ الضَّرْغَامُ»: هو الضَّارِي الشَّدِيدُ الْمُقَدَّامُ مِنَ الْأَسُودِ) ^(٢).

وردت هذه اللفظة مرة واحدة في سياق التنفير والإهانة والتحقير في قوله مخاطباً عمرو بن العاص: «فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا أَمْرِي ظَاهِرٌ غَيْهِ مَهْتُوكٌ سِتْرُهُ يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ وَيُسْفَهُ الْحَلِيمَ بِخِلْطِهِ فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ اتَّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضَّرْغَامِ يُلُودُ بِمَخَالِبِهِ وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيْسَتِهِ فَأَذْهَبَتْ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ» ^(٣) فقولُه: «اتَّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضَّرْغَامِ يُلُودُ بِمَخَالِبِهِ وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيْسَتِهِ» وهو اتباع عمرو ولمعاوية، وهو اتباع ذل واهانة؛ لأن (الكلب عندما يتبع الأسد يتبعه بذلة وخوف وفزع ينتظر ما تنفرج عنه مخالبه وما يفضل عنه من فريسته وليس هذا دأب الشرفاء

(١) لسان العرب: (ضرغم): ٣٥٧ / ١٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٧٦ / ٣.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب (٣٩): ٤١١.

وأصحاب الكرامة والدين)^(١).

وللفظة اللَّيْثُ معانٍ متعددة في المعجم: (اللَّيْثُ: الشدة والقوَّة. ورجلٌ مَلِيْثٌ: شديدُ العارضة وقيل: شديدٌ قويٌّ. واللَّيْثُ: الأسد والجمع لُيُوثٌ... وقيل اللَّيْثُ ضَرْبٌ مِنَ الْعَنَاكِبِ قَالَ: وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الدَّوَابِّ مِثْلُهُ فِي الْحِذْقِ وَالْحَتْلِ وَصَوَابِ الْوَثْبَةِ وَالتَّسْهِيدِ وَسُرْعَةِ الْحَطْفِ وَالْمُدَارَاةِ لَا الْكَلْبُ وَلَا عَنَاقُ الْأَرْضِ وَلَا الْفَهْدُ وَلَا شَيْءٌ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ وَإِذَا عَايَنَ الذَّبَابَ سَاقِطًا لَطَأَ بِالْأَرْضِ وَسَكَّنَ جَوَارِحَهُ ثُمَّ جَمَعَ نَفْسَهُ وَأَخْرَجَ الْوَثْبَ إِلَى وَقْتِ الْغِرَّةِ وَتَرَى مِنْهُ شَيْئًا لَمْ تَرَهُ فِي فَهْدٍ وَإِنْ كَانَ مَوْصُوفًا بِالْحَتْلِ لِلصَّيْدِ)^(٢).

وردت هذه اللفظة في نهج البلاغة مرة واحدة في سياق المدح لعبد ذكره الإمام عليه السلام قال: «فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثٌ غَابٌ وَصَلُّ وَادٍ لَا يُدْبِي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِيًا وَكَانَ لَا يَلُومُ أَحَدًا عَلَى مَا يَجِدُ الْعُدْرَةَ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ اعْتِدَارَهُ»^(٣) وقد استعمل الامام معادلا دلاليا للتعبير عن القوة والشجاعة في سياق المدح والقتال لهذا العبد.

٢- حِمَارُ الْوَحْشِ (العانة)

(حمار الزرد أو الوحش جنس حيوان من ذوات الحوافر وفصييلة الخيل معروف بألوانه المخططة)^(٤).

يقول القيرواني: (من عادة القدماء أن يضربوا الأمثال في المرثي بالملوك

(١) شرح نهج البلاغة (عباس الموسوي): ٤ / ٤٤٤.

(٢) لسان العرب (ليث): ٢ / ١٨٥.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب (٢٨٩) / ٥٢٦.

(٤) المعجم الوسيط: ١ / ٤١٠.

الأعزة، والأمم السالفة، والوعول الممتنعة في قلل الجبال، والأسود الخادرة في الغياض، وبحمر الوحش المتصرفة بين القفار، والنسور، والعقبان، والحيات؛ لبأسها وطول أعمارها^(١)، وردت هذه اللفظة مرة واحدة ضمن سياق الخطبة في ملاحم الفتن، يصف الإمام ﷺ أصحاب ذلك الزمان بأنهم قوم غافلون ومنهمكون في نعم الدنيا فتأتيهم الفتن وتهلكهم، كما أهلكت أقواماً آخرين^(٢)، إذ يقول ﷺ: «ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ... يَتَكَادِمُونَ فِيهَا تَكَادِمَ الْحُمْرِ فِي الْعَانَةِ»^(٣).

والتكادم^(٤) هنا: (التعاض بأدنى الفم)^(٥)، أمّا العانة: (الجماعة من حُمُر الوحش)^(٦).

المقام هنا مقام وصف لحالهم بعد طلوع الفتنة وللتحذير منها ودلالته هو (استعارة لفظة التكادم إمّا لمغالبة مثيري هذه الفتنة بعضهم لبعض أو مغالبتهم لغيرهم، وشبه ذلك بتكادم الحمر في العانة)^(٧) فوصف حالتهم التي يكونون عليها «أنهم يُشبهونها في عِضاضها ونفارها وفي ذلك ذم واستهانة

(١) العمدة: ابن رشيقي القيرواني: ١ / ١٦١.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم): ٣ / ٢٢٣.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة (١٥١) / ٢١٠.

(٤) من اسجاع العرب ما ورد في كتاب الأنواء: ابن قتيبة / ٢٥: (إذا طلع النّجم - يعني الثريا - فالحرُّ في حَدْم، والعُشْبُ في حَطْم، والعانات في كَدْم)، قال بشر بن حازم، الديوان، ١٣٤:

شَتَّيْمٌ تَرَبَّعَ فِي عَانَةٍ حِيَالٍ، يُكَادِمُ فِيهَا كِدَامًا

(٥) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩ / ١٤٣.

(٦) تهذيب اللغة: الأزهري: (عان): ١ / ٣٧٨.

(٧) شرح نهج البلاغة (ابن ميثم): ٣ / ٢٢٥.

بحالهم، وشهادة عليهم بقلّة العقل الذي لم ينتفعوا به في الخلاص من هذه الفتن»^(١)، ويشير السياق هنا الى ذم الناس آخر الزمان؛ لأنهم يتغالبون بينهم كتكادم الحمر الوحشية للحصول على مبتغاهم مع الغفلة^(٢)؛ لذا فقد جاءت دلالة (كدم) للحمر الوحشية بمعنى تغالب الناس فيما بينهم دلالة على وجود الفتن المؤدية الى التناحر فيما بينهم في ذلك الزمان.

٣- الحوت (الحيتان)

الحوت: (معروف). والجميع: الحيتان وهو السمك^(٣). وأحوات وحوتة^(٤) ورد (الحوت) مرة واحدة بصيغة الجمع في مقام التعظيم والتذكير بأن الله رب كل شيء يقول ﷺ: «وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ وَالْهَمْجَةَ إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحَيْتَانِ وَالْفَيْلَةِ وَوَأَى عَلَى نَفْسِهِ أَلَا يَضْطَرِبُ شَبْحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ إِلَّا وَجَعَلَ الْحِمَامَ مَوْعِدَهُ وَالْفَنَاءَ غَايَتَهُ»^(٥).

استهل الإمام ﷺ كلامه بقوله (سبحانه) لهذا الغرض - وهو التعظيم - يقول ابن الجوزي أنه: «لا خلاف بين أهل اللغة أن التسبيح هو التنزيه لله عز وجل عن كل سوء»^(٦).

تحتوي هذه المقطوعة الأدبية على مجموعة من الجمل الخبرية الرائعة،

(١) ألفاظ الحياة الاجتماعية في نهج البلاغة (أطروحة دكتوراة): حسام عدنان الياسري:

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم): ٢٢٥ / ٣.

(٣) كتاب العين: (حوت): ٢٨٢ / ٣.

(٤) المحيط في اللغة: الصاحب بن عباد: (حوت): ٢٤٥ / ١.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة (١٦٥) / ٢٣٩.

(٦) زاد المسير: ابن الجوزي ٣ / ٣٥١.

وجميعها تدل على تنزيه الذات الالهية، مثل استعمال الإمام عليه السلام أفعال ماضية (ادمج، وأى، أولج) وكل هذه الافعال انما تدل على تعظيم الذات الالهية بذكر نعم الله على العباد، فنعمه كثيرة، ووصف الإمام عليه السلام لخلقه عظيم، والحق ان النص خرج الى معنى التعظيم أي تعظيم الامر في نفوس السامعين.

ولهذا يغدو المعنى المجازي في سياق النص هو التعظيم والإخبار عن خلق الذرة والهمجة الى عجيب خلق الأكبر فالأكبر من الحوت والفيل، وهو دليل وحجة على قدرة الباري على خلق أصغر الأشياء مثل: الذرة إلى اعظمها مثل: الحوت والفيل وهما أكبر المخلوقات، ويعين السياق على اثبات القدرة الإلهية لله سبحانه وتعالى في إدارة هذا الكون، فعبر الإمام عليه السلام عن الحوت في مقام الخلق ودلالة التعظيم لله بقرينة الذكر.

٤- الحية

اشتقت الحية (من الحياة، ويقال: هي في أصل البناء: حيوة. ولكنّ الياء والواو إذا التقتا وسكنت الأولى منهما جعلتا ياءً شديدة...) (١).

لقد وظّف نهج البلاغة هذا المخلوق أربع مرات، ثلاث منها مجازية (٢) خرجت لغرض التشبيه، وواحدة حقيقية (٣).

وردت هذه اللفظة في تعبيرين متشابهين؛ وعندما ندقق النظر نجد أنّ كل تعبير له سمة خاصة به، يختلف عن التعبير الآخر، ودلالة معيّنة يكشف

(١) كتاب العين: (حيو): ٣ / ٣١٧.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٢٢٤) / ٣٤٧، الكتاب (٦٨) / ٤٥٨، الكتاب (١١٩) / ٤٨٩.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٢٦) / ٦٨.

عنها السياق، فمن ذلك كتاب الإمام عليه السلام إلى سلمان الفارسي: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ: لَيِّنٌ مَسُّهَا، قَاتِلٌ سَمُّهَا؛ فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا، لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا»^(١). وقوله عليه السلام في حكمة له: «مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا، وَالسَّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا، يَهْوِي إِلَيْهَا الْعَرُّ الْجَاهِلُ، وَيَحْذَرُهَا ذُو اللَّبِّ الْعَاقِلُ!»^(٢).

جاء التعبير الأول مشابهاً للثاني، إذ شبه الدنيا بالحيّة في لين ملمسها في دلالة على الرفاهية في الدنيا والعيش الكريم، بينما هذه الحيّة تضم في جوفها السم القاتل أي إن من يتعلق بالدنيا فستهلكه لا محالة^(٣)، ويكمن الاختلاف في وصف السّم فمرة يقول: «قَاتِلٌ سَمُّهَا» ومرة: «وَالسَّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا» فهما مختلفان وكل واحد منهما له دلالة معينة؛ يكشفها السياق لنا بعدة معطيات منها:

١. اختلاف المخاطب ففي القول الأول كان الخطاب فيه تخصيص وهو إلى (سلمان الفارسي)^(٤)، في حين كان خطاب القول الثاني دالاً على العموم.
٢. في القول الأول وردت أداة تشبيه واحدة وهي: (مثل)، وفي القول الثاني أداتان تشبيهيتان وهما: (كاف التشبيه، ومثل) وهما تفيضان التأكيد على المشابهة فضلاً على القوة في التشبيه^(٥) بين الدنيا والحيّة في القول الثاني.

(١) نهج البلاغة: الكتاب (٦٨) / ٤٥٨.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب (١١٩) / ٤٨٩.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم): ٢١٨ / ٥.

(٤) ذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج، ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٨ /

٣٤ - ٤٢.

(٥) ينظر: لسان العرب: ٩ / ٢٤٧.

٣. إنّ الخطاب الأول جاء في سياق التحذير من الدنيا، والخطاب الثاني جاء في سياق التحذير من الدنيا ايضاً؛ ولكن حينما اختلف المخاطبان اختلف القصد لاختلاف المقام ومن هنا يبدو لنا أن الإمام عليه السلام قد قصد بالدنيا في القول الأول هي (الخلافة) التي توّلاها سلمان على المدائن بقرينة قوله «قَاتِلْ سُمَّهَا» أي انها مثل الحية لا محالة ستصيبك وهي متعرضة لك ومقبلة عليك (فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا) وفي الصورة الثانية السُّم يبقى في جوفها ناقعاً^(١) متى ما انغر بها صاحب الهوى لدغته؛ في حين العاقل يجذرها فلا ينغر بها، ولا يقترب فيبدو لنا قصد الإمام عليه السلام بهذه الدنيا هنا هو (الميل للدنيا واتباع الهوى) بدلالة أداتي التشبيه (الكاف ومثل).

٤. التقديم والتأخير: تقديم الصفة (اسم الفاعل) على موصوفها في القول الأول، وفي عود الضمير الهاء بقوله: «قَاتِلْ سُمَّهَا» على الحية؛ في ين تأخر الصفة عن موصوفها في القول الثاني: «وَالسُّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا» لذا فالتقديم والتأخير له دور مؤثر في سياق النص والمعنى واذا (تغير النظم فلا بد أن يتغير المعنى)^(٢)، إنّ إختلاف معنى صفة السم فيه بيان ودلالة واضحة على خطورة الدنيا المتعرضة لك في القول الأول إذ إنّ الصفة ثابتة في السم على حين أنّ صفة السم الأخرى لا تبين خطورتها الا لمن تعرض لها. ومن هنا يتضح الاختلاف في استعمال لفظه (الحيّة) في سياق النص،

(١) ذكر الزمخشري في أساس البلاغة: (نقع السم في ناب الحية: اجتمع فيه)، قال النابغة:

الديوان/ ٥٤

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَيْلَةٌ مِنْ الرُّقْشِ، فِي أُنْيَابِهَا السُّمُّ نَاعِقٌ

(٢) دلائل الإعجاز: ٢٦٥.

ولذا فدلالة صورة الحية الأولى تختلف عن دلالة صورة الحية الثانية إذ أراد الإمام عليه السلام بهما مفاهيم خاصة مرة قصد بها (الخلافة) ومرة (الميل للدنيا واتباع الهوى).

وفي سياق آخر وردت لفظة (الحيّة) بصيغة الجمع ودلّت على معنى العدو «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ - وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ - وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ - مُنِيحُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشِنِ وَحَيَاتٍ صُمٌّ»^(١). إذ يكشف النص عن تأثير المكان والبيئة في العرب من خلال ما ذكره الإمام عليه السلام في مقابلة دلالية، فقوله: «حيات صم» أي: العدو واستعمل الإمام عليه السلام لفظة الصم للحيات كونها لا تنزجر بصوت وتهرب فهي لا تسمع، كذلك اعداؤهم لا يهابونهم وقد ذهب ابن أبي الحديد إلى هذا المعنى المجازي ورأى بأنه الأحسن^(٢).

٥- الخنزير

الخنزير على وزن (فُعَيْلٌ مِنْ الْخَزْرِ فِي الْعَيْنِ)^(٣)، (حيوان دجون من الفصيلة الخنزيرية)^(٤)، (يشارك بين البهيمة والسبعية، فالذي فيه من السبع النَّاب وأكل الجيف، والذي فيه من البهيمة الظلف وأكل العشب والعلف)^(٥).

(١) نهج البلاغة: الخطبة (٢٦) / ٦٨.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة: (ابن أبي الحديد): ١٩ / ٢.

(٣) المنجد في اللغة: كراع النمل: ٦٨ / ١.

(٤) المعجم الوسيط: ٥٣٩ / ١.

(٥) حياة الحيوان الكبرى: الدميري: ٣٠٥ / ١.

جاء ذكره في القرآن الكريم بتحريمه ووصف بأنه رجس^(١)، قال الدكتور النجار في وصفه: (الخنزير حيوان كرية المنظر، ضخمة الجثة، كتلي الشكل، مكتمن اللحم، قصير الأرجل، له جلد سميك، عليه شعر خشن، وله بوز طويل وأنيابه قوية)^(٢).

جاء ذكر الإمام عليه السلام لهذه الحيوان الكرية مرة واحدة في مقام التنفير من الدنيا والهوان بها وقال عليه السلام: «وَاللَّهِ لَدُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَهْوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عِرَاقِ خِنْزِيرٍ فِي يَدٍ مَجْدُومٍ»^(٣)، روي (عراق) بضم العين وكسرهما ولكل معنى خاص بها^(٤)، والعرق (هو العظم الذي أُخِذَ عنه اللحمُ وقال مرّة هو العظم الذي أُخِذَ أكثر ما عليه من اللحم وبقي عليه شيءٌ يسير، والجمع عراقٌ بالضم. وهو من الجمع العزيز وله نظائر قليلة قالوا رِخْلٌ ورُخَالٌ وظِئْرٌ وظُؤَارٌ وتَوَامٌ وتَوَامٌ)^(٥)؛ أمّا بكسر العين فهو (من الحشا ما فوق السرة معترضا البطن)^(٦). وأميل إلى القول الأول برواية الضم لأن العظم أهون من الحشا.

استعمل الإمام عليه السلام أشبع صور التنفير من الدنيا وقد مثل لها بصورة حسية جاءت في سياق النفور (وذلك مبالغة في هوان الدنيا وحقارتها في عينه ونفرته عنها لأن العرق لا خير فيه فإذا تأكد بكونه من خنزير ثم بكونه

(١) والرجس هو: (كلُّ شيءٍ يُسْتَقَدَّرُ فهو رَجْسٌ كالخنزير) كتاب العين (رجس): ٦ / ٥٢.

(٢) الحيوان في القرآن الكريم: الدكتور زغلول النجار: ٣٦٠.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب (٢٣٦) / ٥١٠.

(٤) فقد روى ابن أبي الحديد في شرحه بضم العين: ينظر: ١٩ / ٦٧، ووردت عند ابن ميثم

البحراني في شرحه بكسر العين: ينظر: ٥ / ٣٦٠.

(٥) المخصص: ابن سيده: ١ / ٣٧٠.

(٦) المعجم الوسيط: ٢ / ٩٧.

في يد مجذوم بلغت النفرة منه الغاية^(١).

وفي تحليل هذا الجانب نجد الضمير الكاف للتملك في (دنياكم) أي ان الإمام عليه السلام خصص الدنيا بضمير المخاطب للجماعة (الكاف) فلم يقل (الدنيا) مما يدل على أن المخاطبين كانوا ممن اقبلوا على الدنيا، وتكالبوا عليها ولشدة ما رأى منهم اراد الإمام عليه السلام ان يخرج حب الدنيا من قلوبهم لذا فالسياق تحدث عن هوان الدنيا عندما رأى من حوله من المتشبهين بها، فاستعمل عظم الخنزير الذي خلي من اللحم، والخنزير حيوان كرهه المنظر فتصوروا أخذ هذا العُراق من يد مجذوم؟ فهنا يكون النفور وصل أكبر الغاية في التصوير وأصبحت الدنيا أهون في عينه وكان للمثل دورٌ مؤثرٌ في سياق التنفير ودلالته.

٦- الذئب

(كَلْبُ الْبَرِّ وَالْجَمْعُ أَدْوَبٌ فِي الْقَلِيلِ وَذئَابٌ وَذُؤْبَانٌ وَالْأُنْثَى ذئْبَةٌ يُهْمَزُ وَلَا يُهْمَزُ وَأَصْلُهُ الْهَمْزُ)^(٢)، وهو (اسم جامد للحيوان المفترس المعروف، وزنه فعل بكسر فسكون)^(٣).

و(يقال لصعاليك العرب وأصوصها ذؤبانٌ لأنهم كالذئاب... ورجلٌ مذؤوبٌ وقع الذئب في غنمه)^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة (ابن ميثم): ٥ / ٣٦٠.

(٢) لسان العرب: (ذأب): ١ / ٣٧٧.

(٣) الجدول في اعراب القرآن: محمود صافي: ١٢ / ١٥٨.

(٤) لسان العرب: (ذأب): ١ / ٣٧٧.

يضرب الذئب كرمز للخيانة والغدر^(١)، وقد جاء في الأمثال (أغدر من ذئب)^(٢)، وقد جاء ذكره في القرآن مقترنا بزمن النبي يعقوب عليه السلام لأنه السبع الغالب في قطره ولصغر يوسف عليه السلام^(٣)، وهنالك من النقاد من يرى أن رمز الخير للذئب حاضر في كلام الادباء العرب^(٤).

وكان ذكر هذا الحيوان وصفته المشهورة بالغدر، إذ تكرر ذكره في نهج البلاغة (ثلاث مرات) مرتين بصيغة المفرد ومرة بصيغة الجمع، قال الإمام عليه السلام: «وإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ! فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذَّئْبِ»^(٥).

وفي موضع آخر يقول للولادة من عماله «واختطفت ما قدّرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى الكسيرة»^(٦).

فهناك فرق واضح بين القولين في الدلالة، جاء سياق النص الأول مذكراً برمزية هذا الحيوان واقترانه بالشیطان في كل فعل يدعو الى التفرقة وجاء تشبيه الشيطان بالذئب في الافتراض مناسباً لسياق القول إذ يتحدث الإمام عليه السلام عن الفرقة وعدم الاجتماع على كلمة واحدة، فالفرقة تولد الذهاب الى الشيطان،

(١) ينظر: الحيوان: الجاحظ: ٤ / ٤٨ .

(٢) مجمع الامثال: ابو الفضل النيسابوري: ٢ / ٦٧ .

(٣) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ابو حيان الاندلسي: ٥ / ٢٨٦ .

(٤) ينظر: الذئب والقطا في لامية العرب (بحث): د. عبد الجليل صرصور: ٢٧، مجلة جامعة

الاقصى، العدد الأول، المجلد التاسع، ذو القعدة ١٤٢٥ هـ - كانون الثاني ٢٠٠٥ م.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة (١٢٧) / ١٨٤ .

(٦) نهج البلاغة: الكتاب (٤١) / ٤١٣ .

فهنا تشبيه صورة الشيطان بالذئب بخصيصة (الافتراس)، الذئب حصل على صيده بسهولة فكأنك تسير الى الشيطان حين لا تتبع نهج الحق فدلالة الذئب هنا هم الخوارج وما حملوه من فتنة.

وفي النص الثاني دلّ سياق الذئب فيه على الحاكم الخائن الظالم الذي يسرق أموال الأرامل واليتامى، فقد أعطى الإمام عليه السلام لهذا الذئب صفة (الأزل) أي (الخفيف الوركين السريع العدو)^(١) كذلك الحاكم يتنقل من مكان لآخر سارقاً أموال الرعية وأعطى للمعزى الكسيرة صفة الدامية كناية عن سوء أحوال الأرامل واليتام (والذئب) يطمع بها لكونها دامية.

يصوّر الإمام عليه السلام الذئب بصورتين يراد منهما دلالتين:

١- صورة الذئب المفترس (فتنة الخوارج).

٢- صورة الذئب المختطف (الحاكم الخائن).

فدلالة الذئب في الصورة الأولى هي (القتل والافتراس)؛ في حين يدل في الصورة الثانية على (الخيانة والغدر).

٧- السَّبْعُ

السَّبْعُ: (واحد السَّبَاعِ والأثنى سَبْعَةٌ)^(٢)، و(السين والباء والعين أصلان مطردان صحيحان: أحدهما في العَدَدِ، والآخر شيءٌ من الوحوش)^(٣)، وقيل بأن السبع (كل ما له نابٌّ كالأسد والنمر والذئب، أو ما له مخلب كالصقر

(١) شرح نهج البلاغة (ابن ميثم): ٥ / ٩٢.

(٢) كتاب العين: (سبع): ١ / ٣٤٤.

(٣) معجم مقاييس اللغة: (سبع): ٣ / ١٢٨.

والحدأة، ويعدو على الناس والدواب ويفترسها...^(١)، ويبدو أن السبع مفهوم عام أريد به كل حيوان يحمل صفات الوحشية.

تكررت هذه اللفظة في نهج البلاغة ست مرات، والدلالة الغالبة لتكرارها المجاز، إذ يقول الإمام علي عليه السلام في خطبة له يذكر بها الملاحم ويعرج على ذكر الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله: «فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمْ الْأَمْرَ فَلَقَ الْحُرْزَةَ وَقَرَفَهُ قَرَفَ الصَّمْغَةِ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَحَدَ الْبَاطِلِ مَا خِذَهُ وَرَكِبَ الْجُهْلُ مَرَائِبَهُ وَعَظُمَتِ الطَّاعِيَةُ وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبْعِ الْعُقُورِ»^(٢)؛ ثم يقول في الخطبة نفسها، حين يصف أهل ذلك الزمان بعد هجر الدين واستحباب الكذب وكره الصدق: «وَكَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ذُنَابًا وَسَلَاطِينُهُ سِبَاعًا وَأَوْسَاطُهُ أَكَالًا وَقُرَاؤُهُ أَمْوَاتًا...»^(٣).

ينظر إلى أنه ورد التكرار لهذه اللفظة ضمن الخطبة بصيغتي (المفرد والجمع) والتكرار هنا اسهم في ربط بنيات النص بعضها مع الآخر ليعطي القيمة الدلالية للنص، ففي الصورة الأولى ترد صورة الدهر وتشبيهه بالسبع المنقض على فريسته بدلالة مفردة عقور، والعقور: (هو كل سبع يعقر أي يجرح ويقتل ويفترس كالأسد والنمر والذئب والفهد وما أشبهها)^(٤) مما يعطي السياق دلالة واضحة على الفتنة وعلى قوة ذلك الدهر وعلى العدوان وارتكاب الظلم بغير وجه حق، وفي الصورة الثانية ذم واستنكار، إذ شبه

(١) فقه اللغة وسر العربية: الثعالبي: ٢٦، معجم اللغة العربية المعاصر: أحمد مختار عمر: ١٠٢٧ / ٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة (١٠٨) / ١٥٧.

(٣) م.ن.

(٤) لسان العرب: (عقر): ٥٩١: ٤.

سلاطين ذلك الزمان بالسباع دلالة على قوتهم وسطوتهم على أهل ذلك الزمان (الرعية) الذين شبههم بالذئاب ومن الطبيعي أن السبع أكثر قوة وسطوة من الذئب فجاء اختيار لفظة (سباعاً) مناسباً للسياق للدلالة على أن سلاطين ذلك الزمان يعتدون على حقوق الرعية، فقابل الإمام عليه السلام الكل وهو (السباع) بالجزء وهو (الذئاب)، والرعية أو الأوساط يفترس أحدهم الآخر ويسرق بعضهم بعضاً بدلالة (ذئاباً) وفقراء ذلك الزمان لا حول لهم ولا قوة بدلالة (أمواتاً).

وفي نص آخر يقول عليه السلام: «اللِّسَانُ سَبْعٌ إِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ»^(١).

نجد ان الإمام عليه السلام قد وظف (السبع) توظيفا استعاريا داخل السياق إذ استعار لاطلاق اللسان وعدم السيطرة عليه صفة العقر: أي الجرح، فالسبع واللسان ان تركا جرحا ولذا فالسياق يدل على الحذر وعدم إطلاق اللسان.

٨- الضَّبُّ

الضَّبُّ (يُكْنَى أبا حِجْلٍ العَرَبُ تقول: الضَّبُّ قاضي الطير والبهايم وإنما اجتمعت إليه أول ما خلق «الله» الإنسان فوصفوه له فقال الضَّبُّ: تَصْفُونَ خَلْقًا يُنْزِلُ الطيرَ من السماء ويُجْرِجُ الحُوتَ من الماء فمن كان ذا جناحٍ فليطِرْ ومن كان ذا حافرٍ فليحفِرْ)^(٢) و(الضب: بفتح الضاد، حيوان بري معروف يشبه الورل، قال أهل اللغة: وهو من الأسماء المشتركة فيطلق على ورم في خف البعير وعلى ضبة الحديد، والضب اسم للجبل الذي بمسجد الحيف

(١) نهج البلاغة: الكتاب (٦٠) / ٤٧٨.

(٢) كتاب العين: (ضَبُّ): ٧ / ١٤.

في أصله. وضبة الكوفة وضبة البصرة قبيلتان من العرب... والجمع ضباب وأضب مثل كف وأكف والأنثى ضببة قالت العرب: لا أفعله حتى يرد الضب، لأن الضب لا يرد الماء. قال ابن خالويه، في أوائل كتاب ليس: الضب لا يشرب الماء ويعيش سبعائة سنة فصاعداً^(١).

ومما وجدته في وصف الجاحظ ت (٢٥٥هـ) لجر الضب وصفاً جميلاً الذي يقول عنه: «بأنه لا يحفر إلا في كدية، ويطيل الحفر حتى تفنى برائنه، ويتوخم به الارتفاع عن مجاري السيل والمياه، وعن مدق الحوافر، لكيلا ينهار عليه بيته»^(٢).

نجد ان الجاحظ ت (٢٥٥هـ) قد اعطى علائم لجر الضب ويرد هذا الجحر لهذا الضب في سياق النص في نهج البلاغة بمعنى الهروب والخوف قال الإمام علي عليه السلام في توبيخ بعض أصحابه «كَمْ أَدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارِي الْبَكَارُ الْعَمْدَةُ وَالثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةُ كُلَّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهْتَكْتُ مِنْ آخَرٍ كُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنْاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ وَأَنْجَحَرَ أَنْجَحَارَ الضَّبِّ فِي جُحْرِهَا وَالضَّبُعِ فِي وَجَارِهَا»^(٣)، والبكار: (جمع بكر وهو الفتى من الإبل، والعمدة التي قد انشدخت أسنمتها من داخل، وظهرها صحيح وذلك لكثرة ركوبها)^(٤)، فقد كانت مداراته لهم كمدارة الإبل الفتية التي أصابها المرض فتكون مداراتها أكثر من المسنة، وقد وصفهم بالثياب المتداعية لأنه كلما حاول جلبهم الى طريق الحق انجحروا وانجحار الضب في جحره

(١) حياة الحيوان الكبرى: ١ / ٤٤٥.

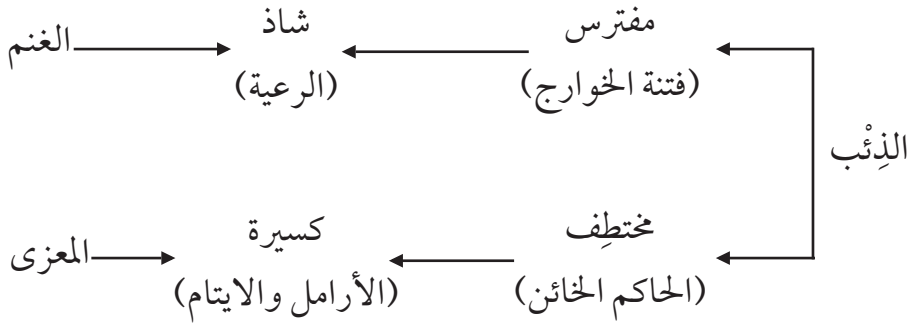
(٢) الحيوان: الجاحظ: ٢ / ١٤.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة (٦٩) / ٩٨ - ٩٩.

(٤) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦ / ١٠٢.

وقد اختار أنثى الضب لأنّ الأثى تكون أجبن وأذل من الذكر للدلالة على شدة خوفهم من مناسر أهل الشام فهو كلما طل عليهم منسر: أي: (قطعة من الجيش)^(١) اختفوا كما تختفي الضبة في جحرها والضع في وجاره: أي بيته^(٢) ويؤكد سياق النص لحالهم في الوصف دلالة واضحة على الجبن والهروب.

وفي سياق مختلف ترد لفظة الضب بمعنى (الحقد)^(٣) والغل يقول في ذكر أهل البصرة: «كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ لَا يَمُتَّانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلِ وَلَا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ ضَبٌّ لِصَاحِبِهِ وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ»^(٤) وفي سياق آخر نجد هذه اللفظة دلّت على الهزيمة وترك طريق الحق «وَكَاثِي أَنْظَرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُونَ كَشِيشَ الضَّبَابِ لَا تَأْخُذُونَ حَقًّا وَلَا تَمْنَعُونَ ضَيْبًا قَدْ خُلِّيتُمْ وَالطَّرِيقُ فَالْنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ وَالْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ»^(٥). والكشيش هو حك جلودها بعضها ببعض وإصدار صوت



(١) شرح نهج البلاغة (عباس الموسوي): ١ / ٤١٠.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (عباس الموسوي): ١ / ٤١٠.

(٣) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩ / ١٠٩.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (١٤٨) / ٢٠٦.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة (١٢٣) / ١٨٠.

وهو في الأفعى والضباب كذلك^(١) أي أنكم تتهامسون فيما بينكم وتتكلمون بما لا يفهم ككشة الضباب وهو دلالة على الهزيمة والخوف من الاعداء.

٩- الضَّبُع

(قَالَ اللَّيْثُ: الْمَضْبَعَةُ: اللَّحْمَةُ الَّتِي تَحْتَ الْإِبْطِ مِنْ قُدْمٍ، بَضْمٌ الْقَافِ وَالِدَالِ. وَضَبَعَهُ، كَمَنَعَهُ: مَدَّ إِلَيْهِ ضَبَعَهُ لِلضَّرْبِ. قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: يُقَالُ: قَدْ ضَبَعَ الْقَوْمُ مِنَ الشَّيْءِ، وَمَنْ الطَّرِيقَ لَنَا ضَبْعًا، أَيْ جَعَلُوا لَنَا مِنْهُ قِسْمًا وَأَسْهَمُوا لَنَا فِيهِ، كَمَا تَقُولُ: ذَرَعُوا لَنَا طَرِيقًا. ضَبَعَ فُلَانٌ ضَبْعًا: جَارَ وَظَلَّمَ، عَنِ أَبِي سَعِيدٍ. يُقَالُ: ضَبَعَ عَلَى فُلَانٍ ضَبْعًا: مَدَّ ضَبْعِيَهُ لِلدُّعَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَعِيرَ الضَّبْعُ لِلدُّعَاءِ لِأَنَّ الدَّاعِيَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ، وَيُمَدُّ ضَبْعِيَهُ)^(٢).

(وَالضَّبْعُ: السَّنَةُ الشَّدِيدَةُ الْمُهْلِكَةُ الْمُجْدِبَةُ، مَوْثٌ؛ قَالَ عَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ: «أَبَا خُرَاشَةَ أَمَا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ، فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمْ الضَّبْعُ»)^(٣).

وقد وردت لفظة الضبع في نهج البلاغة أربع مرات في سياقات مختلفة ومعانٍ متغايرة، منها (التتابع للمبايعة) حين قال في خطبته المعروفة بالشقشقية: «فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبْعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ»^(٤) قوله بِسْمِ اللَّهِ: «كعُرفِ الضَّبْعِ». قال ابن فارس: (العين والراء والفاء أصلان صحيحان، يدلُّ أحدهما على تتابع الشيء متصلاً ببعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة. فالأول العُرف: عُرف الفرس. وسمِّي

(١) ينظر: اختيار مصباح السالكين: ٢٧٩.

(٢) تاج العروس: (ضبع): الزبيدي: ٣٥٨: ٢١.

(٣) لسان العرب: (ضْبِعُ): ٢١٦ / ٨.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (٣) / ٤٩.

بذلك لتتابع الشعر عليه^(١). أي أن تتابع الناس على الإمام عليه السلام كتتابع الشعر في الضبع مما يلي الرقبة؛ لأن (عرف الضبع ثخين، ويضرب به المثل في الازدحام)^(٢). ومنها (اليقظة وعدم تسليم الأمر للآخرين والانخداع بهم): «وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبْعِ تَنَامٌ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا وَيُخْتَلِّهَا رَاصِدُهَا وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ»^(٣) في كلامه على بني الزبير، واللدّم: (اللّدّم: ضرب المرأة صَدْرَهَا... واللدّم واللطم واحد)^(٤)، وفي حديث الإمام عليه السلام: «ذلك أن الصياد يجيء إلى جحرها فيصوتُ بحجر فتخرجُ الضبعُ فيأخذها وهي من أحمق الدواب»^(٥) فضرب الصياد بحجر دلالة على اللدم، ومنها (انتقاض حكم بني أمية لأن دلالة الضباع هنا هو حكم الأراذل بعدهم) إذ يقول: «إِنَّ لِبَنِي أُمَيَّةٍ مَرُودًا يَجْرُونَ فِيهِ وَلَوْ قَدْ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ كَادَتْهُمْ الضَّبَاعُ لَعَلَبَتْهُمْ»^(٦) قال الرضي (ت ٤٠٦): (والمروء هنا مفعول من الإرواد وهو الإمهال والإظهار وهذا من أفصح الكلام وأغربه فكأنه عليه السلام شبه المهلة التي هم فيها بالمضمار الذي يجرون فيه إلى الغاية فإذا بلغوا منقطعها انتقض نظامهم بعدها)^(٧).

(١) معجم مقاييس اللغة: (عرف): ٤ / ٢٨١.

(٢) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١ / ٢٠٠.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة (٦) / ٥٣.

(٤) تهذيب اللغة: (لدم): ١٤ / ١٣٤.

(٥) م. ن: ١٤ / ١٣٥.

(٦) نهج البلاغة: الكتاب (٤٦٤) / ٥٥٧.

(٧) نهج البلاغة: الكتاب (٤٦٤) / ٥٥٧.

١٠- الفيل

(الفيل معروف وجمع أفيال وفِيُول وفَيْلَة قال ابن السكيت ولا تقل أفيلة والأنثى فيلة)^(١) «تفيل» رأيه ضعف وسمن حتى صار كالفيل والنبات اكتهل)^(٢).

وردت هذه اللفظة في نهج البلاغة مرتين، قال ﷺ مخبراً عن الملاحم في البصرة: «وَيْلٌ لِسِكِّكُمْ الْعَامِرَةَ وَالذُّورِ الْمَزْحَرَفَةِ الَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ النَّسُورِ وَخَرَاطِيمٌ كَخَرَاطِيمِ الْفَيْلَةِ»^(٣).

في سياق النص دلالة على تصوير جمالية القصور والمنازل في البصرة إذ شبه شرفها وبروجها بأجنحة النسور وخراطيم الفيلة)^(٤)، وخراطيم جمع خرطوم والمقصود أعمدة الميازيب النازلة التي تحفظ الجناح أي الحيطان من أذى السيل وما أشبه ذلك^(٥).

١١- الكلب

(الكلب: واحد الكلاب، والأنثى بالهاء وثلاثة أكلب وكلبات)^(٦)، (والكلابُ المُكَلَّبُ: الذي يُعَلِّمُ الكِلَابَ أَخَذَ الصَّيْدَ... وَالْكَلْبُ الكَلْبُ: الذي يَكَلِّبُ بِأَكْلِ لَحْمِ النَّاسِ فَيَأْخُذُهُ كَالجُنُونِ).

(١) لسان العرب: (فيل): ١١ / ٥٣٤.

(٢) المعجم الوسيط: ٢ / ٣٣١.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة (١٢٨): ١٨٥.

(٤) أعلام نهج البلاغة (السرخسي): ١٢٥.

(٥) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٢ / ٢٧٦.

(٦) كتاب العين: (كلب): ٥ / ٣٧٥.

وَكَلِبَ الرَّجُلُ: أَصَابَهُ الْكَلْبُ وَهُوَ أَنْ يَعْوِي عَوَاءَ الْكَلْبِ، وَرَجُلٌ كَلِيبٌ وَرَجَالٌ كَلْبِيٌّ^(١).

وقيل أنّ الكلب (كُلُّ سَبْعِ عَقُورٍ)^(٢)، ونجد أن الامام علي عليه السلام قد ذكر هذه المفردة في ثلاثة مواضع، تحدّث عن مروان بن الحكم بالبصرة حينما أراد مبايعته: «لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَيْتِهِ أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعَقَةَ الْكَلْبِ أَنْفَهُ»^(٣) لعقة الكلب (كناية عن قلة اللبث واللعق: اللحس)^(٤)، والسياق في استعماله لهذه اللفظة داخل النص يكشف عن دالتين:

الأولى: قصر المدة التي يحكم بها مروان (فقد عرفت أنّ إمرته كانت تسعة أشهر أو ثمانية أشهر)^(٥).

الثانية: عدم الفائدة من حكمه لأن لعق الكلب أنفه لا فائدة فيها وكذلك مدة حكمه القصيرة.

١٢ - الْوَحْشُ

(الواو والحاء والشين: كلمة تدلُّ على خلاف الإنس. توحَّش: فارَّقَ الأُنس. والوَحْش: خلاف الإنس)^(٦) وهو (كلُّ شيءٍ من جواب البرِّ مما لا يَسْتَأْنَسُ مُؤْنِثٌ وَهُوَ وَحْشِيٌّ وَالْجَمْعُ وَحُوشٌ... وَمَكَانٌ وَحْشٌ خَالٍ وَأَرْضٌ

(١) المحيط في اللغة: (كلب): ٥٢ / ٢.

(٢) لسان العرب: (كلب): ٧٢٢ / ١.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة (٧٣) / ١٣٠.

(٤) حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة: النيسابوري: ٤٤٧ / ٢.

(٥) ينظر: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ٦٠٢ / ٥.

(٦) معجم مقاييس اللغة: (وحش): ٩١ / ٦.

وَحَشَّةٌ بِالتَّسْكِينِ أَيَّ قَفْرٍ^(١).

وردت هذه اللفظة أربع مرات قد تكررت في ثلاثة مواضع بصيغة الجمع، وقد جاءت هذه اللفظة للدلالة على أن الله (سبحانه وتعالى) محيط بكل شيء يقول: (يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ وَمَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ وَاخْتِلَافَ النَّيْنَانِ فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ وَتَلَاطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَّاحِ الْعَاصِفَاتِ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبُ اللَّهِ وَسَفِيرٌ وَحِيَهُ وَرَسُولٌ رَحْمَتِهِ)^(٢).

ينظر الجدول الإحصائي رقم (١) للوحدات الدلالية للحيوان المفترس

- صفحة ٢٩٥.

(١) لسان العرب: (وحش): ٦ / ٣٦٨.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة (١٩٨) / ٣١٢.

المبحث الثاني الحيوان الأليف

١- الإبل وما يتصل بها

(وللعرب اليد الطولى في تربية الابل والقيام على نتاجها وطلب الانتاج لها لارتياح مراعيها ومفاحص توليدها لشدة الاحتياج اليها في بلادهم فهي مراكبهم التي يحملون عليها احمالهم وينقلون ائقاهم ويأكلون لحومها ويقتاتون من البانها ويكتسون من اوبارها ويقايضون عليها في المبيعات ويفتدون اسراهم بها عند نزول الزوجات وبالجملة والتفصيل هي مصدر غناهم)^(١).

ولما حازه هذا الحيوان من مكانة لدى العرب؛ كونه أكثر ملاءمة للبيئة الصحراوية التي يعيشون فيها، وله القدرة على تحمل المسير في الصحراء وعُدّ من أموالهم وهو من الحيوانات المعروفة عند العرب في مأكليها ومشربها وبيئة تكوينها فقد ذكره الامام علي عليه السلام في اكثر من موضع وفي اكثر من صورة واسم بحسب السياق وأثره في اختيار هذه اللفظة دون غيرها.

وقبل الولوج في ذكر هذا الحيوان في نهج البلاغة لا بد لنا من أن نفرّق بين

(١) كتاب صناجة الطرب في تقدمات العرب: نوفل الطرابلسي: ٢٨٢.

الألفاظ أو الأسماء الدالة على هذا الحيوان، فتارة نطلق عليه تسمية (الإبل) وتارة (البعير) وتارة (الجمل) فما الفرق في التسميات؟

لو تتبعنا هذه الألفاظ الثلاثة في المعاجم اللغوية وليكن (لسان العرب) مثلاً فسوف نجد ابن منظور (ت ٧١١هـ) يذكر أن لفظة (الإبل) تعني الجمع الذي لا واحد من لفظه يقول: (الإبلُ والإِبْلُ الأَخيرة عن كراع معروف لا واحد له من لفظه قال الجوهري: وهي مؤنثة لأن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم وإذا صغرتها دخلتها التاء فقلت أَيْبلة وُعْنَيْمة ونحو ذلك قال وربما قالوا للإبلِ إِبْل يسكنون الباء للتخفيف... ويجمع الإبل أبالً وتآبِل إِبلاً اتخذها^(١).

على حين تعني لفظة (الجمل) ذَكَرَ الإبلِ إذ يقول صاحب اللسان: (الجَمَلُ الذَّكَرُ من الإبل قيل إنما يكون جَمَلاً إذا أَرْبَعَ وقيل إذا أجدع وقيل إذا بَزَلَ وقيل إذا أَثْنَى... الليث الجَمَلُ يستحق هذا الاسم إذا بَزَلَ وقال شمر البكر والبكرة بمنزلة الغلام والجارية والجَمَلُ والناقة بمنزلة الرجل والمرأة^(٢)) كما تعني الحبال المجموعة كما ورد ذلك في القرآن الكريم إذ يقول: (وفي التنزيل العزيز ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾^(٣)) قال الفراء الجَمَلُ هو زوج الناقة وقد ذكر عن ابن عباس أنه قرأ الجَمَلُ بتشديد الميم يعني الحبال المجموعة... وقد حكي عن بعض القراء جُمالات برفع الجيم فقد يكون من الشيء المجمل ويكون الجُمالات جمعاً من جمع الجمال كما قالوا الرَّخْلُ والرُّخَال^(٤).

(١) لسان العرب: (أبل): ١١ / ٣.

(٢) لسان العرب: (جمل): ١١ / ١٢٣.

(٣) الأعراف: ٤٠.

(٤) لسان العرب: (جمل): ١١ / ١٢٣.

ونجد أنّ لفظة (البعير) تعني الجمل والناقة كما يقول: (الجَمَلُ البازِلُ وقيل الجَدْعُ وقد يكون للأُنثى حكي عن بعض العرب شربت من لبن بَعيري وَصَرَ عَنِّي بَعيري أي ناقتي والجمع أَبْعِرَةٌ في الجمع الأَقْلُ وَأَبَاعِرُ وَأَبَاعِيرُ وَبُعْرَانُ وَبِعْرَانُ قال ابن بري أَبَاعِرُ جمع أَبْعِرَةٍ وَأَبْعِرَةٌ جمع بَعير وَأَبَاعِرُ جمع الجمع وليس جمعاً لبعير... والبعير من الإبل بمنزلة الإنسان من الناس يقال للجمل بَعِيرٌ وللناقة بَعِيرٌ قال وإنما يقال له بعير إذا أَجْدَعُ يقال رأيت بعيراً من بعيد ولا يبالي ذكراً كان أو أنثى^(١).

لقد تكرر هذا الحيوان الأليف الذي واكب حياة العرب في حلهم وترحالهم في نهج البلاغة بلفظ (الإبل) عشر مرات فقد ذكر الإمام في موضعين الإبل واقتراها بلفظة الهيم^(٢) وفي موضع آخر وردت لفظة (الهيم) دون الإبل^(٣)، ومعنى (هيم): (هامت الناقة تَهيم ذَهَبَتْ على وجهها لرغي كَهَمَتْ وقيل هو مقلوب عنه والهيامُ كالجنون وفي التهذيب كالجنون من العشق ابن شميل الهيامُ نحو الدُّوارِ جنونٌ يأخذ البعيرَ حتى يَهْلِكُ يقال بَعِيرٌ مَهْيُومٌ والهيمُ داءٌ يأخذ الإبلَ في رؤوسها والهائمُ المتحيرُ وفي حديث عكرمة كان عليٌّ أعلمَ بالمهيماتِ... وقال الفراء شَرَبَ الهيمُ قال الهيمُ الإبلُ التي يُصِيبُها داءٌ فلا تَرَوِي من الماء واحدها أَهيمٌ والأنثى هَيْماءُ^(٤)).

فقد وظّف الإمام ﷺ هذا المعنى في سياق معين على ما سنرى ذلك.

(١) م. ن: (بعر): ٤ / ٧١.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٨٧) / ١٢٠، كلامه (١٠٧) / ١٥٥، كلامه (٢٢٩) / ٣٥٠.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة (٨٧) / ١٢٠.

(٤) لسان العرب: (هيم): ١٢ / ٦٢٦.

يقول في خطبة له عليه السلام وفيها يصف اعداءهم بما فيهم من حيرة واضطراب بصفين حين طال منعهم له من قتال أهل الشام: «فَتَدَاكُوا عَلَيَّ تَدَاكَ الْإِبِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وِرْدِهَا وَقَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيَهَا وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ»^(١) لما كان السياق يشير إلى الذين تحاذلوا عن القتال، وعلى بيعته فقد جاء الإمام بوصف هؤلاء حال البيعة (بالإبل الهيم) تأكيداً على أنهم وردوا عليه كحال الإبل العطشى واستعمل الفعل (تداكوا) بمعنى (دك بعضهم بعضاً: أى دقه بالضرب والدفع)^(٢) دلالة على هجوم الناس عليه كهجوم الإبل الشديدة العطش على الماء، فيحصل التضارب بينها فتكون الناس متحيرة ومضطربة في سيرها وقد رفعت المثنى عنها، والمثنى (جمع مثناة وهى الحبل يثنى ويعقل به البعير)^(٣) وفي هذا دلالة على تغير الناس من حال إلى حال وإلى الشعور بضرورة بيعة الإمام آنذاك.

وفي سياق مختلف (في بعض أيام صفين) يقول الإمام عليه السلام: «وَلَقَدْ شَفَى وَحَاوِحَ صَدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخْرَةِ نُحُوزِ وَنَهْمٍ كَمَا حَارُوكُمْ وَتَزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أزالُوكُمْ حَسًّا بِالنَّصَالِ وَشَجْرًا بِالرِّمَاحِ تَرَكُّبُ أَوْلَاهُمْ أُخْرَاهُمْ كَالْإِبِلِ الْهِيمِ الْمُطْرُودَةِ تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا وَتُدَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا»^(٤) يكشف السياق عن أن أصحاب الإمام بعد انتكاستهم رجعوا إلى ما كانوا عليه، وأصبح اعداؤهم كالإبل العطشى التي ترد الماء فتضرب بالسهام وفيه دلالة على هزيمة اعدائهم بسبب الضرب بالسيوف والرماح.

(١) نهج البلاغة: الخطبة (٢٢٩) / ٣٥٠.

(٢) شرح نهج البلاغة (ابن ميثم): ٢ / ١٤٤.

(٣) م. ن.

(٤) نهج البلاغة: كلامه (١٠٧): ١٥٥.

أما لفظة (الجمل) فقد تكررت خمس مرات بصيغة المفرد^(١)، ومرة بصيغة الجمع^(٢) وفي سياقات مختلفة منها دلالة السياق على التويخ يقول ﷺ: «دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَزَّ جَرُّتُمْ جَرَّ جَرَّةِ الْجَمَلِ الْأَسْرِّ وَتَنَاقَلْتُمْ تَنَاقُلَ النَّضْوِ الْأَدْبِرِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَدَائِبٌ ضَعِيفٌ كَأَنَّمَا يُسَافِقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ»^(٣)، و(الجرجرة: ترديد صوت البعير في ضجرته عند عسفه. والسر: داء يأخذ البعير في سرته يقال منه جمل أسر. والنضو من الإبل: البالي من تعب السير. والأدبر: الذي به دبر وهي القروح في ظهره)^(٤) إذ ذكر الإمام في خطبته الجمل الأسر؛ لأنه صعب القياد كذلك هم غير مطيعين لأوامره متناقلين عن ذلك.

ونجد أن لفظة (البعير) مرة واحدة إذ يقول في خطبة الملاحم وتغير أحوال الناس «ذَلِكَ إِذَا عَضَّكُمْ الْبَلَاءُ كَمَا يَعَضُّ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعِيرِ مَا أَطْوَلَ هَذَا الْعَنَاءَ وَأَبْعَدَ هَذَا الرَّجَاءَ»^(٥)، والقتب: (خشب توضع على الناقة لحل مشكلة سنامها الذي يؤدي ظهر الناقة)^(٦) وفي هذا النص تكون دلالة السياق للفظ (البعير) هو الشدة والبلاء الذي سيصيبهم.

ووردت لفظة الإبل بمسميات متعددة وسياقات مختلفة في نهج البلاغة

(١) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٣٩) / ٨٢، الخطبة (٢٤٠) / ٣٥٨، الكتاب (٢٨) / ٣٨٧،

الكتاب (٦٣) / ٤٥٣، الكتاب (٧١) / ٤٦٢.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: الكتاب (١٠) / ٣٧١.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة (٣٩) / ٨٢.

(٤) شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٢ / ١٠٠.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة (١٨٧) / ٢٧٧.

(٦) نفحات الولاية: الشيرازي: ٧ / ١٨٥.

دلالة على مكانة هذا الحيوان عند العرب إلى جانب نفعه لهم؛ منها:

الجزور (مرة واحدة)^(١)، والحانة (مرة واحدة)^(٢)، والحقاق (مرة واحدة)^(٣)، والسقب (مرة واحدة)^(٤)، والضروس (ثلاث مرات)^(٥)، والعجال (مرة واحدة)^(٦)، والعودز (مرة واحدة)^(٧)، والفحول (مرة واحدة)^(٨)، والفصيل (مرتان)^(٩)، والفنيق (مرة واحدة)^(١٠)، واللبون (مرة واحدة)^(١١).

واللقاح (مرة واحدة)^(١٢)، والمطافيل (مرة واحدة)^(١٣)، والنباب (مرة واحدة)^(١٤)، والناقة (مرتان)^(١٥).

-
- (١) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٩٣) / ١٣٨.
- (٢) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١١٥) / ١٧١.
- (٣) ينظر: نهج البلاغة: غريب كلامه (٤) / ٥١٨.
- (٤) ينظر: نهج البلاغة: الكتاب (٤٠٢) / ٥٤٧.
- (٥) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٩٣) / ١٣٨، الخطبة (١٣٨) / ١٩٦، الكتاب (٢٠٩) / ٥٠٦.
- (٦) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٥٢) / ٨٩.
- (٧) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٣٧) / ١٩٥.
- (٨) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٩١) / ١٣١.
- (٩) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٩٢) / ٣٠٠، الكتاب (٢٥) / ٣٨١.
- (١٠) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٠٨) / ١٥٧.
- (١١) ينظر: نهج البلاغة: الكتاب (١) / ٤٦٩.
- (١٢) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٢١) / ١٧٧.
- (١٣) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٣٧) / ١٩٥.
- (١٤) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٩٣) / ١٣٨.
- (١٥) ينظر: نهج البلاغة: كلامه (٢٠١) / ٣١٩، الكتاب (٢٥) / ٣٨١.

٢- الخَيْلُ والْحَمِيرُ وما يتصل بها

لا تقل الخيل من أهمية عن الإبل عند العرب، فقد عرف عن هذا الحيوان صفات جعلته قريباً من الإنسان، كما عُدَّت الخيل من أشرف أموال العرب (قيل لبعض الحكماء: أي المال أشرف؟ قال: فرس يتبعها فرس في بطنها فرس)^(١) ومما يتعلق بتسمية الخيل فقد نهج العرب منهجاً هو نفسه في تسمية ابنائهم كمثل: التسمية الدالة على التفاؤل أو الترهيب للأعداء أو ما كان دالاً على الغلظة والحشونة ويتعلق ذلك بالسياق غير اللغوي (الاجتماعي - الثقافي - النفسي) المرتبط بهذه الظاهرة اللغوية من التسميات^(٢).

يرد ذكر الخيل في المعجم العربي من: (خَالَ الشَّيْءَ يَخَالُ خَيْلاً وَخَيْلَةً وَخَيْلَةً وَخَالاً وَخَيْلاً وَخَيْلَاناً وَخَيْلَةً وَخَيْلُولَةً ظَنَّهُ وَفِي الْمَثَلِ مَنْ يَسْمَعُ يَخْلُ أَي يظن وهو من باب ظننت وأخواتها التي تدخل على الابتداء والخبر... والخَيْلُ الْفُرْسَانُ وَفِي الْمَحْكَمِ جَمَاعَةُ الْأَفْرَاسِ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ)^(٣) أمَّا الفرس (واحد الخيل والجمع أفراس الذكر والأنثى في ذلك سواء ولا يقال للأنثى فيه فرسة)^(٤).

وقد تكررت لفظة الخَيْلِ في نهج البلاغة إحدى عشرة مرة^(٥)؛ يقول ﷺ لما

(١) حياة الحيوان الكبرى: ٢ / ١٨٤.

(٢) ينظر: أسماء الخيل عند ابن الكلبي (بحث): د. نصر الدين صالح: ٢٠١ - ٢٠٢، مجلة علوم اللغة المجلد الأول العدد الأول ١٩٩٨.

(٣) لسان العرب: (خيل): ١١ / ٢٢٦.

(٤) م. ن: (فرس) ٦ / ١٥٩.

(٥) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٠) / ٥٤، الخطبة (١٦) / ٥٧، الخطبة (٢٧) / ٦٩، الخطبة

(١٢٤) / ١٨١ كلامه (١٢٨) / ١٨٥، الخطبة (١٩٢) / ٢٨٧، الكتاب (٤٣) / ٤١٥.

بويج في المدينة وفيها يخبر الناس بعلمه بما تؤول إليه أحوالهم «ألا وإن الخطايا
خيلٌ شمسٌ حَمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا - وَخُلِعَتْ جُمُهَا فَتَفَحَّحَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ - أَلَا
وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلٌّ حَمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا - وَأَعْطُوا أَرْمَتَهَا فَأُورِدَتْهُمْ الْجَنَّةَ»^(١).

ففي النص تصوير دقيق لمن يرتكب الذنوب فهو مثل راكب الخيل
الجاهحة التي خلعت اللجام وأودت بصاحبها النار ويشير السياق إلى ذكر
الخيل هنا هو من الخيال والخيلاء المؤدي بصاحبها إلى الغرور؛ لأن الذي
يركب الخيل الجموح لا ينظر لعواقب الأمور، وما ستؤول إليه بيننا التقوى
تكون للذي يركب المطايا الذلل والمطيبة (المطو الجد والنجاء في السير)^(٢)،
وقيل هي: (الناقة التي يُركب مطاها والمطيبة البعير يُمتطى ظهره وجمعه
المطايا يقع على الذكر والأنثى)^(٣)، فيشير السياق لذكر المطيية هنا بمعنى الجد
في السير مع النجاء فيكون الطريق إلى الجنة.

وقد وردت لفظة الفرس مرة واحدة في قوله ﷺ في كتاب وجهه إلى عماله
على الخراج جاء فيه: «وَلَا تَمْسَنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مُصَلًّا وَلَا مُعَاهِدًا إِلَّا أَنْ
تَجِدُوا فَرَسًا أَوْ سِلَاحًا يُعَدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ»^(٤) يشير السياق إلى جملة
أوامر ونواهٍ منها عدم المساس بما لغيره والتعدي عليه والتحذير من ترك
من يجد عندهم الفرس أو السلاح وتكشف هنا دلالة السياق بذكر الفرس
عن إنبه ورد كأداة من أدوات الحرب؛ قدّمه الإمام ﷺ على السلاح؛ لأنه أراد
بذلك الكشف عن الذين يريدون الاعتداء على أهل الإسلام.

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١٦) / ٥٧.

(٢) لسان العرب: (مطا) / ١٥ / ٢٨٤.

(٣) م. ن.

(٤) نهج البلاغة: الكتاب (٥١) / ٤٢٥.

كما وردت لفظة (الفلو)، وهو (المهر الصغير وقيل هو العظيم من أولاد ذات الحافر)^(١) مرة واحدة^(٢).

أمّا لفظة (الحَمِير) فقد ورد بصيغة المفرد مرة واحدة^(٣)، ووردت لفظة (الأتان) وهي (أنثى الحمار)^(٤) مرة واحدة أيضاً.

يقول ﷺ في كتاب له إلى عثمان بن حنيف الأنصاري عامله إلى البصرة وقد دُعي إلى وليمة مضى إليها وفيه يشير إلى جملة الصفات التي تحلى بها الإمام: «وَلَا حَزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شَبْرًا وَلَا أَحَذْتُ مِنْهُ إِلَّا كَقَوْتِ أَتَانٍ دَبْرَةً»^(٥)، وأتان دبيرة (هي التي عقر ظهرها فقل أكلها)^(٦)، وهنا إشارة السياق إلى الزهد في الدنيا ودلالة على قلة طعامه وما ينبغي له أن يكون إمام الناس من صفات الزهد فيواسيهم بقلة طعامه وطلبه الدنيا.

٣- الثور والغنم والماعز وما يتصل بها

وردت لفظة الثور في النهج مرة واحدة وقد ذكر ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) بأن: (الثاء والواو والراء أصلان قد يمكن الجمع بينهما بأدنى نظرٍ. فالأول انبعث الشيء، والثاني جنس من الحيوان)^(٧) وكذلك: (الذكر من البقر

(١) لسان العرب: (فلا): ١٥ / ١٦١.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب (٤٦٥) / ٥٥٧.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة (١٦٠) / ٢٢٨.

(٤) لسان العرب (أتن): ١٣ / ٦.

(٥) نهج البلاغة: الكتاب (٤٥) / ٤١٧.

(٦) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١٦ / ٢٠٧.

(٧) معجم مقاييس اللغة: (ثور): ١ / ٣٩٥.

وَالْقِطْعَةُ مِنَ الْأَقِطِ وَبِرْجٍ مِنْ بَرُوجِ السَّمَاءِ وَبِهِ سَمِّيَ السَّيِّدُ^(١).

قال الإمام عليه السلام حينما نفذ عبد الله بن عباس إلى الزبير يستفيؤه إلى طاعته قبل حرب الجمل: «لَا تَلْقَيْنَنَّ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنِ تَلَقَّهُ تَجِدُهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصًا قَرْنَهُ يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ هُوَ الذَّلُولُ»^(٢)، العقص هو: (التواء القرن على الأذنين إلى المؤخر وانعطافه)^(٣)، فالسياق سياق تحذير للزبير من لقاء طلحة بن عبد الله وجاء التحذير بتصوير طلحة كالثور الذي عقص قرنه دلالة على (طغيانه وسوء خلقه، أو عدم سماعه للحق بفعل طاعته لهوى نفسه)^(٤) كذلك يمكن أن يعطي دلالة أخرى هو السير على خلاف ما يريد الإمام والانحراف عن طريقه فهو يركب الصعب ويقول هو الذلول وهذا هو دليل استهاتته بصعاب الأمور ولا سيما أمور الحرب وغيرها.

أمّا لفظة (الغنم) فقد وردت مرتين في نهج البلاغة، يذكر الأزهري (ت ٣٧٠هـ) الغنم بمعنيين الأول: (الشاء تقول: هذه غنم لفظ للجماعة، فإذا أفردت الواحدة، قلت شاة)^(٥).

الثاني: (الغنم: الفوز بالشيء من غير مشقة، والإغتنام: إنتهاز الغنم، يقال: اغتتم الفرصة وانتهازها بمعنى واحد)^(٦).

«فَمَا رَاعِنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْتَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ...»

(١) كتاب العين: (ثار): ٨ / ٢٣٢.

(٢) نهج البلاغة: كلامه (٣١) / ٧٤.

(٣) لسان العرب: (عقص): ٧ / ٥٥.

(٤) نفحات الولاية: ٢ / ١٥٨.

(٥) تهذيب اللغة: (غنم): ٨ / ١٤٩.

(٦) تهذيب اللغة: (غنم): ٨ / ١٤٩.

مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثْتُ طَائِفَةً وَمَرَقْتُ أُخْرَى وَقَسَطَ آخَرُونَ»^(١)، والرَيْضَةُ أو الرَيْضُ: (الْجَمَاعَةُ مِنَ الْغَنَمِ الضَّانِ وَالْمَعَزِ فِيهِ وَاحِدٌ يُقَالُ: هَذَا رَيْضُ بَنِي فَلَانَ أَيِ جَمَاعَةِ غَنَمِهِمْ)^(٢) إذ أخذوا بزمام الأمور لمبايعة الإمام فشبهم الإمام ﷺ بجماعة الأغنام وقد ذهب القطب الراوندي إلى أن المراد (وصف بلادتهم ونقصان عقولهم - لأن الغنم توصف بقلة الفطنة)^(٣) في حين رفض ابن أبي الحديد ذلك وذكر بأن (هذا التفسير بعيد وغير مناسب للحال)^(٤) ويبدو أن سياق النص يدل على أمرين:

الأول: كثرة عدد من بايع الإمام؛ مقارنة بنهوضه بالأمر وتشتت الناس من حوله بنكث أو إمراق.

الثاني: أن مبايعة بعض الناس للإمام لم تكن صادقة أو على قناعة تامة، وإنما هو إسقاط فرض كما يقال على الرغم من معرفتهم بشخص الإمام؛ لأن رَيْضَةَ الْغَنَمِ سرعان ما تتفرق، وكذلك هؤلاء سرعان ما تفرقوا وتشتتوا.

ووردت لفظة الماعز مرة واحدة، والماعز هو: (ذو الشَّعَرِ مِنَ الْغَنَمِ خِلاَفِ الضَّانِ وَهُوَ اسْمُ جِنْسٍ وَهِيَ الْعَنْزُ وَالْأُنْثَى مَاعِزَةٌ وَمِعْزَاةٌ وَالْجَمْعُ مَعَزٌ وَمَعَزٌ وَمَوَاعِزٌ وَمَعِيزٌ مِثْلُ الضَّبِيِّينَ وَمِعَازٌ قَالَ الْقَطَامِيُّ:

فَصَلَّيْنَا بِهِمْ وَسَعَى سِوَانَا إِلَى النِّعَمِ الْمُسَيَّبِ وَالْمِعَازِ^(٥) وكذلك أُمْعُوزٌ

(١) نهج البلاغة: الخطبة (٣) / ٤٩.

(٢) جمهرة اللغة: ابن دريد: (ربض): ١ / ٣١٤.

(٣) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (الراوندي) ١ / ١٣٠.

(٤) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١ / ٢٠١.

(٥) ديوان القطامي: ١٧٧.

وَمِعْزَى^(١).

وقد وردت لفظة الماعز في نهج البلاغة في سياق الزجر إذ يقول في كلام له للبرج بن مسهر الطائي وقد قال له بحيث يسمعه (لا حكم إلا لله)، وكان من الخوارج.

فقال له الإمام عليه السلام: «اسْكُتْ فَبِحَكَ اللهُ يَا أَثْرَمُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَيِّلاً شَخْصُكَ خَفِيّاً صَوْتُكَ حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ»^(٢)، ونجوم قرن الماعز أي الظهور بسرعة دلالة على استهانة الإمام به لأنه كان متخفياً حتى نعر الباطل أي صاح وانتشر قال ابن منظور: (والنَّعْرَةُ صوتٌ في الخَيْشُومِ... والنَّعِيرُ الصَّيَاحُ والنَّعِيرُ الصُّرَاخُ فِي حَرْبٍ أَوْ شَرٍّ)^(٣).

وأما لفظة (المعزى) فقد وردت ثلاث مرات، ظهرت بسياقات مختلفة منها قول الإمام عليه السلام يصف أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله في طول سجودهم: «لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَمَا أَرَى أَحَدًا يُشْبِهُهُمْ مِنْكُمْ لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثًا غُبْرًا وَقَدْ بَاتُوا سُجَّدًا وَقِيَامًا يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ وَيَقْفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجُمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكْبَ الْمِعْزَى مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ»^(٤).

وهذا دليل بين وواضح لطول السجود كما يذكره الإمام أن المنطقة بين أعينهم أصبحت كركب الماعز؛ وذلك لأن حركتهم دائمة يقول ابن أبي

(١) لسان العرب: (معز): ٥ / ٤١٠.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة (١٨٤) / ٢٦٨.

(٣) لسان العرب: (نعر): ٥ / ٢٢٠.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (٩٧) / ١٤٣.

الحديد: (يرأوحون بين جباههم وخدودهم -تارة يسجدون على الجباه- وتارة يضعون خدودهم على الأرض بعد الصلاة -تذلاً وخضوعاً- والمراوحة بين العمل -أن يعمل هذا مرة وهذا مرة- ويرأوح بين رجليه -إذا قام على هذه تارة وعلى هذه أخرى-) (١)، وكذلك ركب الماعز حركة دائمة ومن الدلالة أيضاً هو ظهور آثار سجودهم بين أعينهم كركب المعزى في دلالة اللون على ذلك.

ولما كان الماعز وهو اسم جنس ذوات الشعر من الغنم خلاف الضأن من ذوات الصوف، فإنّ التيس هو الذكر (٢)، والعنز الأنثى قال الفراهيدي ت (١٧٥هـ):

(العَنْزُ: الأنثى من المَعَزِ ومن الأوعال والظِّباء. والعَنْزُ: ضَرْبٌ من السَّمَكِ يُقَالُ له: عَنَزَ المَاءُ. والعَنْزَةُ كهَيْئَةِ عَصَا في طرفها الأعلى زُجٌّ يَتَوَكَّأُ عليها الشيخ. وَضَرْبٌ من الطَّيْرِ يقال له: عَنَزَ المَاءُ) (٣).

وردت لفظة العنز في نهج البلاغة مرتين، فمرة وردت في سياق الزهد والإستهانة بالدنيا وتركها يقول ﷺ: «وَلَا لَفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَرْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنَزٍ» (٤)، ومرة في تحديد وقت الصلاة (٥)، ومن كتاب له ﷺ إلى أمراء البلاد: «أَمَّا بَعْدُ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حَتَّى تَفِيءَ الشَّمْسُ مِنْ مَرِيضِ العَنْزِ

(١) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ٧ / ٧٧.

(٢) قال ابن منظور: (التيس الذكر من المعز): لسان العرب: (تيس): ٦ / ٣٣.

(٣) كتاب العين: (عنز): ١ / ٣٥٦.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (٣) / ٥٠.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١٧ / ٢٢ - ٢٣، شرح نهج البلاغة

(الموسوي) ٤ / ٥١٢.

وَصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيضاء حَيَّةٌ فِي عُضْوٍ مِنَ النَّهَارِ^(١).

ومن خطبة له ﷺ في الاستسقاء ترد لفظة (الآنة) بمعنى الشاة: «اللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَيْنَ الْآنَةِ وَحَنِينَ الْحَائَةِ اللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا وَأَيْنَهَا فِي مَوَاجِئِهَا»^(٢).

من عادة العرب الاستسقاء بذكر حيواناتهم وقد ابتداء الإمام خطبته بذلك؛ إلى أن قال: «اللهم أرحم أين الآنة وحنين الحائنة» قال الجوهري (ت ٣٩٣هـ): (وماله حائنة ولا آنة، أي ناقة ولا شاة)^(٣)، فدلالة السياق على الدعاء لطلب الاستسقاء ولذا فقول الإمام: «أين الآنة وحنين الحائنة» دلالة على شدة جذب الأرض وقلة الماء؛ يقول ابن أبي الحديد: (وأصل الأين صوت المريض - وشكواه من الوصب - يقال أن يئن أنينا وأنا وتأنانا... وإنما ابتداء ﷺ بذكر الأنعام - وما أصابها من الجذب - اقتفاء بسنة رسول الله ﷺ ولعادة العرب)^(٤).

٤ - وهناك من الحيوانات الأليفة الدالة على أسماء المجاميع منها لا المفرد وهي: الأنعام^(٥) (ست مرات)^(٦)، والبهائم (احدى عشرة مرة)^(٧)،

(١) نهج البلاغة: الكتاب (٥٢) / ٤٢٦.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة (١١٥) / ١٧١.

(٣) الصحاح: الجوهري: (أئن): ١ / ٢٥.

(٤) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ٧ / ٢٦٥.

(٥) سيتم الإشارة لهذه اللفظة مع (الحمام) و(الصخور).

(٦) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١) / ٤٥، الخطبة (٩١) / ١٢٤، الخطبة (١٠٨) / ١٥٦،

كلامه (١٧١) / ٢٤٥، الكتاب (١٤٧) / ٤٩٧.

(٧) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٣) / ٥٥، الخطبة (١٤٣) / ١٩٩، الخطبة (١٥٣) /

٢١٥، الخطبة (١٦٠) / ٢٢٧، الخطبة (١٦٧) / ٢٤٢، الخطبة (١٨٦) / ٢٧٥، الكتاب

والدَّوَاب (مرتان)^(١)، والمطيّة (خمس مرات)^(٢)، والمطّايا (خمس مرات)^(٣) أيضاً.

ينظر جدول إحصائي (٢) للوحدات الدلالية للحيوان الأليف في نهج البلاغة - صفحة ٢٩٦.

-
- (٣١) / ٤٠٤، الكتاب (٢٥) / ٣٨١، الكتاب (٤٥) / ٤١٨، الكتاب (٤١٤) / ٥٤٨.
 (١) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١١٥) / ١٧١، الكتاب (٥١) / ٤٢٥.
 (٢) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٧٦) / ١٠٣، الخطبة (١٩٨) / ٣١٦، الكتاب (٣١) / ٤٠١، الكتاب (٣٧١) / ٥٤١.
 (٣) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٦) / ٥٧، الخطبة (١٥٨) / ٢٢٤، الخطبة (٢٢٣) / ٣٤٦، الكتاب (٣١) / ٤٠١.

المبحث الثالث الطيور والحشرات

أ- الطيور

لم تكن عناية العرب بالطير كعنايتهم بباقي حيواناتهم، على الرغم من كثرة وروده في أدبهم ولعل الأمر يرجع إلى صعوبة نواله كباقي الحيوانات كونه يتميز بالسرعة أو بسبب بعده عنهم^(١)؛ ولكن نلاحظ في نهج البلاغة ذكر هذا المخلوق مع تعدد مسمياته الأمر الذي يستدعي تقسيمه إلى قسمين وبحسب ما ورد له من تقسيمات في المصادر الأخرى^(٢):

١- الطيور الجارحة

أ- الأنوق

وهو من الطيور الجارحة (على فعولٍ: طائرٌ، وهو الرَّحْمَةُ. وفي المثل: أعزُّ من بيض الأنوق لأنها تُحْرِزه فلا يكاد يُظْفَرُ به، لأنَّ أوكارها في رءوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة)^(٣).

(١) ينظر: الطير ودلالته: د. كامل الجبوري: ١١.

(٢) ينظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي: نوري حمودي القيسي: ١٧٦.

(٣) الصحاح: (أنق): ١/ ٢٥.

وردت هذه اللفظة في نهج البلاغة مرة واحدة؛ قال مخاطباً معاوية: «وَتَرَقَّيْتِ إِلَى مَرْقَبَةٍ بَعِيدَةٍ الْمَرَامِ نَارِحَةَ الْأَعْلَامِ تَقْصُرُ دُونَهَا الْأَنْوُقُ وَيُحَادِي بِهَا الْعَيْوُقُ»^(١)، وللأنوق صفة ميزته من باقي الطيور كون وكر بيضه في رؤوس الجبال والأماكن البعيدة^(٢)، والعيوق: (كوكب أحمر مضيء بحيال الثريا، إذا طلع علم أن الشريا قد طلعت)^(٣)، لذا فقد قصد به الإمام عليه السلام هو عدم نوال ما يتمنى؛ يقول ابن أبي الحديد: (هذه أمثال ضربها في بعد معاوية عن الخلافة)^(٤)، وفي هذا السياق دلالة على الارتفاع والعلو دون حصول المرام.

ب- العُقَاب

(طائرٌ، تُؤنَّثُهَا الْعَرَبُ إِذَا رَأَتْهُ لِأَنَّهَا لَا تُعْرَفُ إِذَا نَافَتْهَا مِنْ ذُكُورِهَا، فَإِذَا عُرِفَتْ قِيلَ: عُقَابٌ ذَكَرٌ. وَمِثْلُهُ الْعُقْرُبُ وَيُجْمَعُ عَلَى عُقْبَانٍ وَثَلَاثٍ أَعْقَبٍ وَالْعُقَابُ: الْعَلَمُ الضَّخْمُ تَشْبِيهًا بِالْعُقَابِ الطَّائِرِ...)^(٥)، وهو (طائر من كواسر الطير قوي المخالب مسرول له منقار قصير أعقف حاد البصر وفي المثل «أبصر من عقاب» «لفظه مؤنث للذكر والأنثى» جمعه أعقب وعقبان)^(٦).

وهو من جنس الطيور الجارحة ورد ذكره في نهج البلاغة مرة واحدة في سياق خلق أصناف مختلفة من الطيور إذ يقول عليه السلام: «وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفًا فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ أَحْصَى عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَالنَّفْسِ وَأَرْسَى

(١) نهج البلاغة: الكتاب (٦٥) / ٤٥٦.

(٢) من الأمثال السائرة: (كلفتني بيض الأنوق): تهذيب اللغة: ١ / ٣.

(٣) تهذيب اللغة: (عاق): ٣ / ٢٦.

(٤) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١٨ / ٢٧.

(٥) كتاب العين: (عقب): ١ / ١٨١.

(٦) المعجم الوسيط: ٢ / ١٣٢.

قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدى وَالْيَبسِ وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا فَهَذَا غُرَابٌ وَهَذَا
عُقَابٌ وَهَذَا حَمَامٌ وَهَذَا نَعَامٌ دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ»^(١).

ينظر جدول إحصائي (٣) للوحدات الدلالية للطيور الجارحة في نهج
البلاغة - صفحة ٢٩٧.

٢- الطيور غير الجارحة

أ- الحمامة

من الطيور غير الجارحة، ذكره ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) في (المحكم
والمحيط الاعظم) بقوله: (الحَمَامُ من الطير: البري الذي لا يألفُ البيوتَ.
وقيل هو كل ما كان ذا طوق كالقُمُري والفاختة واشباههما، واحدته حَمَامَةٌ،
وهي تقع على المذكر والمؤنث، كالحَيَّة والنعام ونحوهما. والجمع حمامٌ ولا
يقال للذكر حمامٌ)^(٢).

وردت هذه اللفظة في نهج البلاغة ثلاث مرات^(٣) في سياقات مختلفة؛
منها:

دلالة السياق على (شدة الحنين والشوق) يقول الإمام عليه السلام: «وَفَرَضَ
عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحُرَامِ الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ يَرِدُونَهُ وَرُودَ الْأَنْعَامِ وَيَأْهُونَ
إِلَيْهِ وَوَلُوهُ الْحَمَامُ»^(٤) يذكر الجاحظ ت (٢٥٥هـ) إن من كرم الحمام (الإلف

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١٨٥) / ٢٧٢.

(٢) المحكم والمحيط الاعظم: ابن سيده: ٤٠١ / ١.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١) / ٤٥، الخطبة (٥٢) / ٨٩، الخطبة (١٨٥) / ٢٧٢.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (١) / ٤٥.

والأنس والنزاع والشوق وذلك يدلُّ على ثبات العهد، وحفظ ما ينبغي أن يُحفظ، وصون ما ينبغي أن يصاب وإنه لخلق صدق في بني آدم فكيف إذا كان ذلك الخلق في بعض الطير^(١) ثم يذكر شدة شوق الحمام لوطنه والرجوع إليه متى ما وجد الخلاص لذلك^(٢)، وفي النص دلالة واضحة على شوق الحجاج وحينئذ للبيت المعمور، والوله: (الحنن وقيل هو ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد أو الحزن أو الخوف)^(٣) فشدّة الشوق أصبح ممزوجاً بالحنن والبكاء في التضرع لله (عز وجل).

ومنها دلالة السياق على (الحث على الطاعة والتنبيه من العقاب) يقول ﷺ: «فَوَاللَّهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَيْنَ الْوَلِّهِ الْعِجَالِ وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ الْحُمَامِ... فِي ارْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ وَحَفِظَتْهَا رُسُلُهُ لَكَانَ قَلِيلاً فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ»^(٤).

والدعاء بهديل الحمام دلالة على النوح والبكاء^(٥)، فيوجه الإمام ﷺ خطابه بالإرشاد والنصح أنه لا ينفعكم شدة الحنين والوله إلى الله والدعاء المستمر والتضرع إلا إذا عملتم على طاعة الله بإخلاص واجتنبتم نواهيه.

(١) الحيوان: ١ / ٢٣٩.

(٢) ينظر: م. ن.

(٣) لسان العرب: (وله): ١٣ / ٥٦١.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (٥٢) / ٨٩.

(٥) جاء في تهذيب اللغة: ٢ / ٣٠٤ (يزعم الأعراب في الهديل أنه فرح كان على عهد نوح فمات ضيعةً وعطشا، قال: فيقولون: ليس من حمامة إلا وهي تبكي عليه).

ب- الخُفَّاش

(الخُفَّاشُ ضعفٌ في البصر وضيقٌ في العين وقيل صغرٌ في العين خلقةٌ وقيل هو فسادٌ في جفن العين... والخُفَّاشُ طائرٌ يطير بالليل مشتقٌ من ذلك لأنه يَشُقُّ عليه ضوء النهار والخُفَّاشُ واحدُ الخُفَّافِيشِ التي تطير بالليل)^(١).

وردت هذه اللفظة في نهج البلاغة مرة واحدة في خطبة يذكر بها الإمام بديع خلق الله - سبحانه وتعالى - للخفّاش.

وللخطبة مقاصد أوضحها ابن ميثم في شرحه^(٢)، وما يهم هو بيان العلة من ذكر هذا الطائر والإنفراد بوصف عجيب له في النهج فكما تشير دلالة السياق إختلاف هذا الطائر عن بقية الطيور الأخرى في طلب أرزاقها يقول الإمام عليه السلام: «فَهِيَ مُسَدِّلَةٌ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى حِدَاقِهَا وَجَاعِلَةٌ اللَّيْلِ سِرَاجًا تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي التَّمَاسِ أَرْزَاقَهَا»^(٣).

فضلاً عن الإشارة إلى حمد الله والثناء عليه والدعوة إلى التفكر والتدبر، ويبدو أنّ هذا كان قصد الإمام عليه السلام في سياق الخطبة، إذ إنه ابتداءً خطبته بحمد الله والثناء عليه وختمها بالتعظيم له سبحانه حيث يقول عليه السلام: «فَسُبْحَانَ الْبَارِيِّ لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ»^(٤).

ت- الدِّيَك

الديك: (ذكر الدجاج وجمعه ديوك وديكة، وتصغيره دويك، وكنيته

(١) لسان العرب: (خفش): ٦ / ٢٩٨.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم): ٣ / ٢٥٤ - ٢٥٧.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة (١٥٥) / ٢١٧.

(٤) م. ٢١٨ / ن.

أبو حسان، وأبو حماد وأبو سليمان... وأبو نبهان وأبو يقظان... الذي يرتفع من ريش الطائر في عنقه، وينفشه الديك للقتال، وقيل: إن للديك خاصة. ويسمى الأنيس والمؤانس، ومن شأنه أنه لا يجنو على ولده^(١).

وردت لفظة (الديك) مرتين بصيغة الجمع^(٢) في نهج البلاغة في خطبة (الطاووس) لما وصف الإمام عليه السلام الطاووس وصفاً دقيقاً ذكر أن هذا الكائن على الرغم من جماله الآخاذ ففيه عيب جلي وظاهر ألا وهو أرجله فقد شبيها بأرجل الديكة الخلاسية^(٣) الحُمْش^(٤) يقول عليه السلام: «فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقًا مُعْوِلاً بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبَيِّنُ عَنْ اسْتِغَاثَتِهِ وَيَشْهَدُ بِصَادِقٍ تَوَجُّعِهِ لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلَاسِيَّةِ»^(٥)، لذا فدلالة السياق على ترك التكبر والزهو والعجب بالنفس وأن الكمال لله وحده - سبحانه وتعالى -.

ث- الشَّكْرِ

(ما ينبت في أصل الشجرة من الورق وليس بالكبار والشَّكْرِ من الفَرْخِ الزَّغَبُ)^(٦).

(١) حياة الحيوان الكبرى: ١ / ٣٤٨.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة (١٦٥) / ٢٣٧.

(٣) الخلاسية: (هي المتولدة من الدجاج الهندي والفارسي). يقول ع إن الطاووس يزهى بنفسه - ويتيه إذا نظر في أعطافه ورأى ألوانه المختلفة - فإذا نظر إلى ساقيه وجم لذلك وانكسر نشاطه وزهوه - فصاح صياح العويل لحزنه - وذلك لدقة ساقيه ونتوء عرقوبيه): شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ٩ / ٢٧٣.

(٤) الحُمْشُ: (الدَّقِيقُ القَوَائِمِ) كتاب العين: (حمش): ٣ / ١٠٠.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة (١٦٥) / ٢٣٧.

(٦) لسان العرب: (شكر): ٤ / ٤٢٤.

ورد ذكره في نهجة البلاغة مرة واحدة قال الإمام عليه السلام لَبَّعْضَ مُحَاطِيهِ وَقَدْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يَسْتَصْغِرُ مِثْلَهُ عَنِ قَوْلِ مِثْلِهِ: «لَقَدْ طِرْتُ شَكِيرًا وَهَدَرْتُ سَقْبًا»^(١) هنالك التفاتة لطيفة لمحمد تقي التستري صاحب (بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة) في قول الرضي: (والشكير هاهنا أول ما ينبت من ريش الطائر قبل أن يقوى ويستحصف)^(٢) يقول (إنما قال المصنف «والشكير هاهنا» أي: في كلامه عليه السلام لأنه يأتي الشكير بمعنى آخر كما في قول الشاعر:

و من عضة ما ينبتن شكيرها^(٣)

بمعنى ما ينبت حول الشجرة من أصلها)^(٤)، ودلالة السياق هنا على استصغار الإمام لكلام بعض مخاطبيه لكونه قد تكلم بأمر لا يحسن تدبيره (ووصف الطيران والهدير له باعتبار نهوضه إلى ذلك الكلام الذي هو فوق محلّه وليس أهلا له كما أنّ الطيران ليس من شأن الشكير، ولا الهدير من شأن السقب)^(٥).

ج- الطّاووس

قال ابن فارس في معجمه: (الطاء والواو والسين ليس بأصل، إنّما فيه الذي يقال له الطّاووس. ثم يشتق منه فيقال للشيء الحسن: مُطَوّس. وحكي عن الأصمعيّ: تطوّست المرأة: تزيّنت. وذكر في الباب أيضاً أنّ الطّوس:

(١) نهج البلاغة: الكتاب (٤٠٢) / ٥٤٧.

(٢) م.ن.

(٣) الأمثال: ابن سلام: ٢٥ / ١.

(٤) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٦١٧.

(٥) شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٥ / ٤٣٩.

تغطية الشيء^(١).

فالطاووس كان وما زال من الطيور الجميلة، الآخاذة للنظر، المبهرة، وتكمن جماليته في أوصاف ذكرها الإمام عليه السلام ضمن خطبة وردت باسمه، وتكرر ذكر هذا الطائر في النهج مرتين؛ مرة كعنوان للخطبة ومرة ضمن سياق الخطبة نفسها، يقول في خطبة عجيب خلقة الطاووس: «وَمِنْ أَعْجَبَهَا خَلَقَ الطَّائِوسَ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبُهُ وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبُهُ إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طِيَّهِ وَسَمَّاهُ بِهِ مُطِلاً عَلَى رَأْسِهِ كَأَنَّهُ قَلْعٌ دَارِيٌّ عَنَجَهُ نُورَتُهُ»^(٢)، ولذا فدلالة السياق تشير إلى إثبات قدرة الله وحكمته ودلائل خلقه المفضي إلى خلق هذا الطائر العجيب، ثم ينتقل بالأذهان إلى ذكر الجنان إذ يقول: «فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفْتَ نَفْسَكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَاتِهَا وَزَخَارِفِ مَنَاطِرِهَا وَلَدَهَلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارِ غُيُبَتِ عُرُوقِهَا فِي كُتْبَانِ الْمُسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا»^(٣)، وهنا تنكشف الدلالة من الخطبة التي حوت بين طياتها مقاصد شتى كان هدفها الرئيس الإنسان لا الطائر منها: قدرة الله على الخلق، وعجيب ما خلق، ترك العجب والزهو بالنفس، ذكر الجنان وطيبها والتشويق لها، وأخيراً حمد الله - عز وجل - والثناء عليه.

(١) معجم مقاييس اللغة: (طوس): ٣ / ٤٣١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة (١٦٥) / ٢٣٦.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة (١٦٥) / ٢٣٩.

ح- الطير

قال الليث: الطيرُ معروفٌ، وهو اسم جامع مُؤنثٌ، والواحد طائرٌ، وقلما يقولون: طائرةٌ للأنثى،... الناس كلهم يقولون للواحد: طائرٌ، وأبو عبيدة معهم ثم انفرد فأجاز أن يقال: طيرٌ للواحد، وجمعه على طيور^(١)، ورد ذكر هذا الطائر في نهج البلاغة إحدى عشرة مرة، وهو بهذا يعد أكثر الألفاظ تكراراً بلفظه، وقد وردت على النحو الآتي: لصيغة المفرد (طائر) مرتين^(٢)، و(طير) سبع مرات^(٣)، و(طيور) مرتين^(٤).

قال ﷺ في حق مالك الاشر حينما جاءه: «مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فِنْدًا وَلَوْ كَانَ حَجْرًا لَكَانَ صَلْدًا لَا يَرْتَقِيهِ الْحَافِرُ وَلَا يُوفِي عَلَيْهِ الطَّائِرُ»^(٥)، والفند كما قال الرضي في النهج: (المنفرد من الجبال)^(٦)، وقد ذكر ابن أبي الحديد في شرحه في سبب ذكر الفند: (وإنما قال لو كان جبلا لكان فندا - لأن الفند قطعة الجبل طولاً - وليس الفند القطعة من الجبل كيفما كانت - ولذلك قال لا يرتقيه الحافر - لأن القطعة المأخوذة من الجبل طولاً في دقة - لا سبيل للحافر إلى صعودها - ولو أخذت عرضاً لأمكن صعودها -)^(٧) وتأتي أوفى بمعنيين ذكرهما ابن فارس ت (٣٩٥هـ):

(١) تهذيب اللغة: (طار. يطير): ١٤ / ١١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة (١٨٥) / ٢٧٢، الكتاب (٤٤٣) / ٥٥٤.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٣) / ٤٩، كلامه (١٣) / ٥٦، الخطبة (١٠٨) / ١٥٧،

الخطبة (١٨٥) / ٢٧٢، الخطبة (١٨٦) / ٢٧٥، الخطبة (١٩٢) / ٣٠٢.

(٤) ينظر نهج البلاغة: الخطبة (٨٣) / ١٠٨، الخطبة (١٩٢) / ٢٩١.

(٥) نهج البلاغة: الكتاب (٤٤٣) / ٥٥٤.

(٦) م. ن.

(٧) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ٢٠ / ٩٣.

الأول: بمعنى استيفاء الشيء وتمامه.

الثاني: أوفى بمعنى أشرف^(١)، وما ورد في الحكمة يفيد المعنى الثاني فلا الحافر يرتقي الجبل ويصل إليه ولا يشرف عليه الطير دلالة لعلوه العظيم ودلالة السياق علو المقام الذي ناله مالك فلا يصل إليه أحد.

خ- الْغُرَابُ

(والغُرَابُ معروف. والغُرَابَانِ: نُقْرَتَانِ عِنْدَ صَلَوَى الْعَجْزِ مِنَ الْفَرَسِ. والغُرَابُ: رَأْسُ الْفَأْسِ)^(٢)، من الطيور التي يتشاءم العرب لسماع صوتها، يقول الجاحظ: (فالغراب أكثر من جميع ما يُتَطَيَّرُ به في باب الشؤم، ألا تراهم كلما ذكروا ممَّا يتطيرون منه شيئاً ذكروا الغراب معه وقد يذكرون الغراب ولا يذكرون غيره)^(٣).

ورد ذكر هذا الطائر مرتين في النهج وقد ورد في سياق خطبة الطاووس وهو من الطيور التي ذكرت ضمن الخطبة إلى جانب (الديكة) وباقي الحيوانات وقد ورد ذكرها في سياق الخطبة خلق هذا الطائر العجيب والرد على من زعم أن الطواويس تتلاقح بجريان دمع العين من الذكر فتأتي الأنثى تطعم الدمعة وهكذا^(٤)؛ فرد الإمام بقوله: «وَلَوْ كَانَ كَزَعْمِ مَنْ يَزَعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ فَتَقِفُ فِي صَفْتِي جُفُونِهِ وَأَنَّ أَثْنَاهُ تَطْعَمُ ذَلِكَ ثُمَّ تَبِيضُ

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٦ / ١٢٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة: (غرب): ٤ / ٤٢١.

(٣) الحيوان: ٣ / ٤٤٣

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٣ / ٣٠٩، شرح نهج البلاغة (السيد عباس

الموسوي) ٣ / ٨٥.

لَا مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَى الدَّمْعِ المُنْبِجِ لِمَا كَانَ ذَلِكَ بِأَعَجَبٍ مِنْ مُطَاعِمَةِ
الْغُرَابِ تَحَالُ قَصْبُهُ مَدَارِيَّ مِنْ فِضَّةٍ وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ»^(١)
فلو كنتم تزعمون ذلك في الغراب فزعمكم في الطواويس يكون صحيحاً،
ويقول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في هذا الصدد حول سفود الغراب: (وناس
يزعمون أن تسافدها على غير تسافد الطير، وأنها تزاقي بالمناقير، وتلقح من
هناك)^(٢)، فدلالة السياق على الوصف وبيان الحقيقة بخلاف ما يزعمون.

د- النعامة

(معروفة هذا الطائر تكون للذكر والأنثى والجمع نعامات ونعائم ونعام
وقد يقع النعام على الواحد... وقيل النعام اسم جنس مثل حمام وحمامة
وجراد وجرادة والعرب تقول أصم من نعامه وذلك أنها لا تلوي على شيء
إذا جفلت)^(٣)، وقد وردت هذه اللفظة ثلاث مرات^(٤) في النهج قال ﷺ من
كلام له فيها يخبر به عن الملاحم بالبصرة «يَا أَحْنَفُ كَأَنِّي بِهِ وَقَدَسَارَ بِالْجَيْشِ
الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلَا لَجَبٌ وَلَا قَعْقَعَةٌ جُمٌ وَلَا مَحْمَمَةٌ خَيْلٌ يُثِيرُونَ
الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ»^(٥) هنا يخاطب الأحنف بن قيس بعد
واقعة الجمل ويصف الزنج بأنهم حفاة، أرجلهم قصار لا يملكون الخيل
ولا يركبونها ومدار إثارتهم لتراب الأرض غبار خفيف فقط وفي هذا دلالة

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١٦٥) / ٢٣٦.

(٢) الحيوان: ٣ / ٤٦٤.

(٣) لسان العرب: (نعم): ١٢ / ٥٧٩.

(٤) ينظر: نهج البلاغة: كلامه (١٣) / ٥٦، كلامه (١٢٨) / ١٨٥، الخطبة (١٨٥) / ٢٧٢.

(٥) نهج البلاغة: كلامه (١٢٨) / ١٨٥.

واضحة على رؤية الإمام لجيش الزنج وما ستؤول إليه الأمور^(١)، وما يهمننا هو دلالة السياق على كونهم حفاة أي أنهم ليسوا أهل خيل أو جند. ينظر
 ينظر جدول إحصائي (٤) للوحدات الدلالية للطيور غير الجارحة في
 نهج البلاغة ٢٩٧.

ب- الحشرات

١- البعوض

(«جمع»): مفردة بعوضة: عدّة أجناس من الحشرات الصّغيرة المضرة، من فصيلة البعوض ثنائيّة الأجنحة، تغتذي الإناث منها بدم الإنسان وبهذا تنقل إليه عدّة أمراض، أمّا الذُّكور فتغتذي برحيق الأزهار، له عدّة أسماء منها النّاموس والبق^(٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾^(٣)(٤).

ورد ذكر هذه اللفظة في نهج البلاغة ثلاث مرات^(٥)؛ إذ يقول ﷺ: حينما جاءه أحدهم وطلب منه أن يصف الله - عز وجل - فغضب الإمام ﷺ منه وقال في خطبة طويلة تعرف بخطبة (الأشباح) ابتدأها بحمد الله والثناء عليه وبأنّه هو مقسم الأرزاق على الخلائق إلى أن يقول: «عَالِمُ السَّرِّ مِنْ

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٣ - ١٣٧.

(٢) وترد البق بمعنى (عِظَامُ الْبَعُوضِ): لسان العرب: (بقق): ١٠ / ٢٣.

(٣) البقرة: ٢٦.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة: ١ / ٢٢٧.

(٥) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٩١) / ١٣٤، الخطبة (١٨٢) / ٢٦، الخطبة (١٨٦) / ٢٧٥.

صَبَائِرِ الْمُضْمِرِينَ وَنَجْوَى الْمُتَخَافَتِينَ... وَمُحْتَبَاِ الْبَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ الْأَشْجَارِ
وَأَلْحِيَّتِهَا»^(١)، والمختبىء هنا لا يعطي معنى الاختفاء^(٢) ودلالة المختبىء ليس
كدلالة المختفي ضمن السياق العاطفي في معرفة قوة الشيء من التأكيد أو
المبالغة؛ لأن المختفي ممكن له أن يظهر بينما المختبىء لا يظهر للعيان.

ويبدو إن دلالة اختباء البعوض كان الإقامة مع التستر، والسوق جمع
ساق، والألحية: (لحاً الشجرة يَلْحُوهَا لِحَواً قَشَرها... واللحاء قِشْرُ كل
شيء)^(٣) ويؤكد سياق الحال المعنى في اختباء هذا المخلوق هو موضعه الذي
يكون فيه، ويستقر بين ساق الشجرة وقشرها مع حركته في هذا الموضع،
ولذا يبدو إن دلالة السياق تبين قدرة الله ودقة التصوير والإحاطة بكل
شيء علماً لهذا الكائن الحي على الرغم من صغر حجمه وكذلك حجته على
خلقه في خلق هذا الكائن؛ ولعل في هذا جواباً لمن أراد أن يسأل عن الله
فوجوده - سبحانه وتعالى - متجلّ بقدرته من خلق من صغير جرم إلى كبيرها
والإحاطة بعلم كل شيء دون سواه وهذا فيه دليل وحجة.

٢- الجراد

(والجراد: معروف، قيل: هو سرورة ثم دبا ثم غوغاء ثم خيفان ثم كتفان
ثم جراد. وقيل: الجراد: الذكر، والجرادة: الأنثى)^(٤).

(١) نهج البلاغة: الخطبة (٩١) / ١٣٤.

(٢) ورد في معجم اللغة العربية المعاصرة: (اختبأ الحيوان: أقام في جُحر) / ١ / ٦٠٣.

(٣) لسان العرب: (لحا): / ١٥ / ٢٤١.

(٤) المحكم والمحيط الاعظم: / ٣ / ٢٦٤.

وردت لفظة الجراد مرتين^(١) في خطبة له ﷺ في حمد الله (سبحانه وتعالى) والثناء على الرسول ﷺ وفيها يصف خلقاً من الحيوان «وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجُرَادَةِ إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حُمْرَاوَيْنِ وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ وَفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ وَجَعَلَ لَهَا الْحَسَّ الْقَوِيَّ وَنَابِئِينَ بَيْنَهُمَا تَقْرُضُ وَمِنْجَلَيْنِ بَيْنَهُمَا تَقْبِضُ يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ حَتَّى تَرِدَ الْحُرْثَ فِي نَزَوَاتِهَا وَتَقْضِي مِنْهُ شَهَوَاتِهَا وَخَلَقَهَا كُلُّهُ لَا يُكُونُ إِصْبَعًا مُسْتَدَقَّةً فَتَبَارَكَ اللَّهُ»^(٢).

فما الغاية من ذكر هذا الكائن؟ ما الهدف؟ لماذا وقع الاختيار حول الوصف الدقيق لهذا الكائن دون غيره؟ هل كان لإثبات قدرة الله في خلقه؟ أم لصغر حجمها؟ أم لتكيفها مع البيئة التي يعيش بها الإنسان؟

هذه الاسئلة وغيرها يجيب عنها السياق بتحديد دلالة المراد والقصد من المتكلم الذي هو الإمام ﷺ كانت المناسبة للقول هو في سياق وصف خلق الجرادة الأنثى وصفاً دقيقاً وذكر الأنثى دون الذكر دلالة على ضعف الأنثى، وذكر المفردة لا الجمع هو لقصد التصغير لهذا الكائن الذي وصفه وصفاً دقيقاً؛ قال ابن الحديد: (أسرج لها حدقتين - أي جعلها مضيئتين كما يضيء السراج - ويقال حدقة قمراء أي منيرة - كما يقال ليلة قمراء أي نيرة بضوء القمر - وبها تقرض أي تقطع والراء مكسورة - والمنجلان رجلاها - شبهها بالمنجل لعوجها وخشونتها)^(٣).

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ١٨٥ / ٢٧١، كلامه: (٢٢٤) / ٣٤٧.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة: ١٨٥ / ٢٧١.

(٣) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١٣ / ٦٦.

وعلى الرغم من كون خَلْقُهَا كلها بحجم الإصبع إلا أنَّها يها بها الزّراع إذا ما دخلت حقله، فيصبح عاجزاً عن طردها، فهنا يكمن سياق الموقف بين هذا الكائن الصغير الحقير الذي لا يتجاوز حجم الإصبع في الإنسان وبين هذا الكائن الكبير الذي هو الإنسان وعلى إثر هذا ينظر إلى أنّ السياق دلّ على عجز الإنسان أمام قدرة الله في خلقه وعندها ينبغي الحمد له وحده.

٣- العُقْرَبُ

(واحدة العُقَارِبِ من الهوامِّ يكونُ للذكر والأنثى بلفظ واحد والغالبُ عليه التأنيث وقد يقال للأنثى عَقْرَبَةٌ وعُقْرَبَاءٌ ممدود غير مصروف والعُقْرَبَانُ والعُقْرَبَانُ الذَّكَرُ)^(١).

وردت هذه اللفظة في النهج مرة واحدة، قال الإمام عليه السلام في حكمة له: «الْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةٌ اللَّسْبَةِ»^(٢).

رويت («اللَّسْبَةُ» بهذه الرواية، ورويت «اللَّبْسَةُ»^(٣)، والسببة: «لَسْبَتُهُ الحَيَّةُ وَغَيْرُهَا» مثل العُقْرَبِ والزُّبُورِ «كَمَنَعَهُ وَضَرَبَهُ»، تَلَسَّبَهُ، وَتَلَسَّبَهُ، لَسْبًا: «لَدَغْتَهُ»، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْعُقْرَبِ^(٤).

أما اللَّبْسَةُ فهي من اللباس قال ابن منظور (ت ٧١١هـ): (اللُّبْسُ بالضم مصدر قولك لَبَسْتُ الثوبَ أَلْبَسُ واللُّبْسُ بالفتح مصدر قولك لَبَسْتُ عليه

(١) لسان العرب: (عقرب): ١ / ٦٢٤.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب: ٦١ / ٤٧٩.

(٣) ينظر: بهج الصباغة: ١٤ / ٣٠٩.

(٤) تاج العروس: (لسب): ٤ / ٢٠٦.

الأمر أَلْبَسُ خَلَطْتُ واللَّبْسُ بالكسر مثله^(١) وهنا يتضح الفرق بين اللفظتين ضمن السياق اللغوي فلفظة العقرب وتشبيه المرأة بها فيما تلدغ وليس لجمال العقرب؛ لأن هذا الكائن بخصائصه ليس بمبهر ولا بجميل المنظر وإنما يلدغ وجاء في القول في تصويرها (أشدُّ عداوةً من عقرب)^(٢). وقال الجاحظ أيضاً: (ونجدُ العقربَ تلسعُ إنساناً فيموت الإنسان، وتلسع آخرَ فتموت هي، فدلَّ ذلك على أنها كما تعطي تأخذ)^(٣)؛ ثم نلاحظ قوله (حلوة)^(٤) ولم يقل (جميلة) لدلالة الأولى على الاختلاف بين لسعة المرأة ولسعة العقرب والدلالة الأخرى كونها تعطي إحساساً باللذة (تذوق حسي)؛ في حين لفظة (جميلة) تعطي الإحساس بجمالية المنظر (تذوق معنوي)، ومن هنا نؤكد رواية اللسبة لا اللبسة؛ فكان قصد الإمام بيان حال المرأة (باعتبار أن من شأنها الأذى لكن أذاها مشوب بما فيها من اللذة بها فلا يحس بها)^(٥)، ودلالة السياق الوصف للتنبيه.

٤- العنكبوت

(دَوِيْبَةٌ تَنْسُجُ فِي الْهَوَاءِ وَعَلَى رَأْسِ الْبُتْرِ نَسْجاً رَقِيقاً مُهْلَهاً مُؤَنَّثَةً... قال الفراء العنكبوت أنثى وقد يُذكَرُها بعض العرب... قال والتأنيث في

(١) لسان العرب: (لبس): ٢ / ٦٠٦.

(٢) الحيوان: ١ / ٦٨.

(٣) الحيوان: ١ / ٤٦٦.

(٤) قال ابن فارس: (الحاء واللام وما بعدها معتل، ثلاثة أصول: فالأول طيب الشيء في مِثْلٍ مِنَ النَّفْسِ إِلَيْهِ، والثاني تحسين الشيء، والثالث - وهو مهموز - تَنْجِيَةِ الشَّيْءِ) معجم مقاييس اللغة: ٢ / ٩٤.

(٥) شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٥ / ٢٧٢.

العنكبوت أكثر والجمع العنكبوتات وَعَنَاكِبُ وَعَنَاكِبٌ عن اللحياني وتصغيرها عُنَيْكِبٌ وَعُنَيْكِبٌ^(١).

ورد ذكرها في النهج مرة واحدة في سياق خطبة يبين فيها الإمام عليه السلام من يتصدى للحكم في الأمة وهو ليس أهلاً لذلك، وفيها يصنف الرجال إلى صنفين، وهما أبغض الخلائق إلى الله يقول في وصف الرجل الثاني: «وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا مُوَضِعٌ فِي جُهَالِ الْأُمَّةِ عَادٍ فِي أَعْبَاشِ الْفِتْنَةِ عَمَّ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ... فَهُوَ مِنْ لَبَسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعُنْكَبُوتِ لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ»^(٢).

من الأمور التي تبلي بها الأمة (الجهال) على اختلاف الأزمنة و(المعاندون)، وإنَّ الجهل أكثر وطأً على الأمة، ثم يأتي الإمام عليه السلام بعشرين وصفاً للصنف الثاني من الرجال^(٣)، ويضرب مثلاً على لبسه الشبهات كنسج العنكبوت، فالسياق الثقافي يشير إلى استعمال (نسج العنكبوت) للدلالة على الوهن والضعف الذي يتمثل به هذا الجاهل أمام الشبهات، وسرعان ما ينكشف.

يقول ابن ميثم في شرحه: (ووجه هذا التمثيل أن الشبهات التي تقع على ذهن مثل هذا الموصوف إذا قصد حلّ قضية مبهمّة تكثر فيلبس على ذهنه وجه الحقّ منها فلا يهتدي له لضعف ذهنه، فتلك الشبهات في الوها يشبه

(١) لسان العرب: (عنكب): ١ / ٦٣٢.

(٢) نهج البلاغة: كلامه (١٧) / ٥٩.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ١ / ٣١٥.

نسج العنكبوت وذهنه فيها يشبه الذباب الواقع فيه فكما لا يتمكن الذباب من خلاص نفسه من شبك العنكبوت لضعفه كذلك ذهن هذا الرجل إذا وقع في الشبهات لا يخلص وجه الحق منها لقلّة عقله وضعفه عن إدراك وجوه الخلاص^(١).

ويبدو إن سياق النص للخطبة يشير إلى الحذر من الغفلة وعدم التسليم لمن يتصف مثل هذه الصفات التي ذكرها الإمام عليه السلام مع التنفير منها.

٥- النمل

(النون والميم واللام كلماته تدلّ على تجمّع في شيء وصغر وخفّة. منه النمل: جمع نملة. وطعام منمول: أصابه النمل. وفرس نمل القوائم: خفيفها، كأنها شبّهت بالنمل. والنملة: قرحة تخرج في الجنب، كأنها سميت بها لتفشيها وانتشارها، شبّهت بالنملة ودبيها. والأنملة: واحدة الأنامل، وهي أطراف الأصابع)^(٢) وقالوا: (هو اجمع من نملة)^(٣) لدأب النملة على الحركة والعمل فتجمع قوتها.

وردت لفظة النمل أربع مرات^(٤) في نهج البلاغة في كلام له عليه السلام يتبرأ من الظلم يقول فيه: «والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته وإن دنياكم عندي لأهون من

(١) شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ١ / ٣١٦.

(٢) معجم مقاييس اللغة: (نمل): ٥ / ٤٨٢.

(٣) مجمع الامثال: ١ / ١٨٨.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (١٧٨) / ٢٥٦، الخطبة (١٨٥) / ٢٧٠ - ٢٧١، كلامه (٢٢٤) /

وَرَقَّةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضُمُهَا مَا لِعَيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى»^(١).

يبتدأ هذا النص ضمن الخطبة بالقسم بلفظة (والله) هذه الكلمة هل فيها تأكيد للكلام أم فيها قوة له؟ يشير السياق اللغوي إلى التكرار في القسم إذ ابتدأ الإمام كلامه بـ«والله لَأَنَّ أَيْتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّدًا»^(٢) وصفة التكرار بالقسم تفضي إلى التأكيد بل هو أبلغ من التأكيد، يقول السيوطي (٩١١هـ): (وهو أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة خلافاً لبعض من غلط. وله فوائد. منها: التقرير، وقد قيل الكلام إذا تكرر تقرر)^(٣) إذن أفاد التكرار بالقسم هنا قوة التأكيد في كلام الإمام عليه السلام على رفض الظلم مع الإقرار بذلك.

ثم ضرب الإمام عليه السلام مثلاً لقصد ما يريد أن يوصله للمتلقي، وهو مبدأ (معصية الله) والنهي عنها بذكر النملة كمثل على ذلك، والنملة من الكائنات الصغيرة الكادحة يصفها الإمام بقوله: «انظروا إلى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تُنال بلحظ البصر ولا بمُسْتَدْرِكِ الْفِكْرِ كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا وَصَبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا وَفِي وَرْدِهَا لِصَدْرِهَا مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا مَرْزُوقَةٌ»^(٤).

يشير سياق الحال إلى استعمال القرينة اللفظية للفعل (أَسْلَبَهَا) إذ يؤكد بداية الظلم وارتكاب المعصية، ثم ينبه أن السلب هو جلب شعير أي

(١) نهج البلاغة: كلامه (٢٢٤) / ٣٤٧.

(٢) نهج البلاغة: كلامه (٢٢٤) / ٣٤٦.

(٣) الإتيان في علوم القرآن: السيوطي: ١ / ٣٠٥.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (١٨٥) / ٢٧١.

(قشرها)^(١) ولذا يدل سياق الحال على التبرؤ من الظلم كونه بداية المعصية. وفي سياق آخر يذكر الإمام عليه السلام (الذر) والذرة: (صغار النمل والذر مصدر «ذرت») وهو أخذك الشيء بأطراف أصابعك تذره ذر الملح على الخبز وتذر الدواء في العين والذرور اسم الدواء اليابس للعين)^(٢) (واحدته ذَرَّةٌ)^(٣).

ورد ذكرها في النهج أربع مرات^(٤)، قال الإمام عليه السلام في خطبة له: «وَيَعْلَمُ مَنْسَقَطَ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا، وَمَسْحَبَ الذَّرَّةِ وَمَجْرَّهَا، وَمَا يَكْفِي الْبَعُوضَةَ مِنْ قُوَّتِهَا، وَمَا تَحْمِلُ الْأَنْثَى فِي بَطْنِهَا»^(٥).

هنا التعددية في الخلق من مسقط قطرة إلى الذر إلى البعوضة وإلى ما تحمل كل أنثى في بطنها رابطها واحد هو علم الله بها وإنه سبحانه عليم ومحيط بكل شيء ويظهر إن الأمثلة المختارة لم تكن اعتباطية فمن من المخلوقات له أن يعلم أين تسقط قطرة المطر وتستقر؟ أو موضع سحب الذرة وجرها^(٦) أو ما يكفي هذه البعوضة الصغيرة من قوت أو ما تحمل كل أنثى من ذكر أو أنثى كل هذه إشارات على قدرة الله في إثبات وحدانيته لذا فدلالة السياق على

(١) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١١ / ٢٤٩.

(٢) كتاب العين: (ذر): ٨ / ١٧٥.

(٣) لسان العرب: (ذرر): ٤ / ٣٠٣.

(٤) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٩١) / ١٣٤، الخطبة (١٦٥) / ٢٣٩، الخطبة (١٧٨) / ٢٥٦، الخطبة (١٨٢) / ٢٦١.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة (١٨٢) / ٢٦١.

(٦) مسح الذرة الصغيرة من النمل ومجرها - موضع سحبها وجرها - شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١٠ / ٨٨.

وحدانية الله مع الشكر وفيه تحدُّ وعجز للنفس البشرية.

٦- اليَعْسُوب

اليَعْسُوب (ملك النحل، ومنه قيل للسيّد: يعسوب قومه. واليعسوب أيضاً: طائرٌ أطول من الجرادة لا يضمُّ جناحه إذا وقع؛ تُشَبَّه به الخيلُ في الضَّمِّ)^(١).

وردت لفظة اليعسوب في النهج مرتين^(٢)؛ قال الإمام علي عليه السلام: «أَنَا يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَالُ يَعْسُوبُ الْفُجَّارِ»^(٣).

قال الرضي: (ومعنى ذلك أن المؤمنين يتبعونني والفجار يتبعون المال كما تتبع النحل يعسوبها وهو رئيسها)^(٤) وفي هذا الصدد يقول الدكتور الياسري: (وقد تتخذ المفردة مساراً دلالياً آخر هو الوصف في وصف الفجار وتكالبهم على المال كما تتبع النحل يعسوبها)^(٥) إذن فدلالة السياق هنا تبين أن الإمام أشار إلى أن الإنسان يتبع طريقين هما: طريق الإيمان أو طريق الكفر وقد تجسّد الإيمان بشخصه في اتباعه بتعاليم الإسلام وسنة الرسول صلى الله عليه وآله وجعل المال مقابل الإيمان، وذلك أن المال من مضامين حب الدنيا واتباع الهوى، (وعنهم عليهم السلام: حبّ الدنيا رأس كل خطيئة)^(٦)، رواه عن الصادق عليه السلام بهذه

(١) الصحاح: (عسوب): ٤٦٨ / ١.

(٢) نهج البلاغة: غريب كلامه (١) / ٥١٧، الكتاب (٣١٦) / ٥٣٠.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب (٣١٦) / ٥٣٠.

(٤) م. ن.

(٥) الحقول الدلالية لأسماء الحيوان في نهج البلاغة (بحث): أ.د. عبد الكاظم محسن الياسري: ٢٢، ضمن كتاب دراسات في اللغة والنحو.

(٦) ينظر: الكافي: ٢ / ٤٤٠، الخصال: الصدوق: ١ / ٣٥، الأملالي: الطوسي: ٢ / ٢٣٥.

الرواية، ورواه عن الرسول ﷺ برواية أخرى: «حب الدينار رأس كل خطيئة»^(١).

ووردت حشرات أخرى مثل: القز (مرة واحدة)^(٢)، والهمجة (مرة واحدة)^(٣)، والوذحة (مرة واحدة)^(٤) ومن أسماء المجاميع (الهومام)^(٥) فقد وردت (أربع مرات)^(٦).

ينظر جدول إحصائي (٥) للوحدات الدلالية للحشرات في نهج البلاغة - صفحة ٢٩٨.



(١) شعب الإيمان: البيهقي: ٣٣٨ / ٧.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب (٤٥) / ٤١٨.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة (١٦٥): ٢٣٩.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (١١٦) / ١٧٤.

(٥) جاء في تهذيب اللغة: ٢ / ٢٣٢، الهوام: (الحَيَّاتُ وَكُلُّ ذِي سَمٍ يَقْتُلُ سَمُّهُ. وَأَمَّا مَا لَا يَقْتُلُ وَيَسْمُ فَهِيَ السَّوَامُ مُشَدَّدة الميم لأنها تسم ولا تبلغ أن تقتل مثل الزنبور والعقرب وأشباهاها).

(٦) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٨٣) / ١١١، الخطبة (٩١) / ١٣٤، كلامه (١٧١) / ٢٤٥، كلامه (٢٢١) / ٣٤٠.



الفصل الثاني

أثر السياق في الألفاظ الدالة على النبات

المبحث الأول: الأشجار

المبحث الثاني: النباتات

المبحث الثالث: الأزهار



توطئة

لا يخفى ما للنبات من أهمية في حياة الإنسان، ونستطيع أن ننظر جلياً في هذه النعمة التي وهبها الله (سبحانه وتعالى) للبشرية جمعاء ليصبح من أهم ضروريات الحياة.

والنبات في اللغة: (كُلُّ مَا أَنْبَتَ الْأَرْضَ فَهُوَ نَبْتُ وَالنَّبَاتُ فَعْلُهُ وَيَجْرِي مَجْرَى اسْمِهِ تَقُولُ أَنْبَتَ اللَّهُ النَّبَاتَ إِنْبَاتًا وَنَبَاتًا، وَنَحْوَ ذَلِكَ. قَالَ الْفَرَاءُ: إِنْ النَّبَاتُ اسْمٌ يَقُومُ مَقَامَ الْمَصْدَرِ.

قال الله جل وعز: ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾^(١) وَنَبَتَ النَّبْتُ نَبْتًا وَنَبَاتًا، وَأَجَازَ بَعْضُهُمْ أَنْبَتَ لِمَعْنَى نَبَتَ، وَأَنْكَرَهُ الْأَصْمَعِيُّ وَأَجَازَهُ أَبُو زَيْدٍ^(٢).

لقد شكّل النبات حيزاً كبيراً في القرآن الكريم منذ انطلاقة الإنسان الأولى وبدء خلقه المتمثلة بأبينا آدم وأمنا حواء عليهما السلام حينما نُهيا عن الاقتراب إلى (الشجرة) قال تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣)، وكما جاء على لسان النبي إبراهيم عليه السلام في سياق الدعاء قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي

(١) آل عمران: ٣٦.

(٢) تهذيب اللغة: (نبت): ١٦ / ٥.

(٣) البقرة: ٣٥.

بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴿١﴾، واقتضى الإسكان في وادٍ غير مزروع لكونه أرضاً حَجْرِيَّةً رَمَلِيَّةً (٢)، ويرد (الزرع) في القرآن الكريم بمعنى زرع الحبوب يقول: ابن منظور (ت ٧١١هـ): (زَرََعَ الْحَبَّ يَزْرَعُهُ زَرْعاً وَزِرَاعَةً بَدْرَهُ وَالاسْمُ الزَّرْعُ وَقَدْ غَلَبَ عَلَى الْبُرِّ وَالشَّعِيرِ وَجَمَعَهُ زُرُوعٌ وَقِيلَ الزَّرْعُ نَبَاتٌ كُلُّ شَيْءٍ يَحْرَثُ وَقِيلَ الزَّرْعُ طَرَحَ الْبَدْرُ) (٣)، وقال الراغب: (الزرع الإنبات وحقيقة ذلك تكون بالأمر الإلهية دون البشرية قال تعالى: ﴿ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ (٤) (٥).

لذا فقد احتل النبات مكانة عظيمة في القرآن الكريم كالمكانة التي حازها الحيوان، وقد استتبع ذكره في القرآن الكريم في سياقات مختلفة وأغراض شتى كان الغالب فيها هو بيان قدرة الخالق وإثباتها والدعوة إلى الإيمان به؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنِ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦).

فضلاً عن ضرب الأمثال به، وذكره في حياة الأنبياء والرسل، وتسبيح النبات، مع بيان أهميته؛ لكونه يمثل الغذاء الأساس للإنسان والحيوان،

(١) إبراهيم: ٣٧.

(٢) ينظر: تفسير الميزان: الطباطبائي: ٣٨ / ١٢.

(٣) لسان العرب: (زرع): ٨ / ١٤١.

(٤) الواقعة: ٦٤.

(٥) المفردات في غريب القرآن: الراغب الاصفهاني: ١ / ٢٧٩.

(٦) الانعام: ٩٩.

وغيرها من الأغراض الأخرى التي تناولها القرآن ضمن السياقات المختلفة^(١).

وكان للرسول ﷺ الكريم الدور الأكبر في إبراز قدرة الله على خلق النباتات، وعندما نستجلي السنة النبوية الشريفة نجد أن للنبات حضوراً في حياة الرسول ﷺ، وفي حوادث مختلفة ذكرها القرآن الكريم كذكر الشجرة في صلح الحديبية وغيرها، مع أقواله وحكمه في بيان مكانة النبات لدى الناس بذكر منافعه، وتشبيه المؤمن ببعض النباتات والفواكه وتشبيه الكافر ببعضها الآخر؛ لتقريب الصورة لدى المجتمع الإسلامي، ففي حديث له يشبه المؤمن بفاكهة الأترجة وهي فاكهة من فصيلة الحمضيات^(٢).

ذكرها في سياق تشبيه المؤمن بها لتصويره بالهيئة التي يكون بها لدى قراءته القرآن قال ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة؛ ريحها طيبٌ وطعمها طيبٌ»^(٣)، وفي هذا تصوير جمالي لقصد الحث على قراءة القرآن بدعوى التشويق للمتلقى ضمن سياق الحال.

وعلى الرغم من أن البيئة العربية لم تكن بيئة غناء بمختلف أنواع النباتات لكونها بيئة صحراوية إلا إنهم عنوا بعناية كبيرة بالنبات والشجر؛ وذلك للضرورة الماسة لما يحتاجونه منها لرعي ماشيتهم يتفقدونها في كل مكان، وينتجعون إليها حيث وجدت، ويرحلون إليها صيفاً وشتاءً، وكانت هذه

(١) ينظر: الصورة النباتية في الأسلوب القرآني (رسالة ماجستير): أحمد عبدالله عيسى: ١٨١ - ١٨٢.

(٢) جاء في المعجم الوسيط: ١ / ٨: الأترج: (شجر يعلو ناعم الأغصان والورق والثمر وثمره كالليمون الكبار وهو ذهبي اللون ذكي الرائحة حامض الماء).

(٣) صحيح مسلم: ١ / ٥٤٩.

النباتات بأسمائها ومسمياتها تشغل حيزاً كبيراً من لغتهم واتصلت بها اتصالاً وثيقاً فدونت مع اللغة وحفظت في دواوينها جزءاً لا ينفصل عنها^(١).

ويُلاحظ أنَّ النبات شكّل جانباً مهماً في نهج البلاغة، وقد كان للنبات حضورٌ ضمن نطاق البحث؛ تناول فيه الإمام علي عليه السلام مختلف أنواع النباتات ووظفها توظيفاً سياقياً بحسب الغرض، والقصد الذي أراد الكشف عنه، ولا يخلو هذا التوظيف كما الحيوان من دخول معنى الحقيقة والمجاز للنبات فمن إثبات خلق الخالق، وتصوير نعمه فيما خلق والتأمل في ذلك، إلى الوصف، وضرب الأمثال والحكم؛ فضلاً عن: التشبيه، والاستعارة، والكناية، والاعراض البلاغية الأخرى.

وارتبط ذكر النبات في نهج البلاغة بمسميات مختلفة بحسب البيئة العربية، وبحسب أصنافه من: نبات، وشجر، وثمر، وزهر بمختلف الألوان والأشكال، وكان لأجزاء النبات حضورٌ: من ورق، وخص، وسيقان، وأغصان، ولما كان النبات هو غذاء الإنسان والحيوان فيُعدُّ الماء هو غذاء النبات وكان جل اعتماد العرب على المياه من الأمطار؛ لذا ظهرت خطب الاستسقاء واضحة وجلية في النهج، وكان العرب في حلهم وترحالهم نحو البوادي؛ لرعي ماشيتهم يعتمدون على ما يجدونه من نباتات.

يقول الإمام عليه السلام في خطبة له يذكر فيها فضل أهل البيت عليهم السلام: «وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِنًا عَلَى مِثَالِهِ فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ وَمَا خَبِثَ ظَاهِرُهُ خَبِثَ بَاطِنُهُ وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتًا وَكُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَى بِهِ

(١) تاريخ النبات عند العرب: أحمد عيسى: ١٣.

عَنْ الْمَاءِ وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ فَمَا طَابَ سَقِيُّهُ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَّتْ ثَمَرَتُهُ وَمَا خَبَثَ سَقِيُّهُ خَبَثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ»^(١). يقول التستري: «واعلم ان لكل عمل نباتا» الظاهر ان الأصل «واعلم ان لكل غرس نباتا»، وصفحته النساخ، وإلا فلا مناسبة لا ثبات نبات للعمل^(٢)، ويبدو أن رواية (العمل) صحيحة لرواية الشروح بها، كما إنَّ المعنى مناسب لاستعارة النبات للعمل؛ لأنَّ النباتَ يتطلب الصبر والعناية والانتظار لجني الثمر وكذلك العمل.

ثم يبين الإمام عليه السلام (حب الله لعبده)، ويضرب المثل على ذلك؛ يقول ابن أبي الحديد (هذا الكلام مشتق من قوله تعالى - ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾^(٣) - وهو تمثيل ضربه الله تعالى - لمن ينجع فيه الوعظ والتذكير من البشر - ولمن لا يؤثر ذلك فيه... السقي مصدر سقيت والسقي بالكسر النصيب من الماء - . وأمر الشيء أي صار مرا - . وهذا الكلام مثل في الإخلاص وضده - وهو الرياء وحب السمعة - فكل عمل يكون مدده الإخلاص لوجهه تعالى لا غير - فإنه زاك حلو الجنى - وكل عمل يكون الرياء وحب الشهرة مدده فليس بزاك وتكون ثمرته مرة المذاق)^(٤).

ويبدو من خلال علاقة التضاد الدلالي في دلالة (المحبة والبغض)؛ للحث على العبادة مقرونة بالعمل الطيب أو الصالح مع التكرار قد أديا دوراً في إيصال المعنى، فدلالة (العبد) من العبادة مقترن بعمل غير صالح

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١٥٤): ٢١٦.

(٢) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ٧ / ٤٠٢.

(٣) الأعراف: ٥٨.

(٤) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩ / ١٧٨ - ١٨٠.

و(بدنه) من العمل الصالح بلا عبادة، وقد أشار جملة من شراح النهج إلى أنّ المقصود ظاهر العبد وباطنه^(١)، ويشير السياق اللغوي إلى تشبيه العمل بالنبات فكما أنّ الماء مختلف (من بحار وأنهار وأمطار وغيرها) فكذلك النبات يخرج مختلفاً أيضاً، فالعمل الذي يقترن بالعبادة والإخلاص يكون ثمره طيباً، والعمل الذي لا يقترن بذلك يكون ثمره مرّاً لا خير فيه.

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ٩ / ١٧٩ شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٣ / ٢٥٢، شرح نهج البلاغة (السيد عباس الموسوي) ٢ / ٤٩٨.

المبحث الأول الأشجار

١- السُّدْر

(شجرُ النَّبِقِ، الواحدة سِدْرَةٌ، والجمع سِدْرَاتٌ وَسِدْرَاتٌ وَسِدْرَاتٌ) و(السدر اسم للجنس والواحدة سدرة والسدر من الشجر سِدْرَانٍ أَحَدُهُمَا بَرِّيٌّ لَا يَتَنَفَعُ بِثَمَرِهِ وَلَا يَصْلِحُ وَرَقُهُ لِلْعَسُولِ وَرَبِمَا خَبَطَ وَرَقُهَا الرَّاعِيَةُ وَثَمَرُهُ عَفِصٌ لَا يَسُوغُ فِي الْحَلْقِ وَالْعَرَبُ تَسْمِيهِ الضَّالَّ وَالسدر الثاني ينبت على الماء وثمره النبق وورقه غسول يشبه شجر العُنَابِ لَهُ سُلَاءٌ كَسُلَاءِئِهِ وَوَرَقُهُ كَوَرَقِهِ غَيْرَ أَنَّ ثَمْرَ الْعُنَابِ أَحْمَرٌ حَلْوٌ وَثَمْرَ السدر أَصْفَرٌ مُزٌّ يَتَفَكَّهُ بِهِ^(٢)).

وردت هذه اللفظة في نهج البلاغة مرة واحدة بصيغة اسم الجنس في خطبة له ﷺ يذكر فيها بعض صفات الرسول الكريم ﷺ، وتهديد بني أمية وعظة الناس يقول: «فَمَا أَحْلَوْلَتْ لَكُمْ الدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا، وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رِضَاعِ أَخْلَافِهَا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلًا خِطَامُهَا، فَلِقَاءَ وَضِيئِهَا، قَدْ صَارَ

(١) الصحاح: (سدر): ١ / ٣٠٩.

(٢) لسان العرب: (سدر): ٤ / ٣٥٤.

حَرَائِمَهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمُخْضُودِ، وَحَلَالُهَا بَعِيداً عَنِ مَوْجُودِ،
وَصَادَقْتُمُوهَا، وَاللَّهُ ظِلًّا مَمْدُوداً إِلَى أَجْلِ مَعْدُودٍ^(١).

يشير السياق اللغوي إلى اقتباس الإمام علي عليه السلام للفظ قرآني، وادخاله ضمن الخطبة بسياق مختلف عما ورد في القرآن: (السدر المخضود)^(٢) و(الظل الممدود) قال تعالى في سورة الواقعة الآية (٢٧ - ٣٠): ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنضُودٍ * وَظِلِّ مَمْدُودٍ﴾ فسياق الآية يشير إلى دلالة بيان حال أصناف من الناس يؤتون يوم القيامة كتابهم بيمينهم أعد لهم: شجرة نبق بلا شوك، وشجرة موز، وظل بارد^(٣).

وفي الرواية (أخرج الحاكم وصححه والبيهقي في البعث عن أبي إمامة قال: «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون: إن الله ينفعنا بالأعراب ومسائلهم أقبل أعرابي يوماً، فقال: يا رسول الله لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أرى أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وما هي؟ قال: السدر فإن لها شوكة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أليس يقول الله:

﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ يخضده الله من شوكة، فيجعل مكان كل شوكة ثمرة إنها تنبت ثمراً يفتق الثمر منها عن اثنين وسبعين لوناً من الطعام ما فيها لون يشبه الآخر^(٤).

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١٠٥) / ١٥١.

(٢) (الخضد: نزع الشوك عن الشجر) كتاب العين: ١ / ٤٩٥. و(خضدت الشجر، قطعت

شوكه فهو خضيد ومخضود) لسان العرب: (خضد): ٤ / ١١٩.

(٣) ينظر: تفسير الميزان: ١٩ / ٦٤ - ٦٦.

(٤) الدر المنثور: السيوطي: ٩ / ٣٨٦.

ويلاحظ أن سياق الخطبة يشير إلى بيان حال أقوام احلوت الدنيا لهم، وتغير حالهم، فصار حرامها بمنزلة شجرة النبق بلا شوك أي: لا تعب فيه ولا عناء؛ لذا فإنّ (نواهي الله ووعيداته على فعل المحرّمات تجرى مجرى الشوك للسدر في كونها مانعة منه كما يمنع شوك السدر جانبه من تناول ثمرته، ولما كان بعض الأمة قد طرح اعتبار النواهي والوعيد جانبا عن نفسه وفعل ما حرم عليه جرى ذلك عنده مجرى تناوله للسدر الخالي عن الشوك في استسهاله تناوله وإقدامه عليه)^(١)؛ لذا فالإمام لم يقتبس من القرآن الكريم بنفس السياق، وإنما وظّفه باتجاه آخر كما هو موضح في بيان صفة الدنيا وتساهل الحرام وعدم الالتزام بالأوامر الإلهية.

٢- الشَّجَر

(الشين والجيم والراء أصلان متداخلان، يقرب بعضهما من بعض، ولا يخلو معناه من تداخل الشيء بعضه في بعض، ومن علو في شيء وارتفاع... فالشجر معروف، الواحدة شجرة، وهي لا تخلو من ارتفاع وتداخل أغصان)^(٢)، و(الشجرة الواحدة تجمع على الشجر والشجرات والأشجار والمجتمع الكثير منه في منبته شجراً والشجر والشجر من النبات ما قام على ساق)^(٣).

وردت لفظة (الشجر) سبع عشرة مرة في النهج، منها (اثنا عشر

(١) شرح نهج البلاغة (ابن ميثم): ٣ / ٢٦.

(٢) معجم مقاييس اللغة: (شجر): ٣ / ٢٤٦.

(٣) لسان العرب: (شجر): ٤ / ٣٩٤.

موضوعاً^(١) بصيغة المفرد، و(خمسة مواضع)^(٢) بصيغة الجمع، وغلب التعريف على التنكير من أمثال (شجرة النبوة، الشجرة، شجرته، والشجر، وهكذا).

من كلام له قالوا لما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله عليه السلام قال عليه السلام: «ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت: منا أمير ومنكم أمير، قال عليه السلام: فَهَلَا اِخْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عليه السلام وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟ قَالُوا: وَمَا فِي هَذَا مِنَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ عليه السلام: لَوْ كَانَ الْإِمَامَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ. ثُمَّ قَالَ عليه السلام: فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ؟ قَالُوا: اِخْتَجَّتْ بِأَنَّهَا شَجَرَةُ الرَّسُولِ عليه السلام، فَقَالَ عليه السلام: اِخْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ، وَأَصَاعُوا الثَّمَرَةَ»^(٣).

وفي موضع آخر يقول عليه السلام في ذكر النبي عليه السلام من خطبة له عليه السلام في بيان قدرة الله وانفراده بالعظمة وأمر البعث: «نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ، وَيَنَابِيعُ الْحُكْمِ، نَاصِرُنَا وَمُجِبِّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وَعَدُونَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ»^(٤).

لو نظرنا إلى الصور التي وردت بها لفظة (الشجر) في قوله: «شجرة

(١) ينظر: نهج البلاغة: كلامه (٦٧) / (٩٨)، الخطبة (٩١) / (١٣٥)، الخطبة (٩٤) / (١٣٩)، الخطبة (١٠٨) / (١٥٦)، الخطبة (١٠٩) / (١٦٢)، الخطبة (١٣٥) / (١٩٣)، الخطبة (١٦١) / (٢٢٩)، الخطبة (١٩٢) / (٣٠١)، الكتاب (٤٥) / (٤١٨).

(٢) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٩١) / (١٣٤)، الخطبة (٩٤) / (١٣٩)، الخطبة (٩٧) / (١٤٣)، الخطبة (١٦٥) / (٢٣٩)، الخطبة (١٨٥) / (٢٧١).

(٣) نهج البلاغة: كلامه (٦٧) / (٩٨).

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (١٠٩) / (١٦٢) - (١٦٣).

الرسول، احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة، شجرة النبوة» نجد أنها خرجت لأغراض مجازية لا حقيقية بحسب معناها في المعجم اللغوي.

ويشير السياق اللغوي إلى ورود لفظة شجرة في قولهم: (شجرة الرسول) لبيان الأصل المتجذر الذين هم قريش يقول ابن ميثم: (استعار لفظ الشجرة لقريش: باعتبار أنهم أصل للرسول ﷺ)^(١)، وإن هذه الشجرة ينبغي أن تكون لها ثمرة تخرج للخلافة لأن إمرة الناس والسعي لإقامة العدل يعد ثمرة هذه الشجرة، والثمرة متمثلة بعلي عليه السلام.

إمّا في السياق اللغوي الآخر في قوله (نحن شجرة النبوة)، فلأن الرسول هو النبي وبيوت آل الرسول مهبط الوحي وفيها ينزل جبرائيل فهنا بيان الأصل المتجذر الذي يرتفع عالياً بالمكانة التي نالها الرسول الكريم وأهل بيته عليهم السلام.

ولذا يبدو الفرق واضحاً بين السياقين في ورود (الشجرة)، وما أُضيف إليها، ففي الصورة الأولى كانت (شجرة الرسول): غير ثمرة، وإن كانت متجذرة بقريش أو ان ثمرها لم ينتفع به أحد -بأدق تعبير-؛ أمّا في الصورة الثانية (شجرة النبوة) فهي: شجرة ثمرة عالية الأغصان، ومرتفعة عن الأرض.

وسياق الحال يبين الصلة بين هذه الصور، فدلالة (شجرة الرسول) وردت في مقام المدح لقريش بقريظة لفظية، وهي الفعل (احتج) وقد دلّت على التفرد، ودلالة (شجرة النبوة) فقد وردت في مقام البيان لمكانة أهل

(١) اختيار مصباح السالكين: ١٧٥.

البيت عليه السلام، وقد دلّت على الاشتراك والجمع بدليل القرينة اللفظية الضمير (نحن) وهو ضمير الاختصاص.

٣- الصَّبْرُ

جاء في كتاب العين (صبر) بسكون الباء معناه: (نقيض الجَزَعِ والصَّبْرُ نَصْبُ الْإِنْسَانِ لِلْقَتْلِ فَهُوَ مَصْبُورٌ وَصَبْرُوهُ أَي نَصَبُوهُ لِلْقَتْلِ وَالصَّبْرُ أَخَذَ يَمِينِ إِنْسَانٍ تَقُولُ صَبَرْتُ يَمِينَهُ أَي حَلَفْتُهُ بِاللَّهِ جُهْدَ الْقَسَمِ وَالصَّبْرُ فِي الْإِيمَانِ لَا يَكُونُ إِلَّا عِنْدَ الْحُكَّامِ) ^(١) أمّا بكسر الباء فمعناه: (عُصَارَةٌ شَجَرَةٌ وَرَقُهَا كَثُرَتْ السَّكَاكِينِ طَوَالَ غِلَاظٍ فِي خُضْرَتِهَا غُبْرَةٌ وَكُمْدَةٌ مُقَشَعِرَةٌ الْمَنْظَرُ يَخْرُجُ مِنْ وَسَطِهَا سَاقٌ عَلَيْهِ نُورٌ أَصْفَرٌ تَمَّهُ الرِّيحُ كَرِيمُهُ) ^(٢).

وردت هذه اللفظة مرتين في سياقين مختلفين: مرة (يذم الدنيا) من خطبة له إذ يقول عليه السلام: «سُلْطَانُهَا دُوْلٌ وَعَيْشُهَا رَنَقٌ وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ وَحُلُوْهَا صَبْرٌ وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ» ^(٣) ومرة (فيمن يبيع من ليس أهلاً للحكم) يقول عليه السلام: «أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ وَسَيِّتَيْتُمْ اللَّهَ بِمَنْ ظَلَمَ مَأْكَلًا بِمَأْكَلٍ وَمَشْرَبًا بِمَشْرَبٍ مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلَقِمِ وَمَشَارِبِ الصَّبْرِ وَالْمُقْرِ» ^(٤).

مما لا ريب فيه أن الأمثلة تضرب بالصبر للدلالة على مرارة الطعم يقال:

(١) كتاب العين: (صبر): ٧ / ١١٥.

(٢) م. ن.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة (١١١) / ١٦٥.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (١٥٨) / ٢٢٣.

(أمر من الصبر)^(١) لأمر صعب، والإمام في الصورة الأولى يأتي بالصبر، ويجعل حلو العذب للدنيا (صبر)؛ لبيان أنه مهما ضحكت الدنيا فهي تخدعه يقول البحراني في شرحه: (ولفظي الاجاج - وهو المالح - والصبر لما يشوب لذاتها من الكدر بالأمراض والتغيرات، ووجه الاستعارات الاشتراك في الالتذاذ والإيلام)^(٢).

في حين الصورة الثانية تبين أن ظلم الإنسان سيجزيه الله (سبحانه وتعالى) مشرباً مرّاً جزاءً لعمله، وما يلاقيه من جرّاء ذلك من الصعوبات. يقول ابن أبي الحديد: (وأوردتموه غير ورده أنزلتموه عند غير مستحقه - ثم قال سيبدل الله ماكلهم اللذيذة الشهية - بماكل مريرة علقمية - والمقر المر-) ^(٣).

لذا فدلالة السياق في الصورة الأولى على التحذير من لذائد الدنيا بدلالة ذمها، ودلالته في الصورة الثانية الأهوال والشدائد لما يلاقي الإنسان من مبايعة من ليس أهلاً للحكم.

٤- الضَّرَاءُ

(والضَّرَاءُ بالفتح والمدُّ الشَّجَرُ الْمُلتَفُّ في الوَادِي يُقال تَوَارَى الصَّيْدُ منه في ضَرَاءٍ وفلانٌ يَمْشِي الضَّرَاءَ إذا مَشَى مُسْتَخْفِيًّا فيما يُوَارِي من الشَّجَرِ واستَصْرَيْتُ للصَّيْدِ إذا خَتَلْتَهُ من حيث لا يعلم والضَّرَاءُ ما وَاَرَكَ من الشَّجَرِ

(١) جمهرة الأمثال: العسكري: ١ / ١٨٤.

(٢) شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٣ / ٨٨.

(٣) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ٩ / ٢١٩.

وغيره وهو أيضاً المشي فيا يواريك عنم تكيده وتختله^(١).

وردت هذه اللفظة في نهج البلاغة مرة واحدة في خطبة يصف بها المنافقين يقول ﷺ: «وَأَحَدَرَكُمُ أَهْلَ النَّفَاقِ فَإِنَّهُمْ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ وَالزَّالُونَ الْمُزْلُونَ يَتَلَوْنُونَ أَلْوَانًا وَيَقْتَنُونَ أَفْتِنَانًا... قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ وَصَفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ يَمْشُونَ الْخَفَاءَ وَيَدْبُونَ الضَّرَاءَ وَصَفُهُمْ دَوَاءٌ وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعِيَاءُ»^(٢).

إن أكثر ابتلاءات الأمم تتأتى من المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبتنون؛ لذا أفرد الإمام ﷺ خطبة خاصة عنهم؛ لبيان صفاتهم التي اتصفوا بها.

ومن صفاتهم (مشيهم الخفاء، ودبهم الضراء) يقال: (دَبَّ النَّمْلُ يَدْبُ دَبِيئًا وَالْمَدْبُ مَوْضِعُ دَبِيبِ النَّمْلِ وَدَبَّ الْقَوْمُ يَدْبُونَ دَبِيئًا إِلَى الْعَدُوِّ أَيْ مَشَوْا عَلَى هَيْئَتِهِمْ وَلَمْ يُسِرِّعُوا)^(٣) يقول ابن أبي الحديد: (وهذا مثل يضرب لمن يختل صاحبه - يقال هو يدب له الضراء)^(٤) إذ بين الإمام أنهم يتناجون بحركات خفية بينهم ولذا أعمالهم الفعلية والحركية تكون بالخفاء مثل الصيد الذي يتخفى بشجر الوادي الملتف فلا يرى وهكذا هم، وفي هذا وصف أفعالهم من (السير، والديب) ضمن سياق الحال دلالة على التستر وإضمار الشر.

٥ - العلقم

(شجر الحنظل. ولذلك يقال لكل شيء فيه مرارة شديدة: كأنه العلقم)

(١) لسان العرب: (ضراء): ١٤ / ٤٨٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة (١٩٤) / ٣٠٧.

(٣) كتاب العين: (دب): ٨ / ١٢.

(٤) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١٠ - ١٦٧.

والقطعة منه علقمة^(١) وقيل (هو شَحْمُ الحنظل ولذلك يقال لكل شيء فيه مرارة شديدة كأنه العَلَقَم ابن الأعرابي العَلَقَمَةُ النَّبِقَةُ المُرَّةُ وهي الحزرة والعلقمة المرارة وعلقم طعامه أمره كأنه جعل فيه العلقم وطعام فيه علقمة أي مرارة والعلقم أشد الماء مرارة)^(٢).

ورد ذكر هذه اللفظة في نهج البلاغة أربع مرات^(٣) وصف الإمام عليه السلام ما مرّ به من مواقف شديدة عليه، منها كلام له عليه السلام في التظلم، والتشكي من قريش يقول: «فَنظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ وَلَا ذَابٌّ وَلَا مُسَاعِدٌ، إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي؛ فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ المُنِيَّةِ، فَأَغْضَيْتُ عَلَى القَدَى، وَجَرَعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الغَيْظِ عَلَى أَمْرٍ مِنَ العَلَقَمِ، وَأَمَّ لِلقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشَّفَارِ»^(٤).

لم يستعمل الإمام عليه السلام هذا النبات إلا في مواضع التشكي، والتظلم لما لاقاه من صعوبات، ولجأ الإمام إلى أسلوب الدعاء في بداية كلامه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ».

(يقال: استعدى فلان السلطان على ظالمه أي استعان به)^(٥) ودلالة الفعل استعدى هنا: هو طلب المعونة من الله (سبحانه وتعالى) لأن بث الشكوى لا يكون لأحد غير الله وهذه نكتة أخلاقية تربوية ضمن السياق اللغوي.

ولما كان من أمر الخلافة ما جرى يبين الإمام الحالة التي كان بها (لا رافد

(١) تهذيب اللغة: ١ / ٤١٣.

(٢) لسان العرب: (علقم): ١٢ / ٤٢٢.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٢٦) / ٦٨، الخطبة (١٣٨) / ١٩٥، الخطبة (١٥٨) / ٢٢٣، كلامه (٢١٧) / ٣٣٦.

(٤) نهج البلاغة: كلامه (٢١٧) / ٣٣٦.

(٥) تهذيب اللغة: (عدا): ١ / ٣٤٥.

ولا ذاب ولا مساعد) بمعنى: لا ناصر ولا معين ولا طالب بحق الإمام عليه السلام ولم يكن الإمام من طلاب سلطة أو مال، وذلك بحسب الروايات المتواترة في حقه كون عنايته كانت من لدن الرسول صلى الله عليه وآله؛ ولذا نجد في هذا النص بيان للأمر التي تعرض لها الإمام في حياته التي منها: عدم اعطائه حقه في الحكم.

لذا لم تكن هنالك وقفة لأحد للإمام تذكر سوى (أهل بيته) ولكونهم الناصر؛ فقد بخل الإمام بهم حفاظاً عليهم وما ستجري عليه الأمور من الفتن^(١)، ثم يبين الصورة التي أصبح عليها يقول عليه السلام: «فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَدَى» أي: (اطبقت عليه جفني. والقذى: ما يسقط في العين فيؤذيها)^(٢) «وَجَرَعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا» والشجى هنا بمعنى: (ما يعرض في الحلق عند الغبن ونحوه لا يكاد يسيغ الإنسان معه الشراب)^(٣)؛ ثم يقول: «وَصَبْرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْعَلْقَمِ، وَالْمَ لِقَلْبٍ مِنْ وَخْزِ الشُّفَارِ» كل هذه الصور التي صوّرها الإمام عن حاله كانت أوضح دليل على بيان مظلوميته وقد استعمل العين الباصرة في هذه الصورة وما يصيبها من قذى فيؤذيها وتوظيف العين هنا في السياق كدليل على المعرفة في رؤية الحق المعنوية أي بمنظور حسي بدليل قوله الأول (فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ) إلى أن يصل إلى شدة التظلم والتشكي في استسقاؤه رمزا من رموز الطبيعة المعروفة آنذاك، وهو العلقم حيث لا تستسيغه لمرارته الشديدة لذا فهو يؤلم القلب أكثر من الشفار، (والشفار جمع شفرة وهي حد السيف والسكين)^(٤) ومن هنا يتم

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١١ / ١١٠.

(٢) شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٢ / ٢٦.

(٣) شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٢ / ٢٦.

(٤) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١١ / ١١٠.

بيان الألم المعنوي لا المادي، فدلالة السياق تشير إلى شدة الألم المعنوي النفسي في استعماله لحاستي البصر والتذوق ذي دلالة واضحة على ذلك، فما يصيب العين يؤذي النفس، وما يصيب الفم يؤذيها أيضا.

٦- المرار

شجر مُرٌّ ومنه بنو آكلِ المرارِ قومٌ من العرب وقيل المرارُ حمضٌ وقيل المرارُ شجرٌ إذا أكلته الإبل قلّصت عنه مشافرها واحدها مُرارةٌ هو المرارُ بضم الميم وآكل المرارِ معروف قال أبو عبيد أخبرني ابن الكلبي أنّ حُجراً إنما سُمِّي آكلِ المرارِ أن ابنةً كانت له سبها ملك من ملوك سَلِيحٍ يقال له ابن هَبُولَةَ فقالت له ابنة حجر كأنك بأبي قد جاء كأنه جملٌ آكلُ المرارِ يعني كاشراً عن أنيابه فسمي بذلك... والمرارة أيضاً بقلة مرة وجمعها مُرارٌ^(١).

وردت هذه اللفظة في النهج مرة واحدة ومن خطبة له عليه السلام تسمى القاصعة وفيها ذم إبليس وتحذير الناس من سلوك طريقته يقول: «وتدبّروا أحوال الماضين من المؤمنين قبلكم كيف كانوا في حال التّمحيص والبلاء ألم يكونوا أثقل الخلائق أعباءً وأجهد العباد بلاءً وأضيق أهل الدنيا حالاً اتخذتهم الفراعنة عبيداً فسأموهم سوء العذاب وجرّعوهم المرار فلم تبرح الحال بهم في ذل الهلكة وقهر الغلبة»^(٢) من الأمور التي حث الإمام عليه السلام عليها في نهج البلاغة كثيرا هو الحذر، وقد جاء الحذر هنا ضمن السياق التاريخي من استذكار أحداث الأمم السالفة بالقرينة اللفظية الفعل (تدبّروا) أي: تفكّروا، ولاستذكار الأمم السابقة وما مرّت به من أحداث في التّمحيص أثر

(١) لسان العرب: (مرر): ٥ / ١٦٥.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة (٩٢) / ٢٩٦.

كبير في المجتمع، فيتدبرها بنزع المرء إلى الحذر من الوقوع في مشابك الشيطان وقصص الأنبياء ﷺ حافلة بذلك.

وأوضح الإمام باستفهام انكاري لمن لا يحذر الشيطان ويمشي في طريقه استسهالاً لذلك يذكره بما جرى على المؤمنين السابقين من بلاءات وابتلاءات جمّة.

فقد ذكر الإمام ﷺ الفراعنة، وما جرى على المؤمنين في ذلك الزمن، فهو يصف حالهم آنذاك بتعذيبهم بشدة وسومهم سوء العذاب، وقد ذكر تجربهم المرار لشدة ما لا قوا من العذاب للحفاظ على دينهم وفي هذا إشارة واضحة إلى الجهاد؛ لغلبة الشيطان، ومقاومة العدو بالصبر، لذا تتأتى دلالة السياق على الصبر، والتجلّد، وجهاد النفس.

٧- النَّخْل

(النون والخاء واللام: كلمة تدلُّ على انتقاء الشيء واختياره. وانتخلته: استقصيت حتى أخذت أفضله. وعندنا أن النَّخْلَ سَمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ أَشْرَفُ كُلِّ شَجَرٍ ذِي سَاقٍ، الْوَاحِدَةُ نَخْلَةٌ. وَالنَّخْلُ: نَخْلُكَ الدَّقِيقُ بِالْمُنْخُلِ... وَالنَّخْلُ: ضَرْبٌ مِنَ الْحَلِيِّ عَلَى صُورَةِ النَّخْلِ)^(١)، و(النَّخْلَةُ شَجَرَةُ التَّمْرِ الْجَمْعُ نَخْلٌ وَنَخِيلٌ وَثَلَاثُ نَخَلَاتٍ)^(٢).

ذكرت هذه اللفظة في النهج مرتين، وقد وردت في وصية الإمام إلى ولده الحسن ﷺ يقول فيها: «فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ وَتَوَخَّيْتُ لَكَ

(١) معجم مقاييس اللغة: (نخل): ٤٠٧ / ٥.

(٢) لسان العرب: (نخل): ١١ / ٦٥١.

بِحَيْلِهِ وَصَرَفَتْ عَنْكَ مَجْهُولَهُ وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدْبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ»^(١).

النخلة معروفة وهنا لم يأت ذكر النخل كشجر؛ وأنها ورد بمعنى: الصفو والخلاصة والاختيار^(٢)، فدلالة السياق هنا على انتقاء الأمور الحسنة الجيدة لولده الحسن عليه السلام بمدة قصيرة واستفادة كبيرة، يقول الموسوي: (في هذا الفصل الشريف من الوصية بيان مرغب لقبولها ودفع لما يتوهم من أنه كيف يقبلها الإنسان وهي تجربة لزم من قصير وأيام معدودة)^(٣).

كما وردت لفظة (النخلة) في سياق مختلف ضمن خطبة يصف خلق النملة والنخلة يقول: «مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنْ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ لِذَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ»^(٤) يقول الأصفهاني: (الصَّغَرُ وَالْكِبَرُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُتَضَادَّةِ، الَّتِي تُقَالُ عِنْدَ اعْتِبَارِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ، فَالشَّيْءُ قَدْ يَكُونُ صَغِيرًا فِي جَنْبِ الشَّيْءِ، وَكَبِيرًا فِي جَنْبِ آخَرَ، وَقَدْ تُقَالُ تَارَةً بِاعْتِبَارِ الزَّمَانِ فَيُقَالُ: فُلَانٌ صَغِيرٌ وَفُلَانٌ كَبِيرٌ إِذَا كَانَ مَالُهُ مِنَ السَّنِينَ أَقْلَ مِمَّا لِلآخِرِ، وَتَارَةً تُقَالُ بِاعْتِبَارِ الْحِثَّةِ، وَتَارَةً بِاعْتِبَارِ الْقَدْرِ وَالْمَنْزِلَةِ)^(٥).

وشتان ما بين النملة والنخلة من صغر حجم النملة إلى طول حجم النخلة^(٦)، فالمفارقة بينهما في الحجم بالنسبة للجثة، ويشتركان في الوزن الصرفي

(١) نهج البلاغة: الوصية (٣١) / ٣٩٤.

(٢) ينظر: اختيار مصباح السالكين: ٥٠٧.

(٣) شرح نهج البلاغة (السيد عباس الموسوي) ٤ / ٢٨٧.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (١٨٥) / ٢٧١.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن: الاصفهاني: ١ / ٥٨١.

(٦) ينظر: ألفاظ النبات في نهج البلاغة دراسة في المعجم والدلالة (بحث): م. كريمة نوماس

لكليهما فهما على وزن صر في واحد وهو (فَعَلَة) كما تكون دلالة (فاطر) اسم فاعل على وزن (فاعل) صيغة مشتركة بينهما (قال ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدري ما فاطرُ السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرْتُها أي أنا ابتدأت حفرها)^(١)، ودلالة السياق في قول الإمام عليه السلام واضحة في إثبات قدرة الخالق في ابتداء خلق الأشياء، والضمير المنفصل (هو) تأكيد أيضاً على واحدية الخالق (سبحانه وتعالى).

ووردت الودية مرة واحدة^(٢) التي هي (الفسيلة)^(٣)، كما وردت من أسماء الشجر الأخرى (العظم) مرة واحدة^(٤) و(الوسمة) مرة واحدة^(٥) أيضاً.

ينظر جدول إحصائي (٦) للوحدات الدلالية للأشجار في نهج البلاغة

- صفحة ٢٩٩.



المدني: ٢٢٩، مجلة أهل البيت: العدد العاشر، رجب ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

(١) لسان العرب: (فطر): ٥ / ٥٥.

(٢) نهج البلاغة: الوصية (٢٤) / ٣٧٩.

(٣) قال الرضي: (الودية الفسيلة وجمعها ودي) ينظر: نهج البلاغة: الوصية (٢٤) / ٣٨٠.

(٤) نهج البلاغة: كلامه (٢٢٤) / ٣٤٦.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة (١٦٥) / ١٣٧.

المبحث الثاني النباتات

١- البذر

(الباء والذال والراء أصل واحد، وهو نثر الشيء وتفريقه. يقال بذرتُ البذرَ أبذرهُ بذراً، وبذرت المالَ أبذره تبيراً. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾^(١)، (والبذر القوم لا يكتمون حديثاً، ولا يحفظون ألسنتهم. قال عليُّ عليه السلام «أولئك مصابيح الدجى، ليسوا بالمساييح ولا المذاييع البذر»، فالمذاييع الذين يذيعون، والبذر الذين ذكرناهم)^(٢)، ويذكر صاحب المخصص: (الشجر وجميع النبات إذا طلع من الأرض فنجم فهو بذرٌ قبل أن يتلون بلون أو تعرف وجوهه)^(٣).

وردت هذه اللفظة مرة واحدة، من خطبة له وصف جوهر الرسول، ويصف العلماء، ويعظ بالتقوى يقول عليه السلام: «وَأَعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمُهُ... لَا تَشْوِبُهُمُ الرِّيْبَةُ وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمُ الْعِيبَةُ عَلَى ذَلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ وَبِهِ يَتَوَاصَلُونَ فَكَانُوا كَتَفَاضِلِ الْبُذْرِ يُنْتَقَى فَيُؤْخَذُ

(١) الإسرائيليات: ٢٦ - ٢٧.

(٢) معجم مقاييس اللغة: (بذر): ١ / ٢١٦.

(٣) المخصص: ٢ / ٣٢٣.

مِنْهُ وَيُلْقَى قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْلِيصُ وَهَدَّبَهُ التَّمْحِيصُ»^(١).

تشير الخطبة إلى ذكر أصناف من الناس من الأجدر أن يقتدى بهم ويحتذى، ومن بين هذه الأصناف (العلماء)، ومن صفاتهم أنهم يتحابون ويتواصلون فيما بينهم، ثم شبههم الإمام بالبذور عندما يريد أحدهم أن يُفَاضَلَ بينها فيختار الجيد؛ يقول ابن أبي الحديد: (أي مثلهم مثل الحب الذي يُنتقى للبذر - يستصلح بعضه ويسقط بعضه - . قد ميزه التخليص قد فرق الانتقاء بين جيدة وردئية-) ^(٢)، وسياق الحال يبين جوهر اختيار هذا الحب الجيد من غيره أنه منتقى وجوهر اختيارهم وتفضيلهم على الناس أنهم مميزون بالإخلاص وقد هذبوا بالتمحيص؛ فلذا دلالة السياق تبين صفات العلماء المختارين من غيرهم، فدلَّ السياق على الإخلاص.

٢ - البَقْلُ

(مَا لَيْسَ بِشَجَرٍ دِقٌّ وَلَا جِلٌّ وَفَرَّقُ مَا بَيْنَ الْبَقْلِ وَدِقِّ الشَّجَرِ أَنَّ الْبَقْلَ إِذَا رُعِيَ لَمْ يَبْقَ لَهُ سَاقٌ وَالشَّجَرُ تَبْقَى لَهُ سُوقٌ وَإِنْ دَقَّتْ وَابْتَقَلَ الْقَوْمُ إِذَا رَعَوَا الْبَقْلَ وَالْإِبِلُ تَبْتَقِلُ وَتَبَقِّلُ أَي تَأْكُلُ الْبَقْلَ) ^(٣) وهو (نبات عشبي يغتذي الإنسان به أو بجزء منه دون تحويله صناعيا) ^(٤).

وردت هذه اللفظة مرتين في نهج البلاغة يقول الإمام عليه السلام في خطبة له يذكر فيها الأنبياء وزهدهم في الدنيا وتركهم لها: «وَإِنْ شِئْتَ تَنَيْتُ بِمُوسَى

(١) نهج البلاغة: الخطبة (٢١٤) / ٣٣١.

(٢) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١١ / ٨٢.

(٣) كتاب العين: (بقل): ٥ / ١٦٩ - ١٧٠.

(٤) المعجم الوسيط: (بقل): ١ / ١٣٩.

كَلِيمِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ يَقُولُ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ وَاللَّهُ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْزًا يَأْكُلُهُ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ هُزَالِهِ وَتَشْدُبِ حُمِهِ»^(١).

يضرب الإمام عليه السلام المثل بالأنبياء والرسل بذكر مقتطفات من سيرهم، وبعد ذكر الرسول عليه السلام يثني كلامه بموسى عليه السلام إذ يصف حاله من شدة جوعه وصفاً دقيقاً كدليل على زهده بالدنيا ودمها، وكان موسى يأكل البقلة، وقد ذكره مقتدياً بما ورد في القرآن الكريم على لسانه حين قال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾^(٢) فقد جاء في تفسير هذه الآية ضمن السياق الدلالي أن الأغلب ذهبوا إلى سؤاله عن الطعام لسد جوعه^(٣)؛ بينما ذهب الميداني إلى أن المقصود: (يشير باستحياء إلى حاجته إلى الزوجة إشارة خفية لا تُعرف إلا من قرينة الحال)^(٤).

إلا إنه في ترتيب سياق الحال نجد أن في ذلك إشارة واضحة إلى ما رآه الإمام من شدة جوع موسى، واستشعار حاجته لله على الرغم مما يملك من القوة الجسمانية إلا إن الإمام بيّن بكلامه على موسى أنه ليس عنده من طعام سوى البقل، وهو ما ينبت من خضرة الأرض، ولو وصف شدة جوعه، فقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف بطنه لشدة هزاله وضعفه لذا، فدلالة السياق بينت مقصد الإمام من الزهد في الدنيا، ودمها والرجوع لله في كل الأحوال، وشتان ما بين طلبه الخبز وطلبه الزوجة وهذا ما ذهب إليه الإمام

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١٦٠) / ٢٢٦ - ٢٢٧.

(٢) القصص: ٢٤.

(٣) ينظر: تفسير الميزان: ١٦ / ١٢.

(٤) البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها: الميداني: ١ / ٤٩.

مما يوافق سياق الحال.

٣- الحسك

(الحسك نبات له ثمرة خشنة تعلق بأصواف الغنم وكل ثمره تشبهها نحو ثمرة القُطْب والسَّعدان والهَرَّاس وما أشبهه حَسَك واحدته حَسَكَة وقال أبو حنيفة: هي عُشبة تضرب على الصفرة ولها شوك يسمى الحسك أيضاً مُدْخَرَجٌ لا يكاد أحد يمشي عليه إذا يبس إلا مَنْ في رجليه خُفٌّ^(١).

وردت هذه اللفظة في نهج البلاغة مرتين يقول عليه السلام: «فَكَمْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ وَأَنِيقٍ لَوْنٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا غَدِيًّا تَرَفٍ وَرَيْبٍ شَرَفٍ يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ وَيَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ ضَنْناً بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ وَشَحَاحَةً بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ وَنَقَضَتِ الْأَيَّامُ قُوَاهُ وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثْبٍ»^(٢).

كثيرة هي مواضع الإمام وحكمه وأقواله وأفعاله؛ في ذم الدنيا، وتركها لا بل هجرها والزهد فيها، ونلاحظ هنا صورة متكاملة ضمن كلامه؛ إذ يبين الإمام ما سيؤول إليه هذا الجسد بعد أن يُبلى، وتبدل ساعة السرور إلى ساعة الحزن، ويصوّر مدى التعلق بالدنيا، فيستعير الضحك للدنيا؛ حتى ينقلب عليه الأمر إلى غير ذي رجعة إلى ما كان عليه.

ويكشف لنا سياق الموقف أو الحال عن مدى تأثير الحدث اللغوي

(١) لسان العرب: (حسك): ١٠ / ٤١١.

(٢) نهج البلاغة: كلامه: (٢٢١) / ٣٤١.

في المتلقي إذ يقول الإمام بينا الإنسان في غفلة من أمره: «وطىء الدهر به حسكه» جاء في منهاج البراعة: (أي أنشب شوكة فيه واستعار الحسك لآلام الدهر وأسقامه وحوادثه الموجبة لأذاه كإيجاب الحسك للأذى)^(١) فلا يستطيع أحد ان يطأ الحسك لما يسبب له من ألم وأذى شديدين؛ إلا إذا لبس الخف، وكذلك الدهر لا يسلم أحد منه، ولا المترفين الذين ظنوا أن النعم لن تزول، فدلالة السياق التنبيه من الغفلة؛ لكي لا يلاقى الإنسان المصاعب والشدائد في هذه الدنيا.

وفي سياق مختلف يضرب الإمام المثل بـ(حسك السعدان)، والسعدان: (نبت ذو شوكة كأنه فلكتة يستلقي فينظر إلى شوكة كالحا إذا يبس ومنبته سهول الأرض وهو من أطيب مراعي الإبل ما دام رطباً والعرب تقول أطيب الإبل لبناً ما أكل السعدان)^(٢) إذ يقول في تبرئه من الظلم: «وَاللَّهِ لَأَنَّ أَيْتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهِّدًا أَوْ أُجْرَ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفِّدًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمًا»^(٣)، فهنا يأتي الإمام لبيان في كلامه أن المبيت مسهد أي مؤرق أو جر الأثقال وهو مصفد أهون من الظلم ودلالة السياق تبين تبرؤ الإمام ﷺ من الظلم.

٤- الحصيد

(«حصد» الحاء والصاد والذال أصلان: «أحدهما» قطع الشيء، والآخر إحكامه. وهما متفاوتان. فالأول حصدت الزرع وغيره حصداً. وهذا زمن

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (الحوثي) ١٤ / ٢٣٧.

(٢) لسان العرب: (سعد): ٣ / ٢١٣.

(٣) نهج البلاغة: كلامه (٢٢٤) / ٣٤٦.

الْحَصَادِ وَالْحِصَادِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟»^(١). فَإِنَّ الْحَصَائِدَ جَمْعُ حَصِيدَةٍ، وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ قِيلَ فِي النَّاسِ بِاللُّسَانِ وَقُطِعَ بِهِ عَلَيْهِمْ^(٢).

وَرَدَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ بِمَسْمِيَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ: مِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ إِلَى عَامِلِهِ عَلَى الْبَصْرَةِ: «وَاللَّهِ لَوْ تَطَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا وَلَوْ أَمْكَنْتِ الْقُرُصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهَّرَ الْأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ الْمُعْكَوسِ وَالْجِسْمِ الْمُرْكَوسِ حَتَّى تَخْرُجَ الْمُدْرَةُ مِنَ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ»^(٣).

لَمَّا خَاطَبَ الْإِمَامُ عَامِلَهُ عَلَى الْبَصْرَةِ مِنْ كِتَابٍ بَعَثَهُ إِلَيْهِ يَبِينُ الْأَسْلُوبَ الَّتِي يَنْتَهِجُهُ الْإِمَامُ ﷺ فِي الْحُكْمِ، وَمِنْ بَيْنِ هَذِهِ الْأَسَالِيبِ هُوَ سَعْيُهُ لِإِقَامَةِ الْعَدْلِ مَعَهَا كَلْفَهُ الْأَمْرَ لِيَسْتَخْلَصَ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ يَقُولُ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ: (حَتَّى تَخْرُجَ الْمُدْرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ - أَيِ حَتَّى يَتَطَهَّرَ الدِّينَ وَأَهْلُهُ مِنْهُ - وَذَلِكَ لِأَنَّ الزَّرْعَ يَجْتَهِدُونَ فِي إِخْرَاجِ الْمُدْرِ - وَالْحَجْرَ وَالشُّوكَ وَالْعَوْسَجَ وَنَحْوَ ذَلِكَ - مِنْ بَيْنِ الزَّرْعِ كَيْ لَا تَفْسُدَ مَنَابِتُهُ - فَيَفْسُدَ الْحَبُّ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ - فَشَبَّهَ مَعَاوِيَةَ بِالْمُدْرِ وَنَحْوَهُ مِنْ مَفْسَدَاتِ الْحَبِّ - وَشَبَّهَ الدِّينَ بِالْحَبِّ الَّذِي هُوَ ثَمَرَةُ الزَّرْعِ)^(٤)، وَالْإِمَامُ أَرَادَ أَنْ يَبِينُ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ وَالَّذِي يَكُونُ بَدْوَلَتِهِ يَجِبُ أَنْ يَسِيرَ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ؛ لِذَا فَدَلَّالَةُ السِّيَاقِ تَبِينُ اسْتِخْلَاصَ الْجَيِّدِ مِنَ الرَّدِيِّ مِنْ حَبِّ الْحَصِيدِ، أَوْ إِقَامَةَ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ وَنَبْذَ الْبَاطِلِ.

(١) الدر المنثور: ٣ / ٤٩٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة: (حصد): ٧١ / ٢.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب (٤٥) / ٤١٨ - ٤١٩.

(٤) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١٦ / ٢٩٢.

ومنها قوله في ذكر الفتنة يقول ﷺ: «وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ الْحَصِيدِ وَتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمْ اسْتِخْلَاصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةِ الْبُطِينَةَ مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ»^(١) يبين الإمام أنه عندما تأتي الفتنة، فإنها تطبق عليكم كما هو الحال في دوس الحصيد لاستخراج الحب الجيد من الرديء، فتستخلص المؤمن كما يستخلص الطير الحب الجيد السمين من الهزيل^(٢)، ودلالة السياق هو الاستخلاص للحق من الباطل، وللخير من الشر وهو التمحيص.

٥- الرِيحَان

(والرِيحَان: نَبْتُ معروفٌ. والرِيحَان: الرِزْقُ. تقول: خَرَجْتُ أَبْغِي رِيحَانَ اللَّهِ. وفي الحديث: «الْوَلَدُ مِنْ رِيحَانِ اللَّهِ» وقولهم: سَبَّحَانَ اللَّهِ وَرِيحَانَهُ، نَصَبُوهُمَا عَلَى الْمَصْدَرِ، يُرِيدُونَ تَنْزِيهَاً لَهُ وَاسْتِرْزَاقاً. وأما قوله تعالى: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾^(٣) فالعصفُ: ساقُ الزرع، والرِيحَانُ: وَرَقُهُ^(٤) وقيل بآئنه: (كُلُّ بَقْلٍ طَيِّبِ الرِّيحِ، واحدته رِيحَانه، وقيل: الرِّيحَانُ أطراف كل بقلة طيبة الريح إذا خرج عليها أوائل النور)^(٥).

وردت هذه اللفظة ثلاث مرات في نهج البلاغة^(٦) يقول في خطبة له يوصي بها ولده الحسن عليه السلام: «وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَعْرِفَنَّ غَيْرَكَ فَافْعَلْ وَلَا

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١٠٨) / ١٥٧.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٣ / ٤٦.

(٣) الرحمن: ١٢.

(٤) الصحاح: (روح): ١ / ٢٧٦.

(٥) لسان العرب: (روح): ٢ / ٤٥٥.

(٦) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٦٠) / ٢٢٧، الوصية (٣١) / ٤٠٥، الحكمة (١٢٠) /

تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رِيحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ»^(١)،
ومن سؤال أحدهم عن قریش فيجيب عليه السلام: «أَمَّا بَنُو مَخْزُومٍ فَرِيحَانَةٌ قُرَيْشٍ
نُحِبُّ حَدِيثَ رِجَالِهِمْ وَالنِّكَاحَ فِي نِسَائِهِمْ وَأَمَّا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ فَأَبْعَدُهَا رَأْيًا
وَأَمْنَعُهَا لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا»^(٢).

لو تتبعنا لفظة (ريحانة) في النصين نجد إن كليهما دلًا على: التشبيه على
إختلاف المشبه فالأول كان للمرأة والثاني لبني مخزوم؛ ولكن ما كان قصد
الإمام بالتشبيه الأول؟ وما قصده بالتشبيه الثاني؟

يكشف لنا السياق النحوي أن النص الأول جاء بيان الإمام عليه السلام لولده
الحسن حول كيفية التعامل مع المرأة، إذ يبين الإمام أن في المرأة صفات لا
تجعلها قادرة على تحمل المسؤوليات الصعبة، فيؤكد بـ(إنَّ) المرأة ریحانة
وليس بقهرمانه^(٣)، ويبدو أن تشبيه الإمام لها بالريحانة من باب رقتها يقول
الشيرازي عن ذلك: (وهذا يعني أن النساء وبسبب ما يملكن من الحالات
العاطفية واللطائف الروحية لا يستطعن تولى الأمور الصعبة وإدارة القضايا
المعقدة)^(٤)، ثم يعلل سبب ذلك بقوله (نعلم أن الورود والرياحين تملك في
حد ذاتها مزايا كثيرة، فهي عنصر لخلق السكينة والراحة النفسية، وكذلك

(١) نهج البلاغة: الوصية (٣١) / ٤٠٥.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة (١٢٠) / ٤٨٩ - ٤٩٠.

(٣) جاء في تاج العروس: ٣٣ / ٣٢٢: (هُوَ الْمُسَيْطِرُ الْحَفِيظُ عَلَى مَا تَحْتَ يَدَيْهِ... قَالَ سَبِيوَيْه:
هُوَ فَارِسِيٌّ، وَالْقَهْرْمَانُ لُغَةٌ فِيهِ. وَقَالَ ابْنُ بَرِّي: الْقَهْرْمَانُ: مِنْ أَمْنَاءِ الْمَلِكِ وَخَاصَّتِهِ.
فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ. وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: يُقَالُ: قَهْرْمَانٌ وَقَهْرْمَانٌ مَقْلُوبٌ، وَهُوَ بَلْغَةٌ الْفُرْسِ الْقَائِمُ
بِأُمُورِ الرَّجُلِ).

(٤) نفحات الولاية: ١٠ / ٦٠٣.

تعتبر زينة، ولها فوائد كثيرة أخرى، ولكن في ذات الوقت فهي كائن لطيف ورقيق... فالحقيقة أنّ هذه الجملة إشارة إلى أن المشاعر والعواطف للنساء هي الغالبة^(١).

وفي النص الثاني جاء جواباً للسائل ويبدو أنّ التشبيه جاء لغرض بيان الرائحة الزكية وجمال الخلق لبني مخزوم كما ذكر ابن ميثم البحراني: (وكان لمخزوم ريح طيبة كالخزامى ولونا كلونه، والولد يشبه الوالد غالباً، ولذلك كانت هذه البطن تسمى بريحانة قريش، وكانت المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم تسمى بذلك. وقيل: لأنه كان في رجالهم كيس لذلك يحبّ الحديث إليهم وفي نسائهم لطف وتصنّع وتجبّب إلى الرجال ولذلك يحبّ نكاحهم)^(٢).

ومن هنا جاء بيان مقصد الإمام من توظيفه لهذه النبتة الجميلة ذات الرائحة الزكية فتشير دلالة السياق في الأول إلى الدعوة للتعامل الرقيق مع المرأة من دون أن تتحمل مسؤولية، وفي دلالة السياق الثاني جاء بياناً للجمال والرائحة الزكية.

٦- الشَّيْحُ

(الشَّيْحُ، بِالْكَسْرِ: نَبْتُ سُهْلٍ يُتَّخَذُ مِنْ بَعْضِهِ الْمَكَائِسُ، وَهُوَ مِنَ الْأَمْرَارِ، لَهُ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ وَطَعْمٌ مُرٌّ، وَهُوَ مَرَعَى لِلخَيْلِ وَالنَّعَمِ، وَمَنَابِتُهُ الْقَيْعَانُ وَالرِّيَاضُ... وَجَمَعَهُ (شَيْحَانٌ)^(٣).

(١) م. ن: ١٠ / ٦٠٩.

(٢) شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٥ / ٣٠٥.

(٣) تاج العروس: (شَيْح): ٦ / ٥١١ - ٥١٢.

وردت هذه اللفظة في النهج مرة واحدة من خطبة له تسمى القاصعة وقد ذكرت ورود مفردة (المرار) فيها يقول ﷺ: «فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ ﷺ فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الْأَحْوَالِ وَأَقْرَبَ اشْتِيَاءِ الْأَمْثَالِ تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشْتِيهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ لِيَالِي كَانَتْ الْأَكَاسِرَةُ وَالْقِيَاصِرَةُ أَرْبَابًا لَهُمْ يَحْتَازُونَ مِنْهُمْ عَنْ رَيْفِ الْأَفَاقِ وَبَحْرِ الْعِرَاقِ وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا إِلَى مَنَابِتِ الشَّيْحِ وَمَهَابِي الرِّيحِ وَنَكَدِ الْمَعَاشِ فَتَرَكَوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبْرٍ وَوَبْرٍ أَذَلَّ الْأُمَمِ دَارًا وَأَجْدَبَهُمْ قَرَارًا»^(١) أيضاً يشير السياق التاريخي إلى بيان أحوال الأمم السابقة، ويدل عليها بلفظة الفعل (اعتبروا)، والمعتبر بأحوال الأمم السابقة لن يكون مثلها في العناد، ويذكر الاعتبار بحال ولد إسماعيل وبني إسحاق وغيرهم.

لذا فهذه الخطبة ذكرت نوعين من النبات تربطها دلالة واحدة، وهي المرارة لما كان يلاقيه أصحاب الأمم السابقة في السياق ذاته والدهر يتكرر.

ولو وقفنا وقفة قصيرة حول مضامين هذه الخطبة؛ ولا بد بالأول من بيان سبب تسميتها بـ(القاصعة) يقول الفراهيدي (ت ١٧٥هـ): (الْقَصْعُ: ابْتِلَاغُ جُرْعِ الْمَاءِ وَالْبَعِيرُ يَقْصَعُ جِرَّتَهُ إِذَا رَدَّهَا إِلَى جَوْفِهِ... وَالْمَاءُ يَقْصَعُ الْعَطَشَ: أَي يَقْتُلُهُ وَقْصَعَ صُؤَابًا أَوْ قَمَلَةً: أَي قَتَلَهَا بَيْنَ ظُفْرَيْهِ وَقْصَعْتُ رَأْسَ الصَّبِيِّ: ضَرَبْتُهُ بِسُطِّ الْكَفِّ عَلَى هَامَتِهِ وَقْصَعَ اللَّهُ شَبَابَهُ: أَي ذَهَبَ بِهِ وَقْتَلَهُ)^(٢) ويذكر الدكتور صبحي الصالح بقوله: (القاصعة: من قصع فلان

(١) نهج البلاغة: الخطبة (٩٢) / ٢٩٧.

(٢) كتاب العين: (قصع): ١ / ١٢٨.

فلاناً: أي حقره، لأنه ﷺ حقر فيها حال المتكبرين^(١).

ومن هذا يتبين معنى القاصعة أي: الضاربة التي ضرب بها الإمام ﷺ المخاطبين في مقام: التذكير، والتأنيب، والتحذير، فضلاً عن التحقير لحال المتكبرين، وتعد من الخطب الطوال إذ تضمُّها سبع عشرة صفحة^(٢).

وعودة إلى من ذكّر بهم الإمام من ولد إسماعيل وغيرهم كيف لا قوا من الأكاسرة بدلالة الفعل (يحتازونهم) أي: يفصلونهم ويجمعونهم ويخرجونهم^(٣)؛ لذلك الإمام شبه أحوال المخاطبين بحال هؤلاء وأراد منهم الاعتبار، وتشير دلالة سياق الحال إلى تغير الأحوال لمن ذكرهم الإمام ﷺ في النص وللمخاطبين أيضاً، فيذكرهم بأن معيشة الأقسام الذين سبقوهم أصبحت نكداً لتحول المعيشة من الرفاهية إلى منابت الشيخ حيث نبت قليل، وعيش ضنك^(٤)، فيدل السياق على أخذ الاعتبار من حالهم حيث نزولهم بأرض جذب وتحوّل حالهم من حال إلى حال.

٧- العُشْب

(الكلاء الرطب وهو سرعان الكلاء أي: أوله في البيع ثم يبيح فلا بقاء له وأرض عَشْبَةٌ مُعْشِبَةٌ قد أَعْشَبَتْ وَاَعْشَوْشَبَتْ أي: كثر عُشْبُهَا وطال والتفّ وَأَعْشَبَ الْقَوْمُ وَاَعْشَوْشَبُوا أَصَابُوا عُشْبًا وَأَرْضٌ عَشْبَةٌ بَيْنَةَ الْعَشَابَةِ

(١) نهج البلاغة: ٦٥٠.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: ٢٨٥ وما بعدها.

(٣) ينظر: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ٢ / ٢٨٤، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (الراوندي) ٢ / ٢٦٢.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٤ / ٢٩٧.

وَلَا يُقَالُ: عَشَبَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنْ أَعَشَبْتَ وَهُوَ الْقِيَاسُ^(١) (واحدته: عُشْبَةٌ. وجمع العُشْب: أعشاب)^(٢).

وردت هذه اللفظة في النهج أربع مرات^(٣). من كتاب له عليه السلام إلى عامله على البصرة، ولو تتبعنا هذا الكتاب ضمن مجال ألفاظ الطبيعة لوجدنا فيه جانباً لا بأس به من ألفاظ الطبيعة المتنوعة؛ فمن بين الألفاظ المستخرجة للحيوان فيما سبق (أتان دبرة) ومن بين النباتات (الحصيد، والعشب) ورب سائل يسأل ما سبب استعمال هذه الألفاظ دون غيرها؟ والجواب فضلاً عما ما مرّ تحليله لكل لفظة أن مقتضى الحال اقتضى استعمال هذه الألفاظ دون غيرها وكانت دلالة السياق على التنوع واضحة.

جاء في الكتاب: «أَمْتَلِي السَّائِمَةَ مِنْ رِعِيهَا فَتَبْرُكَ؟ وَتَشْبِعِ الرَّبِيضَةَ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ؟ وَيَأْكُلْ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعْ! قَرَّتْ إِذَا عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةَ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ»^(٤).

هنا يعطي الإمام عليه السلام صورة لعامله حينما دُعي إلى وليمة كتب له الكتاب لأجل: (التذكير والتأنيب والموعظة ولفت الانتباه فضلاً عن تصحيح مساره)، وعلى الرغم من تعدد صور الحيوان الأليف؛ إلا أن السياق الدلالي يبين وجه الربط بين ما ذكره الإمام من طعام الإنسان (زاده)، ومن طعام الحيوان (العشب)، وإذا كان الإنسان همه بطنه أصبح شبيهاً بالحيوان، وفي

(١) كتاب العين: (عشب): ١/ ٢٦٢.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم: ١/ ١٣٣.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٩١) / ١٣٣، الخطبة (١٤٣) / ٢٠٠، الوصية (٢٥) / ٣٨٢، الكتاب (٤٥) / ٤٢٠.

(٤) نهج البلاغة: الكتاب (٤٥) / ٤٢٠.

كلام الإمام عليه السلام اذاع لعامله بدلالة قوله: «قَرَّتْ إِذَا عَيْنُهُ» إن فعل الإمام عليه السلام هكذا؛ يقول البحراني: (إخبار في معرض الإنكار والاستهزاء باللذة كقوله تعالى ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾^(١)؛^(٢) لذا فالإمام عليه السلام لم يقصد نفسه وإنما أراد ضرب مثل على ذلك ليتعظ عامله، وفي كلامه تتضح الأسس العليا لبناء شخصية من تتوافر به هذه الصفات ليقود المجتمع نحو الأفضل، وكل هذا يعطي دلالة السياق على ترك الانشغال بإشباع البطن كما دل عليه عنوان الخطبة وتنزيه النفس والترفع عن كل ما يشوبها.

ومن خطبة له في الاستسقاء: «اللَّهُمَّ أَنْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَبَرِّكَتَكَ، وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ؛ وَاسْقِنَا سُقْيَا نَافِعَةً مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً، تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ، وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ، نَافِعَةَ الْحَيَا، كَثِيرَةَ الْمُجْتَنَى، تُرْوِي بِهَا الْقَيْعَانَ، وَتُسِيلُ الْبُطْنَانَ، وَتَسْتَوْرِقُ الْأَشْجَارَ، وَتُرْخِصُ الْأَسْعَارَ، إِنَّكَ عَلَيَّ مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ»^(٣).

فقد وردت لفظة (معشبة) للدلالة على نزول الخيرات من السماء، والأرض المعشبة تكون كثيرة العشب فيطول ويلتف، والعرب تسمي العشب سماء فيخضع لهم^(٤)، وقد جاءت معشبة بالمرتبة الثالثة بعد النقع والروي؛ لأن طبيعة الأرض الصحراوية تحتاج إلى النقع والروي ومن ثم تعشب وفي هذا دلالة على انقطاع الأمطار لفترات طويلة.

والذي ينظر الأرض الجرداء ليس كمن ينظر الأرض المعشبة، فالنظر هنا

(١) الدخان: ٤٩.

(٢) شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٥ / ١١٧.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة (١٤٣) / ٢٠٠.

(٤) جمهرة الأمثال: ١ / ١٤ قال الشاعر: فلما رأى أن السماء ساءوهم رأى خطةً كان الخضوع

نكيرها.

يبعث الراحة النفسية والروحية، حيث ينظر الإنسان جمال الطبيعة وبهجتها وعظمة الخالق (جلّت قدرته).

ودلالة السياق هنا على الدعاء وطلب الخير الكثير من الله (سبحانه وتعالى) وهذا دليل رحمته.

كما وردت مسميات أخرى للنبات مثل: البرّة (مرة واحدة)^(١)، والشعير (مرتان)^(٢)، والفاكهة (مرة واحدة)^(٣)، والقمح (مرة واحدة)^(٤).

ينظر جدول إحصائي (٧) للوحدات الدلالية للنباتات في نهج البلاغة - صفحة ٣٠٠.

(١) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٩٢) / ٢٩٣.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٦٠) / ٢٢٧، كلامه (٢٢٤) / ٣٤٧.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٦٠) / ٢٢٧.

(٤) ينظر: نهج البلاغة: الكتاب (٤٥) / ٤١٨.

المبحث الثالث الأزهار

١- الأزاهير

(الزَهْرَةُ نَوْرٌ كُلُّ نَبَاتٍ وَالْجَمْعُ زَهْرٌ وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهِ الْأَبْيَضَ وَزَهْرُ النَّبْتِ نَوْرُهُ وَكَذَلِكَ الزَهْرَةُ بِالتَّحْرِيكِ)^(١)، وجمع الزهرة: (زهر)^(٢)، و(الأزاهير)^(٣) جمع الجمع.

وردت هذه اللفظة بصيغة المفرد مرة واحدة^(٤)، وبصيغة جمع الجمع مرتين أيضاً^(٥)، من خطبة عجيب خلقة الطاووس يقول ﷺ: «وَقَلَّ صَبْعٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيْقِهِ وَبَصِيصِ دِيْبَا جِهٍ وَرَوْنَقِهِ فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمُبْتُوثَةِ لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارٌ»^(٦).

وقد مرّ ذكر الخطبة لدى دراسة لفظة الطاووس، ومن الطبيعي أن

(١) لسان العرب: (زهر): ٤ / ٣٣١.

(٢) تاج العروس: (زهر): ١١ / ٣٧٤.

(٣) م.ن.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (١٦٥) / ٢٣٧.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة (٩١) / ١٣٣، الخطبة (١٦٥) / ٢٣٨.

(٦) نهج البلاغة: الخطبة (١٦٥) / ٢٣٨.

الطاووس يحمل صفات ميزته من بقية الطيور الأخرى، وهذا شأن الله (عز وجل) في خلقه، وذكر الإمام عليه السلام ومن الصفات تعدد ألوان ريشه بين ألوانٍ مختلفةٍ فخرجت ألوانه المختلفة براقاً للناظر؛ لأنَّ الإمام يصوِّر أنَّه ما قلَّ صبغٌ إلا وقد أخذ من هذا الصبغ شيء زاد فيه لمعاناً وبريقاً بكثرة صقاله فأصبحت ألوانه كالأزاهير المنتشرة (ولفظ الديباج مستعار لريشه)^(١) وجاء في لسان العرب في التعريف بمادة (بث): (بَثَّ الشيءَ والخَبَرَ يَبِثُّه وَيَبِثُّه بَثًّا وَأَبِثَّهُ بِمَعْنَى فَانْبَثَّ فَرَّقَهُ فَتَفَرَّقَ وَنَشَرَهُ وَكَذَلِكَ بَثَّ الخَيْلَ فِي الغَارَةِ يَبِثُّهَا بَثًّا فَانْبَثَّتْ وَبَثَّ الصيَادُ كلابَهُ يَبِثُّهَا بَثًّا وَأَنْبَثَّ الجَرَادُ فِي الأَرْضِ أَنْتَشَرَ) أي أنَّ ريشه أصبح كالأزاهير المتفرقة والمنتشرة لم تسقط عليها الأمطار لأنَّ من عادة الزهر أنَّه يظهر في موسم الأمطار إلا أنَّ هذا الزهر المختلف الألوان دائم الظهور وهنا يبين السياق عظمة الخالق في حسن تصويره للطاووس وبديع خلقه.

٢- الأَفْحَوَانُ

(نبت تُسَبَّه به الأسنان ووزنه أفعلان، والهمزة والنون زائدتان، وقيل: الأَفْحَوَانُ البَابُونَجُ أو القُرَّاصُ، واحدته أفحوانة، ويجمع على أفاح)^(٢).

وردت هذه اللفظة مرة واحدة من خطبة عجيب خلقة الطاووس يقول عليه السلام: «أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكثْرَةِ مَائِهِ وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ أَنَّ الخُضْرَةَ النَّاصِرَةَ مُتَزَجَّةٌ بِهِ وَمَعَ فَتْحِ سَمْعِهِ حَطَّ كَمُسْتَدَقِّ القَلَمِ فِي لَوْنِ الأَفْحَوَانِ أبيضُّ يَقُقُّ فَهُوَ بِيَاضِهِ

(١) شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٣ / ٣١١.

(٢) لسان العرب: (قحا): ١٥ / ١٧١.

فِي سَوَادٍ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ»^(١).

لقد شبه الإمام ريشه بزهرة الأقحوان حيث اللون الأبيض، فحضور الأقحوان هنا لاشتراكها بلون ولأجل تقريب الصورة في تصوير الجمال، ونتيجة جمال هذا الطائر وتصويره أصبح ما وجد عليه من (الصقال والبريق، والديباج، والرونق) كل هذه التشكيلات فيه شبهها الإمام ﷺ بالأزاهير المنتشرة المنثورة المتفرقة بكل مكان يقول ابن ميثم: (ثم رجع إلى تشبيهه بالأزاهير المبنوثة، ونبه على كمال قدرة صانعها بأئها مع ذلك لم تربها أمطار الربيع: أي لم تعدّها لتلك الألوان أمطار ربيع)^(٢)، فهي دائمة الظهور بينما الأزهار حقيقة لا توجد إلا بفصل الربيع ودلالة السياق تبين قدرة الخالق وذكر الأقحوان والأزاهير لما تميز به هذا الطائر كدعوة إلى التأمل والتفكر فيما خلق الله (سبحانه وتعالى).

ينظر جدول إحصائي (٨) للوحدات الدلالية للأزهار في نهج البلاغة - صفحة ٣٠١.

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١٦٥) / ٢٣٨.

(٢) شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٣ / ٣١١.



الباب الثاني
ألفاظ الطبيعة غير الحيّة
في نهج البلاغة





الفصل الأول

أثر السياق في الألفاظ الدالة على الأرض

- المبحث الأول: التراب والصخور والحجارة وما يتصل بها
- المبحث الثاني: السهل والوادي والطريق وما يتصل بها
- المبحث الثالث: الجبال والصحراء وما يتصل بها
- المبحث الرابع: البحار وما يتصل بها



توطئة

لما كانت الأرض التي نحنُ عليها تشكّل الركنَ الأساسَ لألفاظِ الطّبيعة، فهي تُعدُّ أيضاً محورَ الكونِ الذي نعيشُ فيه إذ خلقها اللهُ للإنسانِ وسخرها وما عليها له.

وتردُّ الأرضُ في اللُّغةِ في قولِ ابنِ فارس (ت ٣٩٥هـ): (الهمزة والراء والضاد ثلاثة أصول، أصل يتفرع وتكثر مسائله، الأصل الأول فكلُّ شيءٍ يسفلُ ويقابل السماء، يُقال لأعلى الفرس سماءً، ولقوائمه أرض. قال الشاعر:

وأحمر كالديباج أما سماؤه فريا وأما أرضه فمحول^(١)

سماؤه: أعاليه، وأرضه: قوائمه. والأرض: التي نحنُ عليها.

وأصلان لا ينقاسان بل كلُّ واحدٍ موضوعٌ حيثُ وضعتُه العرب. فأما هذان الأصلان فالأرض الزُّكْمَةُ، رجل مأروض أي مزكوم... والآخر الرِّعدة، يقال بفلانٍ أرضٌ أي رِعدةٌ^(٢).

ويقول الجوهري (ت ٣٩٣هـ): (الأرض مؤنثة، وهي اسم جنس.

(١) ديوان طفيل الغنوي شرح الأصمعي: ١٣٦، والمعاني الكبير: ابن قتيبة الدينوري: ١/

(٢) مقاييس اللغة: (أرض): ١/ ٧٩ - ٨٠.

والجمع أَرْضَاتٌ وَأَرْضُونَ. وقد تجمع على أَرْضٍ. والأراضي أيضاً على غير قياس. وكل ما سفل فهو أرض وأرض أَرْضَةٌ، أي زكية^(١).

وجاء في الكتاب قول سيبويه (ت ١٨٠هـ): (وسألت الخليل عن قول العرب: أَرْضٌ وَأَرْضَاتٌ؟ فقال: لما كانت مؤنثةً وجمعت بالتاء ثقلت كما ثقلت طلحاتٌ وصفحاتٌ. قلت: فلم جمعت بالواو والنون؟ قال: شبّهت بالسنين ونحوها من بنات الحرفين لأنّها مؤنثةٌ كما أن سنةً مؤنثةٌ، ولأن الجمع بالتاء أقلّ والجمع بالواو والنون أعمُّ. ولم يقولوا: أَرْضٍ ولا آراضٍ فيجمعونه كما جمعوا فعلاً. قلت: فهلاً قالوا: أَرْضُونَ كما قالوا: أهلون؟ قال: إنّها لما كانت تدخلها التاء أرادوا أن يجمعوها بالواو والنون كما جمعوها بالتاء، وأهلٌ مذكّرٌ لا تدخله التاء ولا تغيّره الواو والنون كما لا تغيّر غيره من المذكّر، نحو: صعبٍ وفسلٍ)^(٢).

وعندما نزل القرآن غيرت نظرة الإنسان، ولا سيما العربي لكل ما حوله بما في ذلك الأرض، فكان التأمل حاضرًا في كل زاوية من زوايا نظره، وقد وعده الله (سبحانه وتعالى) أنه سيريه الآيات في الآفاق وفي أنفسهم؛ كما بين أنّ في الدعوة إلى التفكير يؤدي إلى الإقرار بوجود الله والإيمان به^(٣) قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٤).

(١) الصحاح: (أرض): ١٠ / ٣.

(٢) الكتاب: سيبويه: ٣٢٠ / ١.

(٣) ينظر: صورة السماء والأرض في القرآن (رسالة ماجستير): نوال علي: ٦١.

(٤) آل عمران: ١٩١.

ولو نظر إلى السياقات التي وردت فيها هذه اللفظة في القرآن الكريم نجدتها متنوعة ومتعددة ومقترنة بأفعال وصفات وأحوال، كان لها الأثر في تحديد الصور، ولا يشمل ذلك الأرض فحسب بل كل ما عليها وما يتصل بها من تضاريس وما تحويه من سهول وجبال ومياه وغيرها.

إذ يوجد في القرآن أيضاً ورود الأرض مفردة في صورة من الصور، وصورة أخرى اقترانها بالسماء وجعلها لفظاً مقابلاً للفظ، ومن الملاحظ أن الأرض لم ترد إلا بصيغة المفرد بينما السماء وردت بصيغة المفرد والجمع^(١)، وأول من التفّت لذلك الجاحظ في كتابه البيان والتبيين إذ يقول: (ولفظ القرآن الذي عليه نزل انه اذا ذكر الابصار لم يقل الاسماع واذا ذكر سبع سموات لم يقل الارضين الا تراه لا يجمع الارض أرضين)^(٢).

والصور اللفظية الواردة للأرض (المفردة) في القرآن وضعت ضمن السياق اللغوي في الدلالة على مسمى معين من البلاد من خلال السياق: كأرض مصر، ومكة، والمدينة المنورة، وبلاد الشام، واليمن، كما وردت بمسمى عام في الدلالة على الأرض التي نعيش عليها قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(٣).

ونجد هذه اللفظة في السنة النبوية الشريفة قد ورد الاهتمام بذكرها في الأحاديث النبوية.

(١) ينظر: السماء والأرض في القرآن الكريم: دراسة دلالية للألفاظ والتراكيب (رسالة

ماجستير): أحمد صالح حميد: ٤٠.

(٢) البيان والتبيين: الجاحظ: ١ / ٢٦.

(٣) الملك: ١٥.

فما جاء في حديث نقل عنه يبين أن الأرضين سبع كما السموات سبع وقد ورد ذلك في القرآن وتأكيد الرسول ﷺ على ذلك، قال تعالى في: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(١).

يلاحظ على الرغم من عدم ذكر لفظها مجموعاً في القرآن الكريم، والاكتفاء بالإشارة في ذلك في قوله (مِثْلَهُنَّ) تأكيداً، فقد ذكرها الرسول ﷺ بلفظ الجمع.

روى البخاري: (حدثنا علي بن عبد الله أخبرنا ابن علية عن علي بن المبارك حدثنا يحيى ابن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي سلمة بن عبد الرحمن كانت بينه وبين أناس خصومة في أرض، فدخل على عائشة فذكر لها ذلك، فقالت يا أبا سلمة اجتنب الأرض، فإن رسول الله ﷺ قال: «من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين»^(٢)).

ولما كانت الأرض من أهم المصادر التي تُبَيِّء للإنسان الرزق والغذاء، فقد ذكر الرسول السعي لإحيائها قال ﷺ: «من أحيأ أرضاً ميتة فهي له وليس لعرق ظالم حق»^(٣) ذكر صاحب المجازات النبوية أن إحياء الأرض هو من المجاز، ويتم أحيائها بسقيها وحرثها وزرعها فإذا ما أتى أحدهم وغرس فيها شجراً أو ما شابه ذلك يكون ظالماً، وإنما ذكر العرق الظالم هنا من باب المجاز والمراد هو من يقوم بالغرس أو البناء في أرض غيره يكون ظالماً لأن

(١) الطلاق: ١٢.

(٢) صحيح البخاري: ١١ / ٣٣٥.

(٣) سنن أبي داود: ابو داود السجستاني: ٣ / ١٤٢.

صاحبها تملكها بالإحياء وهذا ما جرى زمن الفتوحات الإسلامية^(١).

ولأهمية الأرض الكوكب الذي نعيش عليه، فقد ذُكرت في نهج البلاغة في مئة واثنين وثلاثين موضعاً وردت في سياق الخلق، والدعاء، والوصف وغيرها، ولعل تكرار ذكرها بكثرة كان لقصد تنبيه المخاطب لأمر منها: الالتفات إلى ما خلق الله من أجل التفكر في وحدانيته (عز وجل)، وتنبيه الإنسان إلى الكرة الأرضية التي يعيش عليها ليكون مدركاً للأمر والحوادث من حوله، فضلاً على الدور الذي أداه تنوع السياق والمقام الذي وردت فيه اللفظة باختلاف الخطاب والزمن والحال كله أدى إلى تنوع المقاصد والمعاني.

فمثلاً ورود هذه اللفظة في ثلاثة سياقات مختلفة؛ قوله ﷺ من خطبة في حمد الله والثناء على الرسول ﷺ: «اسْتَعْمَلْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ الزَّمُوا الْأَرْضَ وَاصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ»^(٢).

فبعد سير مرتقب للأجواء التي عاشها الإمام من خلال القراءة المتأنية؛ يلاحظ ضمن السياق النحوي أن خطاب الإمام خاص، فهو ليس خطاباً عاماً؛ بدلالة الضمير المتصل للمتكلمين (نا) وضمير المخاطب المنفصل (اياكم) جاء في ذكر وظائف الضمائر: (فضلاً عن وظيفة الربط فإن للضمائر قيمة استعمالية تكمن في الاختصار والإيجاز في التعبير بالاستغناء عن إعادة ما سبق ذكره من أسماء)^(٣) وهنا يتضح وجود وظيفة جديدة للضمائر ضمن

(١) ينظر: المجازات النبوية: الشريف الرضي: ١ / ٢٥٨.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة (١٩٠) / ٢٨٢ - ٢٨٣.

(٣) ضمائر العربية: المفهوم والوظيفة (بحث): الاستاذة دندوقة فوزية: ٦، مجلة كلية الآداب

سياق الحال وهي الايحاء بوساطة الضمائر إذ كان لها دور يجيل من دون الكشف عن المخاطب ولعل الأمر يرجع إلى حرص الإمام (عليه السلام) الذي كان موجهاً لأصحابه المخلصين^(١).

يلاحظ أن الإمام (عليه السلام) كان محيطاً بالأعداء من حوله مع أصحابه؛ لذا أمرهم بلزوم الأرض بعد تذكيرهم بطاعتهم لله والرسول، وقد قدم الإمام بنصحه لهم ووصيته بلزوم الأرض أولاً مهما نزلت عليهم من مصائب وعدم التحرك والعجلة، وقد دلت هذه اللفظة ضمن سياق الحال على الثبات، وضرورة ذلك بضبط النفس، فجاءت قصداً للعموم ونصحاً للجميع.

وفي موضع آخر يستعمل الإمام (عليه السلام) الأرض في سياق مختلف إذ دلت على موضع هلاك يقول (عليه السلام): «وَلَوْ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَقَالَتْ ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضَلَالاً»^(٢). فالضلال هنا بمعنى: هالكون^(٣).

وفي موضع آخر من الخطبة نفسها يستعمل اللفظة في موضع التذكير والوعظ ويستعير لها فعل (الأكل) مجازاً لا حقيقة يقول (عليه السلام): «فَكَمْ أَكَلَتْ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيْزِ جَسَدٍ وَأَنْيَقِ لَوْنٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا عَذِيٍّ تَرَفٍ وَرَيْبٍ شَرَفٍ»^(٤). فدل أكلها على إفناء الجسد وتحليله وإزالته من الوجود؛ تذكر الدكتور سهي

والعلوم الإنسانية والاجتماعية: العدد السادس: ٢٠١٠.

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٣ / ١١٣، واختيار مصباح السالكين: ٤٤٥.

(٢) نهج البلاغة: كلامه: (٢٢١) / ٣٣٨.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم): ٤ / ٦٠.

(٤) نهج البلاغة: كلامه: (٢٢١) / ٣٤٠.

نعجة أنّ دلالة الفعل حينما يخرج عن الخطاب والمعنى النحوي إلى الاستعارة ليكشف الخطاب المضمّر في كليهما عن المراد وقد وظّف الخطاب النحوي بما يقوم به من التعويض الاعرابي في حذف العنصر واحلال غيره محله بينما الخطاب الاستعاري يعطي مدلولاً معنوياً من خلال التحليل لذا فمفهوم الأكل مثلاً قول لشاعر:

أكل الثعلبُ من بُرجي حمامةً

فالفعل أكل بمعنى احتل لان مفهوم الأكل للإنسان هو احتلال شيء من الطعام يتقوى به الإنسان والثعلب هنا العدو، أمّا الابراج فهي الوطن العربي والحمامة رمز السلام^(١).

لذا يشير السياق إلى هذا المفهوم في قول الإمام عليه السلام فالأرض تتحول من كوكب نعيش عليه إلى مكان لاخْتفاء الجسد وفنائه بقدره الله (عز وجل)، واستعمل الإمام عليه السلام الأرض هنا على نحو المجاز في صفة الأكل لها كما ذكر حال الإنسان قبل موته (عزيز جسد وأنيق لون) فضلاً على مطعمه وشربه كان غذي ترف وريب شرف إشارة إلى منزلته ومكانته.

ومن هنا فقد دلّ السياق على العبرة والعظة وما أكثر ذلك في أقوال الإمام عليه السلام وهو المراد من قوله.

(١) ينظر: المعنى الجماليّ بين التعويض النحويّ والإضمار الاستعاريّ (بحث): د. سهى فتحي نعجة: ٥١، مجلة الجامعة الإسلامية/ غزة، العدد الثاني، المجلد الثاني والعشرون، ١٩١٤.

المبحث الأول

التراب والصخور والحجارة وما يتصل بها

١ - بَسَاط

(الباء والسين والطاء أصلٌ واحدٌ، وهو امتدادُ الشَّيءِ، في عَرَضٍ أو غير عَرَضٍ. فالْبَسَاطُ ما يُبْسَطُ. والبَسَاطُ الأرضُ، وهي البسيطة. يقال مكان بَسِيطٌ وبَسَاطٌ^(١)، والجمع (البُسُطُ والبَسَاطُ ما بُسِطَ وأَرْضُ بَسَاطٌ وبَسِيطَةٌ مُبَسَّطَةٌ مستوية)^(٢). يقول ابو هلال العسكري: (وأصلُ البَسَطِ السَّعَةُ وَسُمِّيَتِ الأَرْضُ بَسِيطَةً لِسَعَتِهَا)^(٣).

وردت هذه اللفظة مرة واحد في نهج البلاغة، فقد جاء عن نَوْفِ البكاليِّ قَالَ رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فَرَاشِهِ فَنَظَرَ فِي النُّجُومِ فَقَالَ لِي يَا نَوْفُ أَرَأَيْدُ أَنْتَ أُمُّ رَامِقٍ؟ فَقُلْتُ بَلْ رَامِقٌ قَالَ: «يَا نَوْفُ طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاعِبِينَ فِي الآخِرَةِ أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الأَرْضَ بَسَاطًا وَتُرَابَهَا فِرَاشًا وَمَاءَهَا طِيبًا»^(٤).

(١) معجم مقاييس اللغة: (بسط): ١ / ٢٤٧.

(٢) لسان العرب: (بسط): ٧ / ٢٥٨.

(٣) كتاب التلخيص في معرفة اسماء الأشياء: لأبي هلال العسكري: ١ / ٢٣٢.

(٤) نهج البلاغة: الحكمة (١٠٤) / ٤٨٦.

عندما نلاحظ هذه اللفظة (بِسَاطًا) نجد أنها جاءت مجاورة للأرض في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾^(١)، وألصقت هذه النعمة بالأرض حتى سميت بالبسيطة، وقيل: البسيطة: الأرض، اسم لها^(٢)؛ لذا فمن باب الانتفاع بها، والتقلب على أرجائها كونها سكناً ممهّداً ومريحاً للبشر مع تثبيتها بالجبال الراسيات الشامخات، أصبح هذا المعنى الوارد في القرآن الكريم لهذه اللفظة^(٣)، وفي دلالة قول الإمام عليه السلام على الزهد لما خاطب نَوْفَ معنى آخر مختلفاً عن المعنى الوارد في القرآن من خلال الفعلين (جعل واتخذوا) بالمعطيات الآتية:

إذ ورد الفعل (اتخذ) في القرآن، واختلفت دلالة الأرض هنا في إصاق صفة البساط بها باختلاف دلالات الأفعال (جعل) - (اتخذ):

١. الاختلاف الوارد بين الفعلين (جعل) و(اتخذوا) على الرغم من ملاحظة أن الزمن المسيطر على السياق المقالي هو الزمن الماضي؛ والفعالان يدلان على الصيرورة والتحويل ويخرجان لمعانٍ بحسب السياق.

٢. معنى (الجعل)^(٤) في الآية كما ذكره السمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) في آيات مشابهة لهذه الآية^(٥) بقوله: (و«جَعَلَ» فيها وجهان، أحدهما: أن تكون بمعنى صَيَّرَ فتتعدى لمفعولين فيكون «الأرض» مفعولاً أولاً، و«فراشاً» مفعولاً ثانياً. الثاني: أن تكون بمعنى «خَلَقَ» فتتعدى لواحد وهو «الأرض»،

(١) نوح: ١٩.

(٢) ينظر: تاج العروس: (بسط): ١٩ / ١٤٦.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ٨ / ٢٣٤.

(٤) ذكر صاحب المفردات ل(جعل) خمسة أوجه: ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٩٤.

(٥) في قوله تعالى من سورة البقرة: ٢٢: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾.

ويكون «فراشاً» حالاً^(١)؛ لذا فالأرض صيرت بساطاً^(٢)، أو خلقت وهنا مفهوم الجعل خلق لوظيفة الأشياء المخلوقة فالله (سبحانه وتعالى) خلق الأرض وجعل وظيفتها أن تكون مهاداً أو فراشاً أو بساطاً دلالة على الاستقرار^(٣).

٣. معنى الفعل (اتخذ) يختلف عن معنى الفعل جعل فالجعل من الله والاتخاذ من الزاهدين، ودلالة الفعل اتخذ كما ذكر أبو هلال العسكري: (الاتخاذ: أخذ الشيء لأمر يستمر فيه مثل الدار يتخذها مسكناً والدابة يتخذها قعدة)^(٤) ومما يعرف أن الزيادة في بنية الكلمة فيه دلالة على زيادة في المعنى يقول الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن: (إن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل الى وزن آخر أعلى منه فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً لأن الألفاظ أدلة على المعاني فإذا زيدت في الألفاظ وجب زيادة المعاني ضرورة ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَا هُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾^(٥) فهو أبلغ من قادر لدلالته على أنه قادر متمكن القدرة لا يرد شيء عن اقتضاء قدرته ويسمى هذا قوة اللفظ لقوة المعنى)^(٦) فدلالة الفعل أخذ ليس كدلالة اتخذ لأن فيه دلالة على الاستمرار، ويجري مجرى الجعل في

(١) الدر المصون في الكتاب المكنون: السمين الحلبي: ١ / ١٩٢.

(٢) يذكر صاحب المفردات في غريب القرآن: ٩٤ هذا المعنى (في تصيير الشيء على حالة دون حالة).

(٣) ينظر: الفروق اللغوية بين بعض الألفاظ المتشابهة من خلال القرآن الكريم (مقالة): د. حسناء القنيعير.

(٤) الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري: ١٥٧.

(٥) القمر: ٤٢.

(٦) البرهان في علوم القرآن: الزركشي: ٣ / ٣٤.

المفعولية، فإما أن يتعدى لمفعول واحد أو لمفعولين الثاني منها هو الأول في المعنى^(١).

ومن هنا يتبين أن الجعل بمعنى (الخلق والتصيير)، وهو أقوى من الاتخاذ وأبلغ في حين الأخذ يعني الاستمرار على حوز الشيء أي أنهم مستمرين على اتخاذ الأرض بساطاً. ودلالة ذلك في السياق على شدة زهدهم من دون السعي لتغيير أحوالهم لأن صفة الزهد ثابتة فيهم لا حادثة.

وبناء على ذلك فاتخاذ الأرض بساطاً فيه دلالة على قوة الفعل وملازمته فهذا حالهم الذي هم عليه دائماً؛ وفي الآية الكريمة كان جعل الأرض دالة على التحول من حال إلى حال أي أنه ذو دلالة على قدرة الله في الأرض، وجعلها كالبسطة لتصلح للسكنى عليها والسعي في منابها، والجعل من أفعال الخالق في هذا السياق والاتخاذ من أفعال الخلق، والإمام عليه السلام يعطي جانباً مهماً ضمن سياق الحال في بيان صفاتهم ولعل في ذلك حكمة في بيان صفات الزهاد فمن كانت الأرض بساطاً له والتراب فراشاً يكون زاهداً؛ لذا دلّ السياق على بيان صفات الزهاد من خلال ذلك.

والسؤال المتبادر إلى الذهن لماذا لم يقتبس الإمام علي عليه السلام من القرآن؟ لماذا جاء بالفعل اتخذ ولم يأت بالفعل جعل إن كانت صيغة اتخذ تشبه جعل بصورة متقاربة على حد قول بعض أصحاب المعاجم اللغوية؟ يبدو أن الفعل اتخذ يمكن حمله على المجاز وعلى الحقيقة، فحمله على المجاز من باب مشابهته للفعل جعل، وعلى الحقيقة من باب صفات الزهاد وفعالهم، فإن كانت دلالة البساط على التسوية الاتساع فإن دلالاته هنا على الزهد والتواضع.

(١) ينظر: الحجة للقراء السبعة: لأبي علي الفارسي: ٢ / ٦٨، والدر المصون ١ / ٣٥٤.

٢- البَقَاعُ

(البَقْعُ: لَوْنٌ يُجَالِفُ بَعْضُهُ بَعْضاً مِثْلُ الْغُرَابِ الْأَسْوَدِ فِي صَدْرِهِ بِيَاضٍ غُرَابٌ أَبْقَعُ وَكَلْبٌ أَبْقَعُ وَالبُقْعَةُ: قِطْعَةٌ مِنْ أَرْضٍ عَلَى غَيْرِ هَيْئَةٍ الَّتِي عَلَى جَنْبِهَا كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا بُقْعَةٌ وَجَمْعُهَا بَقَاعٌ وَبُقَعٌ وَالبَقِيعُ: مَوْضِعٌ مِنَ الْأَرْضِ فِيهِ أَرُومٌ شَجَرٍ مِنْ ضُرُوبِ شَتَى وَبِهِ سُمِّيَ بَقِيعُ الْعَرَفِدِ بِالْمَدِينَةِ^(١)).

وردت هذه اللفظة في النهج ثلاث مرات بصيغة الجمع فقط^(٢) جاء: في خطبة له في أوائل خلافته: «اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَالبِهَائِمِ أَطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تَعْصُوهُ وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ»^(٣).

توجيه من الإمام عليه السلام إلى المسؤولين، ولعدالته موارد ينقل عدالته في قوله للرعية؛ مذكراً إياهم بمسؤوليات جمّة؛ ولكي يكون خطاب الإمام شمولياً ومن باب قول الرسول صلى الله عليه وآله: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، فذكر أن مسؤولياتهم تتجاوز البقاع والبهائم قال تعالى: ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(٤)، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ (كذا) عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ - قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ - وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ

(١) كتاب العين: (بقع): ١ / ١٨٤.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٦٧): ٢٤٢، الخطبة (١٨٢) / ٢٦١، الخطبة (١٩٢) / ٢٩٣.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة (١٦٧): ٢٤٢.

(٤) الصافات: ٢٤.

وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).

وقد ذكر البقاع هنا للدلالة على العموم؛ لأن البقعة هي قطعة الأرض غير هياة التي جنبها كما ذكرها أصحاب المعاجم، ومن هنا جاءت تسمية البقيع بهذا الاسم لتخالف الموضع عن الذي إلى جنبه، وإن كان فيه أشجار مختلفة، وبناء على ذلك فإن مجيء لفظة البقاع هنا دون غيرها؛ للدلالة على مطلق المكان لا التخصيص، ويبدو أن الإمام كان مقصده هو المكان المطلق من دون تمييز من الذي إلى جنبه، وإنما يكون التمييز بنوع البقعة التي يكونون بها بما يحدّها من حدود لكيلا يكون هنالك عبث أو اعتداء.

لذا فهم مسؤولون عن كل شيء حتى البقاع والبهائم، ومساءلون عن كل تصرف بها من سكن أو إعمار أو تخريب وأيضاً عن إيذاء البهائم واجاعتها أو تحميلها أكثر مما ينبغي^(٢) وفي مضمار الحرف نرى ورود الحرفين (حتى وعن) كون حتى حرف عطف^(٣) بتقدير معطوف عليه محذوف أي: فإنكم مسؤولون عن كل شيء وعن البقاع والبهائم أو حرف ابتداء^(٤) بتقدير: حتى إنكم مسؤولون عن....: فهنا شمولية لمسؤولية البقاع والبهائم وفي كل ما تقع عليه اليد أو مالم تقع لضمان عدم حصول الضرر بها كما تقدّم.

ومن هنا تتبين دلالة السياق في التقوى بعباد الله وبلاده للمسؤولية التي وضعت على الإنسان في كل شيء.

(١) صحيح البخاري: ٢ / ٥.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ٩ / ٢٩٠، ونفحات الولاية: ٦ / ٣٠٥.

(٣) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام الأنصاري: ١٣٥ - ١٣٧.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٣٧ - ١٣٩.

٣- التُّرَابُ

(ما نعم من أديم الأرض)^(١)، و(التُّرْبُ والتراب واحد إلا أنهم أنثوا قالوا: التُّرْبَةُ، يقال: أرض طيبة التربة أي خَلْقَةٌ تراها، فإذا عنيت طاقة واحدة من التراب قلت: تُرَابَةٌ، وتلك لا تدرك بالبصر دِقَّةً إلا بالتوهم)^(٢)، يقال: (التُّرْبُ والتُّرَابُ والتُّرْبَاءُ والتُّرْبَاءُ والتُّورْبُ والتُّورْبُ والتُّورَابُ والتُّورَابُ والتُّرَيْبُ والتُّرَيْبُ والتُّرَيْبُ الأخريرة عن كراع كله واحد وجمعُ التُّرَابِ أترِبَةٌ وتُرْبَانٌ)^(٣).

وردت هذه اللفظة في نهج البلاغة في أحد عشر موضعاً، تكررت بصيغة (تُرَاب) سبع مرات^(٤)، وتكررت صيغة (تُرْبَة) أربع مرات^(٥).

وورد التراب بعدة أوجه: منها بمعنى (الكفن) قال الإمام عليه السلام من خطبة له في ذم الدنيا يذكر فيها حال المتكبرين: «وَأَتَعَطُّوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً مُحْمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا... وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا»^(٦).

لا شك أن استعمال التراب هنا بمثابة الوعظ والتذكير والارشاد لما سبق،

(١) المعجم الوسيط: ١ / ١٧٤.

(٢) تهذيب اللغة: (ترب): ٥ / ٥.

(٣) لسان العرب: (ترب): ١ / ٢٢٧.

(٤) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١١١) / ١٦٦، الخطبة (١٩٢) / ٢٩١ - ٢٩٤، الخطبة (٢٢١) / ٣٣٨، الخطبة (٢٢٦) / ٣٤٨، الكتاب (٤٥) / ٤١٦، الحكمة (١٠٤) / ٤٨٦.

٤٨٦.

(٥) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١) / ٤٢، الخطبة (١٣) / ٥٥، الخطبة (٧٧) / ١٠٤، الخطبة (٢٣٤) / ٣٥٤، الحكمة (١٣٠) / ٤٩٢.

(٦) نهج البلاغة: الخطبة (١١١) / ١٦٦.

فدوام الحال من المحال، ويضرب الإمام المثل في عدم الاغترار والانجرار وراء الدنيا، ويذكر بحال الذين قالوا من أشد منا قوة حيث أخذهم التكبر والأنفة، فتغيرت بهم الأحوال ليحيى الفعل (جعل) ويدل على التصيير والتحويل لحالهم من حال إلى حال، ويبدو بما يتصور من النص أنه بعد أن كانت منازلهم قصوراً وثيابهم حريراً تحولت منازلهم قبوراً ولباسهم التراب وجيرانهم الرفات فأية حال أصبحوا وأمسوا؟ وقد قيل أما إن تراهم قد تحوّل لكفن يغطي أجسادهم أو أنهم تحوّلوا تراباً^(١) فدّل السياق على التحوّل من حال إلى حال مع الوعظ والارشاد لذلك، والاستفادة من أحوال من سبق.

ووردت هذه اللفظة بمعنى (التواضع) من خطبة القاصعة^(٢) يقول في ذكر الانبياء والأولياء «فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِي الْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِحَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَّاضِعَ فَالْصَّقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ وَعَفَّرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ»^(٣).

ليس هنالك أكثر تواضعاً من تعفير الوجوه بالأرض للعلي الأعلى وتعفير الوجه فيه عدة دلالات: فلو أخذنا هذا الفعل لوجدنا في المعجم العربي ملاصقاً للتراب حتى أنه في أحد تصريفاته وهو العفر جاء بمعنى: التراب^(٤)، ويبدو هنا استعمال المفردة أي (التعفير بالتراب) أمّا كناية عن

(١) شرح نهج البلاغة (السيد عباس الموسوي) ٢/ ٢٥٧.

(٢) مرّ ذكرها مع سبب تسميتها في الفصل الثاني: ٦٩.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة (١٩٢) / ٢٩٠ - ٢٩١.

(٤) ينظر: كتاب العين: ٢/ ١٢٢، معجم مقاييس اللغة: ٤/ ٦٢، لسان العرب (عفر): ٤/

التواضع والخضوع لله وعدم التكبر والغرور بالدنيا^(١)، أو لطول سجودهم على الأرض لله وعبادتهم له سبحانه وتعالى إلى جانب معاملتهم مع البشر بإلانة الجانب لأن تخفيض الجناح للمؤمنين يبين التعامل بالخلق الرفيع معهم^(٢).

ورد بمعنى (الفراش) وقد مرّ ذكرها سابقاً ضمن هذا المبحث قال: «يَا نَوْفُ طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاعِيِينَ فِي الْآخِرَةِ أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بَسَاطًا وَتُرَابَهَا فِرَاشًا وَمَاءَهَا طِيبًا وَالْقُرْآنَ شِعَارًا وَالدُّعَاءَ دِثَارًا»^(٣)، فهنا اتخذوا الأرض كالفراش دلالة على زهدهم.

٤- الحجر

(الحاء والجيم والراء أصل واحد مطّرد، وهو المنع والإحاطة على الشيء)^(٤) وهو (الجوهر الصلب المعروف وجمعه أحجار وحجارة)^(٥).

وردت هذه اللفظة في النهج في ستة عشر موضعاً، تكررت صيغة المفرد

.٥٨٣

(١) شرح نهج البلاغة (السيد عباس الموسوي) ٣/ ٣٠٥.

(٢) قال ابن ميثم في شرحه: (ولفظ الأجنحة مستعار من الطائر ليد الإنسان وجانبه باعتبار ما هو محلّ البطش والنفرة. وخفض الجناح كناية عن لين الجانب) شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٤/ ٢٧١.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة (١٠٤) / ٤٨٦.

(٤) معجم مقاييس اللغة: (حجر): ٢ / ١٣٨.

(٥) المفردات في غريب القرآن: ١٤١.

(حجر) احدى عشرة مرة^(١)، وصيغتنا الجمع (أحجار) ثلاث مرات^(٢)، و(حجارة) مرة واحدة^(٣).

لورود هذه اللفظة في نهج البلاغة دلالات متعددة، ولا سيما دلالة الخلق للأرض بوصفه أحد مكوناتها، وكذلك من الدلالات والمعاني الأخرى لهذه اللفظة هي: دلالة المكان: كون الحجر يتشر بمكان دون آخر كالبيت الحرام يقول الإمام عليه السلام في وصف مكانه: «فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بَقَاعِ الْأَرْضِ حَجْرًا وَأَقْلَّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدْرًا»^(٤). فهنا يصف المكان الذي وضع الله سبحانه بيته وضعه في اغلظ بقاع الأرض، وأصعبها من الأحجار فيكون السلوك إليها في موسم الحج وغيره من الصعوبة التي يلاقيها المسافر إلى مكة، كما ذكر بأنها أقل الأماكن الصالحة للزراعة كونها أرضاً حجرية لا طينية^(٥)، ويعلل الإمام سبب ذلك بقوله: «وَلَكِنَّ اللَّهَ يُحْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمُبَاهِدِ وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ إِخْرَاجًا لِلتَّكْوِينِ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَإِسْكَانًا لِلتَّذَلُّلِ فِي نَفْسِهِمْ وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَابًا فَتْحًا إِلَى فَضْلِهِ وَأَسْبَابًا ذُلًّا لِعَفْوِهِ»^(٦).

(١) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٦٠) / ٢٢٧، الخطبة (١٨٣) / ٢٦٦، الخطبة (١٨٥) / ٢٧٠ - ٢٧١، الخطبة (١٩٢) / ٢٩٢ - ٣٠٠، الكتاب (٤٥) / ٤١٦، الحكمة (٢٤٠) / ٥١٠، الحكمة (٣١٤)، ٥٣٠.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٦٠) / ٢٢٧، الخطبة (١٩٢) / ٢٩٢، الخطبة (٢٢٦) / ٣٤٨.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٢٦) / ٦٨.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (١٩٢) / ٢٩٢ - ٢٩٣.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٣ / ١٥٧ - ١٥٨.

(٦) نهج البلاغة: الخطبة (١٩٢) / ٢٩٤.

٥- الصُّخُور

(الصُّخْرُ: عِظَامُ الْحِجَارَةِ وَصِلَابُهَا وَالصَّخِرُ: إِنَاءٌ مِنْ خَزَفٍ وَالصَّخِيرُ: نَبَاتٌ)^(١) و(الجمع صَخْرٌ وَصَخْرٌ وَصُخُورٌ وَصُخُورَةٌ وَصِخْرَةٌ وَصَخْرَاتٌ وَمَكَانٌ صَخِرَ وَمُصَخِرٌ كَثِيرُ الصَّخْرِ)^(٢).

جاءت هذه اللفظة بصيغة الجمع (صخور) ثلاث مرات^(٣)، قال الإمام عليه السلام في ذكر النبي صلى الله عليه وآله من خطبة الملاحم: «طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطَبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ... لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ»^(٤).

هذا المقطع من الخطبة يبين الرحمة الإلهية في ارسال الرسول صلى الله عليه وآله فهو طبيب للأرواح وانقاذها مما كانت تتعبد مما لا ينفع ولا يغني عنهم شيئاً فضلاً عن الاخلاق التي حملها الرسول صلى الله عليه وآله؛ ولكن هنالك بعض النفوس لم تستجب فلم يدخل قلوبها الدواء ولم تعالج بالحكمة والموعظة على الرغم من الحجج والبراهين وفي ذلك يشبههم الامام بالأنعام السائمة التي ترعى لا هم لها سوى علفها والصخور القاسية هنا ذكر الامام نوعين مختلفين في التشبيه: انعام سائمة^(٥)، وصخور قاسية: فما وجه الترابط بينهما؟

لقد جرت العادة على التشبيه بالحيوان في القرآن والسنة ونهج البلاغة

(١) كتاب العين: (صخر): ٤ / ١٨٤.

(٢) لسان العرب: (صخر): ٤ / ٤٤٥.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة (١): ٣٩، الخطبة (١٠٨): ١٥٦، الخطبة (٢٢٦): ٣٤٨.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (١٠٨): ١٥٦.

(٥) جاء في لسان العرب (سوم): ١٢ / ٣١٤: (وسامت الراعية والماشية والغنم تسوم سوماً

رعت حيث شاءت فهي سائمة).

لدلالات مختلفة فقولنا: محمد كالأسد. دلالة على شجاعة محمد، وقولنا زيد كالنعامة دلالة على جبن زيد لأن النعامة من صفاتها دفن رأسها بالتراب فاتخذ هذا المعنى للجبن والخوف وكل ذلك حسب السياقات المختلفة التي تحدد المعنى.

ويلاحظ هنا أن الامام عليه السلام لم يكتف بالتشبيه بذكر الانعام، وإنما وصف الأنعام بالسائمة دلالة على رعيها^(١) فهنا تشبيه للقوم أنهم كالأنعام التي لا هم لها سوى اشباع البطن، ويقودنا هذا المفهوم الى أنهم رفضوا الامتثال للرسول عليه السلام؛ لأنهم اغلقوا عقولهم عن ادراك الحكمة، وتشبيههم بالصخور القاسية أي الصلبة دلالة على قساوة قلوبهم ومنعها لتقبل ما جاء به الرسول وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾^(٢).

٦- الطين

(الطاء والياء والنون كلمة واحدة، وهي الطين، وهو معروف)^(٣)، و(الطينُ معروف الوحلٌ واحده طينةٌ وهو من الجواهر الموصوف بها)^(٤).

وردت هذه اللفظة أربع مرات^(٥)، يقول عليه السلام من كلام له، حينما ذكر عنده

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١٠٨) / ١٥٦.

(٢) البقرة: ٧٤.

(٣) معجم مقاييس اللغة: (طين): ٣ / ٤٣٧.

(٤) لسان العرب: (طين): ١٣ / ٢٧٠.

(٥) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١) / ٤٢، الخطبة (١٦٣) / ٢٣٣، الخطبة (١٩٢) / ٢٩٥،

كلامه (٢٣٤) / ٣٥٤.

اختلاف الناس: «إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِيءُ طِينِهِمْ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فَلَاقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا وَحَزْنِ تُرْبِيَةٍ وَسَهْلِيهَا فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ فَتَأْمُ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ وَمَادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهَمَّةِ وَزَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمُنْظَرِ وَقَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّرِّ وَمَعْرُوفُ الضَّرِيَّةِ مُنْكَرُ الْجَلِيَّةِ وَتَائِهَةُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللَّبِّ وَطَلِيْقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ»^(١).

نجد هنا ذكراً للخلقة الأرض قبل خلقة الإنسان؛ والسبب يرجع إلى أصل الخلقة مع اختلاف طينة الأرض، وقد أشار القرآن الكريم إلى بيان مجمل خلق الانسان في عدد من الآيات، وأصل الخلق من الأرض، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾^(٢)، فأصل الإنشاء من الأرض لذا تعد ال الأولى من بين المواد؛ ثم يفصل (سبحانه وتعالى) في ذلك ويذكر المواد التي خلق منها الإنسان باختلاف تسمياتها في القرآن من: تراب أو طين أو حمأ أو صلصال.

يقول الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) في خلق آدم ﷺ: (والأقرب أنه تعالى خلقه أولاً من تراب ثم من طين ثم من حمأ مسنون ثم من صلصال كالفخار، ولا شك أنه تعالى قادر على خلقه من أي جنس من الأجسام كان، بل هو قادر على خلقه ابتداء...)^(٣) ويذكر العلة في خلق الإنسان بهذه الكيفية ما قاله الحكماء: (إنما خلق آدم ﷺ من تراب لوجوه: الأول: ليكون متواضعاً الثاني: ليكون ستاراً الثالث: ليكون أشد التصاقاً بالأرض، وذلك لأنه إنما

(١) نهج البلاغة: كلامه (٢٣٤) / ٣٥٤ - ٣٥٥.

(٢) هود: ٦١.

(٣) تفسير مفاتيح الغيب: الرازي: ٩ / ٣٠٢.

خلق لخلافة أهل الأرض...)»^(١) كما أشار الحديث النبوي الشريف إلى التعدد في اختلاف أجناس الناس قال الرسول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةِ قَبْضِهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ جَعَلَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ وَالْأَسْوَدَ وَيَبْنَ ذَلِكَ وَالسَّهْلَ وَالْحَزْنَ»^(٢) وَيَبْنَ ذَلِكَ وَالْحَبِيثَ وَالطَّيِّبَ وَيَبْنَ ذَلِكَ»^(٣)، فالناظر لهذا الحديث وكلام الإمام ﷺ يرى إجمالاً وتفصيلاً بين القولين، فمجيء بني آدم على قدر الأرض جعلهم مختلفين بالألوان: من أحمر، وأبيض، وفي الطباع والأخلاق بحسب البيئة التي خلقوا منها... الخ، وهذا باب من الإجمال.

فنهج الإمام ﷺ من هذا الحديث ما يبين، ويفصل خلقة الناس، ويبين أسباب اختلاف الناس لاختلاف طينة الأرض، ويبدو أنه مجيء التراب والحما والصلصال بوصفها مصادر خلق الإنسان في القرآن؛ لكن الإمام ﷺ استعمل لفظة (طينة) ولعل ذلك يعود إلى ثبات لون التراب وجفافه وأصل التغيير في أساس الطينة التي خلقوا منها؛ لذا فإن هذا المفهوم للخلق أنتج عدداً من أنواع الخلق متقاربين بينهم تارة ومختلفين تارة أخرى أما إضافة لفظة (مبادئ) إلى الطين، فعند ذلك قال أهل التأويل: (إضافة المبادئ هنا إلى الطين إضافة بمعنى اللام: أي المبادئ لطينهم، والإشارة بطينهم إلى

(١) م. ن. ٤ / ٢٣٤.

(٢) ذكر عبد الرؤوف المناوي: («والسهل» بفتح فسكون أي الذي فيه رفق ولين «والحزن» بفتح وسكون أي الذي فيه عنف وغلظة فالسهل من الأرض السهلة واللفظ الغليظ الجافي من ضدها «والخبِيث والطيب وبين ذلك» أي فالخبِيث من الأرض السبخة والطيب من العذبة) فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٢ / ٢٣١.

(٣) مسند أحمد: أحمد بن حنبل: ٤٠ / ١٣٠.

أصولهم، وهي الممتزجات المنتقلة في أطوار الخلق كالنطفة وما قبلها من موادها وما بعدها من العلقة والمضغة والعظم، والمزاج الإنساني القابل للنفس المدبّرة^(١).

وتكونت مبادئ الطين هذه من: فلقة من سبخ أرض وعذبها وحزن التربة وسهلها، فإن تقاربت تقارب الخلق وإلا العكس بالعكس، ويثير ابن أبي الحديد تساؤلاً حول الاختلاف الحاصل في سبخية الأرض أو عذبها لم يكون الاختلاف حاصلًا؟ هذا من جهة، ومن جهة أخرى كيف يؤثر طين الأرض على الأقسام المتوالدة من القديم إلى الآن ويعطي في ذلك تصوراً مفاده: (أن لكلامه ﷺ تأويلا باطنا - وهو أن يريد به اختلاف النفوس المدبرة للأبدان - وكنى عنها بقوله مبادئ طينهم - وذلك أنها لما كانت الماسكة للبدن من الانحلال - العاصمة له من تفرق العناصر - صارت كالمبدأ وكالعلة له من حيث إنها - كانت علة في بقاء امتزاجه - واختلاط عناصره بعضها ببعض - ولذلك إذا فارقت عند الموت افتردت العناصر - وانحلت الأجزاء فرجع اللطيف منها إلى الهواء - والكثيف إلى الأرض - . وقوله كانوا فلقة من سبخ أرض وعذبها - وحزن تربة وسهلها - تفسيره أن البارئ جل جلاله لما خلق النفوس - خلقها مختلفة في ماهيتها - فمنها الزكية ومنها الخبيثة - ومنها العفيفة ومنها الفاجرة - ومنها القوية ومنها الضعيفة - ومنها الجريئة المقدمة ومنها الفاشلة الذليلة - إلى غير ذلك من أخلاق النفوس المختلفة المتضادة -)^(٢) ليفهم من ذلك أن مبادئ طينهم تتمثل

(١) شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٤ / ١١٥ .

(٢) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١٣ / ١٩ .

برجوع الأجسام إلى التربة، وتحللها أي إلى المبادئ الأولى، فإنه من الممكن أن تنشأ نفوس متقاربة أو متباعدة، ويقودنا هذا التمازج لمبادئ الطينة إلى بيان قول الإمام عليه السلام خلق مختلف مع الأخلاق منه^(١): اللذان لا يوافق ظاهرهما باطنهما وهما: الغبي الذي يكون عقله ناقصاً مع قبول الصورة الحسنة ومنه الجبان وهو الطويل مع نقص المهمة، ومنه صاحب الأعمال الذاكية فهو يستعد لتقبيح الظاهر مع حسن الباطن باعتدال المزاج، ومنه القصير الذكي ومنه المتكلف إذ يأتي بتكلف على خلاف ما اراد فهو بخيل ويتكلف الكرم والسخاء وهكذا نرى في البقية.

فدلالة السياق هنا تبين أسباب اختلاف البشر في الخلق أو الخلق بحسب الطينة التي نشأ الإنسان منها، فأصبح الطين ال الأولى للخلق.
ومن الألفاظ الأخرى الواردة: الثرى (أربع مرات)^(٢)، والجنادل (مرة واحدة)^(٣)، والصياخيد (مرة واحدة)^(٤).

ينظر جدول إحصائي رقم (٩) للوحدات الدلالية للتراب والصخور وما يتصل بها في نهج البلاغة - صفحة: ٣٠١.

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٤ / ١١٧.

(٢) نهج البلاغة: كلامه (٢٢٤) / ٣٤٦، الخطبة (٢٢٦) / ٣٤٩، الكتاب (٤١) / ٤١٤، الحكمة (١٣١) / ٤٩٢.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة (٢٢٦) / ٣٤٩.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (٩١) / ١٣٢.

المبحث الثاني

السهل والوادي والطريق وما يتصل بها

١- السَّبِيل

(السين والباء واللام أصلٌ واحد يدلُّ على إرسال شيءٍ من علو إلى سفلى، وعلى امتداد شيءٍ. فالأول من قِيلِكَ: أسبَلْتُ السُّرَّ، وأسبَلَتِ السَّحَابَةُ مَاءَهَا وبهاؤها. والسَّبَلُ: المطر الجَوْد. وسِبَالُ الإنسان من هذا، لأنَّه شعر منسدل. وقولهم لأعالي الدَّلُو أسبال... والممتدُّ طولاً: السَّبِيل، وهو الطَّرِيق، سَمِّيَ بذلك لامتداده. والسَّابِلَةُ: المختلِفَةُ في السَّبَلِ جَائِيَةً وَذَاهِبَةً^(١)) لذا عُرِفَ السَّبِيلُ بأنَّه: (الطَّرِيقُ وما وَضَحَ منه يُدَكَّرُ ويؤنثُ وسَبِيلُ اللهُ طَرِيقُ الهُدَى الذي دعا إليه... ابنُ السَّبِيلِ ابنُ الطَّرِيقِ وتَأْوِيلُهُ الذي قُطِعَ عَلَيْهِ الطَّرِيقُ والجمعُ سُبُلٌ وسَبِيلٌ سَابِلَةٌ مَسْلُوكَةٌ والسَّابِلَةُ أَبْنَاءُ السَّبِيلِ المختلِفون على الطَّرِيقَاتِ في حوائجهم والجمع السوابل)^(٢).

وردت هذه اللفظة في نهج البلاغة في ثلاثة وسبعين موضعاً؛ منها: بصيغة المفرد (سبيل) اثنتين وستين مرة واحدى عشرة مرة بصيغة الجمع

(١) معجم مقاييس اللغة: (سبل): ٣ / ١٣٠.

(٢) لسان العرب: (سبل): ١١ / ٣١٩.

(سبل)، وفي ورود هذه اللفظة معانٍ حددها السياق وكالاتي:

أ- السبيل بمعنى الطريق: يقول الكفوي في التمييز بين الطريق والسبيل: (السبيل: هو أغلب وقوعاً في الخير، ولا يكاد اسم الطريق يراد إلا مقروناً بوصف، أو إضافة تخلصه لذلك)^(١)، ويلاحظ في الأغلب ملازمة الفعلين (سلك - نهج) للسبيل وهنالك فرق واضح وجلي بين دلالة السلوك والنهج فمفهوم سلك كما يبينه ابن فارس (٣٩٥هـ) بقوله: (السين واللام والكاف أصلٌ يدلُّ على نفوذ شيءٍ في شيءٍ. يقال سلكت الطريقَ أسلُكُهُ. وسَلَكْتَ الشيءَ في الشيءِ: أنفذته)^(٢) هو الدخول والنفوذ إلى الطريق.

من كتاب له ﷺ إلى المنذر العبدي، وخان في بعض ما ولّاه من أعماله يقول ﷺ: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ صَلَاحَ أَبِيكَ غَرَنِي مِنْكَ وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ»^(٣).

نجد هنا أسلوب تويخ لعامله المنذر، وقد بين الإمام هذا الأسلوب من خلال تذكيره بأبيه الذي تميز بالصلاح؛ على عكس ابنه فقد ترك سلوك سبيل أبيه، وقد ظنَّ الإمام ﷺ أنه كأبيه يتبع هديه ويسير بحسب ذلك؛ سالكاً طريقته متبعاً ذلك فيما ولّاه منفذاً لذلك؛ بينما دلالة النهج على: (الطريق الواضح. وكذلك المنهجُ والمنهاجُ. وأَمْهَجَ الطريقُ، أي استبانَ وصارَ مَهْجاً واضحاً بيّناً. قال يزيد بن الحذاق العبديّ:

ولقد أضاء لك الطريقَ وأَمْهَجَتْ سُبُلُ الْمَسَالِكِ وَاهْدَى تُعْدِي

(١) الكلبيات: أبو البقاء أيوب الكفوي: ٥١٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة: (سلك): ٩٧ / ٣.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب (٧١) / ٤٦١ - ٤٦٢.

أي تُعين وتقوي. ونَهَجْتُ الطريق، إذا أَبْنَتُهُ وَأَوْضَحْتَهُ^(١) أي: السير أو اتباع طريق واضح.

جاء من خطبة الأشباح قوله ﷺ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفْرُهُ الْمَنْعُ وَالْجُمُودُ وَلَا يُكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ وَالْجُودُ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ وَهُوَ الْمَنَانُ بِفَوَائِدِ النَّعْمِ وَعَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَالْقِسْمَ عِيَالَهُ الْخَلَائِقُ ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ وَنَهَجَ سَبِيلَ الرَّاعِيْنَ إِلَيْهِ وَالطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ»^(٢).

فهنا الحمد والثناء لله (سبحانه وتعالى) كما ينبغي، ونجد الرحمة الإلهية على الخلق إذ شملت عدة أمور منها: اعتبار الخلائق هم عيال الله فهنا من باب الاستعارة^(٣)، ومن ثم تقسيم الرزق عليهم، وإشارته إليهم باتباع نهج السبيل: أي الطريق الواضح للدين الحق والشريعة السمحاء أو تبين ذلك لهم ليكونوا من الراغبين إليه.

ب- السبيل بمعنى الحرية: لما كان المفهوم من الطريق هو التقييد فإن مفهوم السبيل هو الاطلاق وإن مفهوم الاطلاق من مفاهيمه هو الحرية لذا عدت الحرية لازمة من لوازم السبيل لذا فقد جاء السبيل هنا بمعنى منح الحرية أو اطلاق السراح؛ من كلام له ﷺ قاله لمروان بن الحكم بالبصرة: «قَالُوا أَخَذَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ أَسِيرًا يَوْمَ الْجَمَلِ فَاسْتَشْفَعَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ فَكَلَّمَاهُ فِيهِ فَخَلَّى سَبِيلَهُ»^(٤).

(١) الصحاح: (نهج): ٢ / ٢٣٤.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة (٩١) / ١٢٤.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٢ / ٣٢٥.

(٤) نهج البلاغة: كلامه: (٧٣) / ١٠٢.

ج- السبيل بمعنى الطاعة: ومن أَجَلَّ العبارات المتكررة في القرآن وفي السنة النبوية ونهج البلاغة وغيرها هي عبارة: (في سبيل الله) أي في طاعة الله^(١)؛ ومن وصية له ﷺ للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله: «والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم والله الله في بيت ربكم لا تحلوه ما بقيتم فإنه إن ترك لم تناظروا والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وأستتكم في سبيل الله»^(٢) فدلالة السياق هنا على الجهاد والتضحية والايثار بالنفس.

وهناك دلالات اخرى ضمن السياق للسبيل: منها الانحراف عن الصراط المستقيم كقوله: «إِنَّ أَبْغَضَ الْخُلَاقِ إِلَى اللَّهِ رَجُلَانِ رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ...»^(٣).

٢- السَّهْلُ

(كل شيء إلى اللين وذهاب الخشونة وقد سهل سهولة والسهلة: تراب كالرمل يجيء به الماء. وأرض سهلة فإذا قلت: سهلة فهي نقيض حزنة وأسهل القوم نزلوا عن الجبل إلى السهل... وسهيل: اسم كوكب يرى بالعراق ولا يرى بخراسان)^(٤) (والجمع سهول)^(٥).

وردت هذه اللفظة في النهج في عشرة مواضع؛ سبعة منها بصيغة

(١) ينظر: قاموس القرآن أو اصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: الدامغاني: ٢٢٨ - ٢٣٠.

(٢) نهج البلاغة: الوصية (٤٧) / ٤٢٢.

(٣) نهج البلاغة: كلامه: (١٧) / ٥٩.

(٤) كتاب العين: (سهل): ٧ / ٤.

(٥) لسان العرب: (سهل): ١١ / ٣٤٩.

المفرد^(١) وثلاثة بصيغة الجمع^(٢)، وقد وردت بمعان مختلفة حددها السياق داخل النص وكالآتي:

أ- بمعنى السهولة واللين: من خطبة له ﷺ يصف فيها المتقين: «يَمزُجُ الحِلْمَ بِالْعِلْمِ والقَوْلَ بِالْعَمَلِ. تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ، قَلِيلًا زَلَّهُ، خَاشِعاً قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ مَنزُوراً أَكَلُهُ، سَهلاً أَمْرُهُ، حَرِيزاً دِينَهُ...»^(٣) فيلاحظ أن لفظة (سهلاً) وردت في النص للدلالة على السهولة والليونة فيما وبها يحيط بها من ألفاظ لتدل بالأخير على صفات المتقين.

ب- بمعنى السهل من الأرض: وهنالك أقوال تبين خلق الله للأرض ومن مكوناتها السهل قال من خطبة له ﷺ يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم وفيها ذكر الحج وغيرها، قال في صفة خلق آدم: (ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزَنِ الأَرْضِ وَسَهْلِهَا وَعَدْبِهَا وَسَبْخِهَا تُرْبَةً سَنَهَا بِالمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ وَلا طَهَا بِالبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةَ ذَاتِ أَعْضَاءٍ وَوُصُولٍ وَأَعْضَاءٍ...)^(٤) فهنا تبين للمكونات التي خلق منها آدم ﷺ أي أن هنا بيان للأصول والمبادئ لخلقه.

(١) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١) / ٤٢، الخطبة (١٩٢) / ٢٩٢، الخطبة (١٩٣) / ٣٠٣، الخطبة (٢٣٤) / ٣٥٤، الكتاب (٩) / ٣٦٨، الكتاب (٥٣) / ٤٣٧، الحكمة (٣٣٣) / ٥٣٣.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٩١) / ١٣١.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة (١٩٣) / ٣٠٥.

(٤) م. ن: الخطبة (١) / ٤٢.

٣- الطَّرِيق

(الطاء والراء والقاف أربعة أصول: أحدها الإتيان مَسَاءً، والثاني الضَّرْبُ، والثالث جنسٌ من استرخاء الشيء، والرابع خَصْفٌ شيءٍ على شيء) ^(١) و(والطَّرِيقُ السَّبِيلُ تذكَّر وتؤنث تقول الطَّرِيقُ الأعظم والطَّرِيقُ العُظْمَى وكذلك السَّبِيلُ والجمع أطْرِقة وطُرُق... والطَّرِيقَةُ السَّيْرَةُ وطريقة الرجل مَذْهَبُهُ يقال ما زال فلان على طَّرِيقَةٍ واحدة أي على حالة واحدة) ^(٢).

وردت هذه اللفظة في واحد وسبعين موضعاً، وتكررت لفظة الطريق اثنتين وخمسين مرة، وطرق أربع عشرة مرة، وطريقة خمس مرات.

ولما كان المغزى من السياق هو الكشف عن مضمار المعنى لللفظة ولما كانت الكلمة متغيرة المعنى داخل السياق فإن تغيير معناها قد نحى ثلاثة مناح:

الأول: أن يتعدد معناها بنفسها بحسب الدلالة والزمن.

الثاني: أن تكتسب معنى آخر مع البقاء على معناها المركزي وذلك من خلال ما يضاف إليها من كلمات.

الثالث: أنها تخرج عن معناها الحقيقي لمعان وأغراضٍ أخرى بحسب مقتضى الحال إلى المجاز.

ولو ألقينا نظرة على لفظة الطريق نجد أنها أكثر ما وردت بالمنحى الثاني وهو الاكتساب بما يخبر عنها أو يضيف لها أو الوصف.

(١) معجم مقاييس اللغة: (طرق): ٣ / ٤٤٩.

(٢) لسان العرب: (طرق): ١٠ / ٢١٥.

قال من خطبة له عليه السلام وفيها يصف الله تعالى ثم يبين فضل الرسول الكريم وأهل بيته ثم يعظ الناس: «اعْمَلُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ عَلَى أَعْلَامٍ بَيْنَهُ فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ. يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَأَنْتُمْ فِي دَارٍ مُسْتَعْتَبٍ عَلَى مَهَلٍ وَفَرَاغٍ وَالصُّحُفُ مَشُورَةٌ وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ وَالتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ وَالْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ»^(١).

اختصر الإمام مسيرة الكون والحياة التي يعيشها الإنسان بكلمتين (فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ)، لقد أوصى الإمام هنا الرعية بالعمل على وفق مناهج ظاهرة واضحة لا ملتوية فالأعلام والشواهد الدالة على اتباع هذا الطريق واضحة والعمل بهذه المناهج تحتاج إلى ممر وطريق للوصول إلى دار السلام أي: الجنة^(٢) لذا فهذا الممر أو الطريق تمثل بالسير وفق الشريعة الصادقة التي هي النهج وهنا بيان واضح للحق من الباطل ممن تشوبه الشوائب ثم يفصل الأمور التي عليها على وجه التحذير والتذكير لكي يسيروا على وفق منهج الشريعة.

ومن كلام له عليه السلام في الإيمان ووجوب الهجرة: «أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّْي بِطُرُقِ الْأَرْضِ قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا»^(٣).

يستشعر القارئ لهذه الأسطر أن علياً قد تميز من غيره بإتيان العلم كيف

(١) نهج البلاغة: الخطبة (٩٤) / ١٣٩ - ١٤٠.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) / ٧ / ٦٥، شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) / ٢ / ٣٩٨.

(٣) نهج البلاغة: كلامه (١٨٩) / ٢٨٠.

لأ؟ ورسول الأمة ﷺ يقول: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أرداد المدينة فليأت الباب»^(١).

لقد وجّه الإمام خطابه للناس في سؤاله بلفظة (سَلُونِي) ينقل ابن عبد البر في كتابه: (قال أحمد بن زهير: وأخبرنا إبراهيم بن بشار قال: حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال: ما كان أحد من الناس يقول: سلوني غير علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه)^(٢).

والسؤال هنا مشروط قبل وفاة الإمام ﷺ، وكأنه أراد استعجالهم باستثمار وجوده للاستفادة من علمه؛ لذا كان التعبير عن علمه بالطرق وهو منقسم على شطرين وكما يأتي:

أ- طرق السماء: وهنا جاءت لفظة الطرق للدلالة على: معرفة ما يجري من الأمور المستقبلية وقد دلّت أحاديث متواترة منقولة عنه أو معرفة الأحكام الشرعية وهي من الأمور الالهية لذا قال بأنه ما من فتنة مستقبلية يجبرهم بها قبل أن تحصل أو معرفته بوجوه الهداية لمعرفة منازل من مات وما هي مرتبته فضلاً عن مقامات الأنبياء^(٣) وأياً يكون هذا الاختلاف في آراء الشراح فإن الاستفادة من ذلك هو الاحاطة بالعلم للإمام ﷺ يستطيع المخاطب أن يدرك أن ما من سؤال إلا ويجيبه الإمام عنه.

ب- طرق الأرض: قدّم طرق السماء على طرق الأرض ولعل ذلك

(١) المستدرک علی الصحیحین: النیسابوری: ٣ / ١٤٧.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر: ١ / ٣٤٠.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١٣ / ١٠٦، شرح نهج البلاغة (ابن ميثم)

يرجع إلى تعلق فكر الإنسان لمعرفة ما يجول بالساء أكثر من معرفته بالأرض كونه يعيش عليها وكذلك لأهمية السماء عن الأرض لذا نستطيع أن نقول استعمال التشويق للمعرفة ويقصد بطرق الأرض على ما يبدو هي الأمور والمتعلقات الدنيوية.

ويبدو أن هنالك دلالة أخرى للسياق تختص بضرورة تعلم العلوم الأخرى.

٤- الفجّاج

(الفجّ: الطريق الواسع بين الجبلين، والجمع فجّاج)^(١)، و(الفجّ المضرب البعيد وقيل هو الشّعب الواسع بين الجبلين... ما انخفض من الطّرق وجمعه فجّاج وأفجّة الأخيرة نادرة)^(٢).

وردت هذه اللفظة في ثمانية مواضع، منها بصيغة المفرد مرة واحدة^(٣)، وسبع مرات بصيغة الجمع^(٤)، قال من خطبة له ﷺ وتشتمل على قدم الخالق وعظم مخلوقاته، ويختمها بالوعظ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِمًا دَائِمًا إِذْ لَا سَمَاءَ ذَاتُ أَبْرَاجٍ وَلَا حُجُبَ ذَاتُ إِرْتَاجٍ وَلَا لَيْلٌ دَاجٍ وَلَا بَحْرٌ سَاجٍ وَلَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ وَلَا فِجٌّ ذُو اغْوِجَاجٍ وَلَا

(١) الصحاح: (فجج): ٢ / ٣٤.

(٢) لسان العرب: (فجج): ٢ / ٣٣٨.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٩٠) / ١٢٢.

(٤) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٩٠) / ١٢٢، الخطبة (١٩١) / ١٢٨ - ١٣١، الخطبة

(١٦٥) / ٢٣٥، الخطبة (١٨٢) / ٢٦٠، الخطبة (١٩٢) / ٢٩٢، الخطبة (١٩٨) /

أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ^(١).

يبتدئ الإمام خطبته بالحمد لله على جزيل معروفه بما خلق حمداً يستحقه فهو القائم الذي لم يزل والموجود دوماً بما تجلّى من جميل صنيع قدرته، ومن بين ما خلقه الجبال التي تثبت الأرض فهي كالأوتاد وصفة هذه الجبال أن فيها فجاجاً أي مجموعة من الطرق في الجبل^(٢) ففي العادة أن يحتوي الجبل على فج أو طريق لا طرق متعددة وهنا نفي، كما نفي وجود طريق معوج في الجبل.

٥- الوادي

(كل مَفْرَجٍ بين جبال وآكام وتلال يكون مسلكاً للسَّيْلِ أو مَنَفِذاً والجميع «كذا» الأودية على تقدير فاعل وأفعله)^(٣)، و(أوداء على أفعالٍ مثل صاحبٍ وأصحابٍ)^(٤).

وردت هذه اللفظة في سبعة مواضع، تكررت في المفرد مرتين^(٥)، وفي الجمع خمس مرات^(٦).

من خطبة له ﷺ ينبه على إحاطة علم الله بالجزئيات، ثم يحث على التقوى،

(١) نهج البلاغة: الخطبة (٩٠) / ١٢٢ - ١٢٣.

(٢) ينظر: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ١ / ١٩٠.

(٣) كتاب العين: (ودي): ٨ / ٩٨.

(٤) لسان العرب: (وادي): ١٥ / ٣٨٣.

(٥) ينظر: نهج البلاغة: الكتاب (٣١) / ٤٠٠، الحكمة (٢٨٩) / ٥٢٦.

(٦) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٩١) / ١٣٤، الخطبة (١٦٦) / ٢٤٠، الخطبة (١٨٦) /

٢٧٥، الخطبة (١٩٢) / ٢٩٣، الخطبة (١٩٨) / ٣١٥.

ويبين فضل الإسلام والقرآن: «ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُورًا لَا تَطْفَأُ مَصَابِيحُهُ وَسِرَاجًا لَا يَجْبُو تَوَقُّدُهُ... وَحَقًّا لَا تُحْدَلُ أَعْوَانُهُ فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَيُجْبُو حَتْمَهُ وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ وَرِيَاضُ الْعَدْلِ وَعُدْرَانُهُ وَأَثَائِي الْإِسْلَامِ وَبُنْيَانُهُ وَأُودِيَّةُ الْحَقِّ وَغَيْطَانُهُ وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ»^(١).

في هذه الخطبة يذكر الإمام الكتاب الذي نزل على رسول الله وقد وصفه بأوصاف كثيرة فكما أن الرسول خاتم الأنبياء فالقرآن الكريم خاتم الكتب السماوية، وذكر بأنه النور الذي لا تنطفئ مصابيحها مما احتواه وما ضمه وما جاء به من العلم والمعرفة وغيرها يسير عليها الناس، كما أنه سراج لا ينقطع نوره لهداية الناس^(٢).

ومن ضمن الوصف له وصفه بأودية الحق لأنه في العادة الوادي يحتوي على المياه فكأنها أصبح مصدرًا من مصادر الماء، ويبدو أن ذكر الوادي هنا للعلم الدفين الذي يحمله الكتاب فضلًا عن دلالة الحق فيه فأصبح المنبع الذي يكون للحق كما الوادي الذي تجري المياه فيه فيكون مصدرًا لها.

ومن الألفاظ الأخرى الواردة: المسلك (مرة واحدة)^(٣). ينظر جدول إحصائي رقم (١٠) للوحدات الدلالية للسهل والوادي والطريق وما يتصل بها في نهج البلاغة - صفحة ٣٠٢.

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١٩٨) / ٣١٥.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٣ / ٣٥٨.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة (١٩١) / ٢٨٤.

المبحث الثالث

الجبال والصحراء وما يتصل بها

١- الجَبَل

(اسْمٌ لِكُلِّ وَتِدٍ مِنْ أوتادِ الأَرْضِ إِذا عَظُمَ وطالَ مِنْ الأَعلامِ والأَطوارِ والشَّناخِيبِ والأَنْضادِ إِذا صَغُرَ فهو مِنَ الأَكامِ والقِيرانِ)^(١).

(والجمعُ أَجْبُلٌ وأَجبالٌ وِجبالٌ وأَجْبَلُ القومُ صاروا إِلى الجَبَلِ وتَجَبَّلوا دَخَلوا فِي الجَبَلِ)^(٢).

وردت هذه اللفظة في النهج في ستة وعشرين موضعاً، منها بصيغة المفرد ثماني مرات وبصيغة الجمع ثماني عشرة مرة ووظف أغلبها للدلالة على اثبات قدرة الله سبحانه في الخلق.

قال عندما توفي سهل بن حنيف الأنصاري بالكوفة بعد مرجعه من صفين وكان أحب الناس إليه: «لَوْ أَحَبَّنِي جَبَلٌ لَتَهافتَ»^(٣).

يقول الرضي: (معنى ذلك أن المحنة تغلظ عليه فتسرع المصائب إليه ولا

(١) كتاب العين: (جبل): ٦ / ١٣٦.

(٢) لسان العرب: (جبل): ١١ / ٩٦.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة (١١) / ٤٨٨.

يُفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْأَتْقِيَاءِ الْأَبْرَارِ وَالْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلَيْسَتْ عِدَّةٌ لِلْفَقْرِ جَلْبَابًا». وَقَدْ يُؤْوَلُ ذَلِكَ عَلَى مَعْنَى آخَرَ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ^(١).

لَقَدْ طَرَّزَ نَهْجَ اسْمَاءِ أَصْحَابِ الْإِمَامِ ﷺ الْمَخْلَصِينَ لَهُ وَمَنْ بَيْنَهُمْ: هُمَامٌ حِينَمَا سَأَلَ الْإِمَامَ أَنْ يَصِفَ لَهُ الْمُتَّقِينَ وَكَانَ أَحَدُهُمْ^(٢) فَصَعَقَ وَمَاتَ بَعْدَ سَمَاعِهِ كَلَامَ الْإِمَامِ فَقَالَ الْإِمَامُ: «أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَهْكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا»^(٣).

وَكَذَلِكَ سَهْلُ الْأَنْصَارِيِّ الَّذِي أَحْبَبَهُ الْإِمَامُ ﷺ، فَقَالَ الْإِمَامُ ﷺ فِي مِحْنَةٍ فَقَدَهُ سَهْلٌ أَنَّهُ لَوْ أَحْبَبَنِي جَبَلٌ وَأَرَادَ التَّقَرُّبَ لَسَقَطَتْ أَجْزَاؤُهُ قِطْعَةً قِطْعَةً^(٤)، وَمَعْنَى ذَلِكَ الْإِخْلَاصُ لِلْإِمَامِ فِي تَهَافُتِ الْجَبَلِ كَمَا أَصْحَابُهُ يِقَاتِلُونَ دُونَهُ لِأَنَّهُ يَحْمِلُ بَيْنَ طَيَاتِهِ الْحَقِّ وَيَسِيرُ عَلَيْهِ وَيَأْمُرُ الْعَمَلَ بِهِ فَاخْتَارَ الْجَبَلُ دُونَ غَيْرِهِ لِصَلَابَتِهِ فِي الْإِسْتِعْدَادِ لِلْبَلَاءِ نَتِيجَةَ اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَالثَّبَاتِ فِي الْحَقِّ مَعَ عُلُوِّ الشَّأْنِ وَالذَّلِيلِ عَلَى مَا نَقَلَهُ الرَّضِيُّ مِنْ أَنَّ الْمَحَبَّ لآلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ أَنْ يَلْبَسَ الْفَقْرَ جَلْبَابًا لَهُ وَلَعَلَّ الْمُرَادَ كَشْفَ مَدَى الْبَلَاءِ الَّذِي تَعَرَّضَ لَهُ الْإِمَامُ ﷺ.

وَفِي سِيَاقٍ مُخْتَلَفٍ يُوَضِّفُ الْإِمَامُ ﷺ الْجَبَلَ فِي نَهْرِ أَحَدِهِمْ يَقُولُ: مَنْ كَتَابَ لَهُ ﷺ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى الْكُوفَةِ، وَقَدْ بَلَغَهُ عَنْهُ تَثْبِيْطُهُ النَّاسَ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَيْهِ لَمَّا نَدَبَهُمْ لِحَرْبِ أَصْحَابِ الْجَمَلِ: «وَلَكِنَّهَا

(١) م. ن.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٩٣) / ٣٠٣.

(٣) م. ن.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٥ / ٢٩٨.

الدَّاهِيَةُ الْكُبْرَى يُرَكَّبُ بِجَمَلِهَا وَيُدَلَّلُ صَعْبُهَا وَيُسَهَّلُ جَبَلُهَا فَأَعْقِلْ عَقْلَكَ
وَأْمَلِكْ أَمْرَكَ وَخُذْ نَصِيحَتَكَ وَحَظَّكَ فَإِنْ كَرِهْتَ فَتَنَحَّ إِلَى غَيْرِ رَحْبٍ وَلَا فِي
نَجَاةٍ»^(١).

بعد أن شرط الإمام عليه السلام شروطه على أبي موسى الأشعري^(٢)، وأقام حدوده لأن أبا موسى ثبَّط عزيمة الناس على الخروج لحرب الجمل^(٣)، ذكره بأن هذه الحرب الداهية الكبرى في عدم اتباع ما امرتك به وكان الإمام عليه السلام قد امره بالمبادرة والخروج ولا يجلس مكتوف الأيدي فلو قام بما أمره به ذلت له الصعاب وأصبح يصعد الجبل بسهولة.

فقال عليه السلام إن كرهت الأمر فمل جانباً ودع أمر الولاية لغيرك إن لم تكن كفاءً لها وأوضح له الأمر أن ما أمرك أن تقوم به ليس باليسير كما ان تصرفك ليس باليسير في حال امتناعك فدلّ السياق على بيان طاعة الإمام والامتثال للأوامر فتذلل صعاب الأمور.

٢- الصَّحْرَاءُ وَالْفَلَاةُ

(الصاد والحاء والراء أصلان: أحدهما البرَّاز من الأرض، والآخر لونٌ من الألوان).

(١) نهج البلاغة: الكتاب (٦٣) / ٤٥٣.

(٢) ذكر ابن أبي الحديد حول أبي موسى وما كان يقوله للناس: (أن أبا موسى كان يقول لأهل الكوفة - إن علياً إمام هدى ويبعته صحيحة - ألا إنه لا يجوز القتال معه لأهل القبلة - وهذا القول بعضه حق وبعضه باطل -). شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ٢٤٦ / ١٧.

(٣) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٤ / ٢٢٢.

فالأوّل الصَّحْرَاءُ: الفضاء من الأرض. ويقال أصحّر القَوْمُ، إذا برزُوا. ومن الباب قولُهُم: لقيته صَحْرَةَ بَحْرَةَ، إذا لم يكن بينك وبينه سِتْرٌ. والصُّحْرَةُ: الصَّحْرَاءُ.

والأصل الآخر: الصُّحْرَةُ، وهو لونٌ أبيضٌ مُشْرَبٌ حمرةً^(١).

اذن فالصحراء ذلك الفضاء الواسع، وردت في نهج البلاغة بالصيغة الفعلية (فعل أمر) ولم ترد هذه اللفظة بالصورة المعروفة عليها (صحراء).

قال الإمام من كتاب له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر لما بلغه توجده من عزله بالأشتر عن مصر، ثم توفي الأشتر في توجهه إلى هناك قبل وصوله إليها: «فَأَصْحِرْ لِعَدُوِّكَ وَأَمْضِ عَلَى بَصِيرَتِكَ وَشَمِّرْ لِحَرْبٍ مَنْ حَارَبَكَ وَادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ وَأَكْثِرِ الْاِسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ يَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ»^(٢).

بعد ذكر مالك الاشتر والترحم عليه، يوجه الإمام عليه السلام الخطاب إلى محمد أبي بكر بعدة توصيات لا بد له من ادائها ليحل العدل في الرعية، ومن جملة هذه التوصيات: قوله «فاصحر لعدوك» أي ابرز له واطهر غير متستر^(٣)؛ لأن الاستتار للعدو سيكون من باب الضعف.

لذا فورود هذه اللفظة وبهذه الصيغة فيها معانٍ كثيرة واختصار لألفاظ ودلّ السياق فيها على الظهور دون الاستتار حتى لا يشعر العدو بضعفه.

أمّا الفَلَاةُ، فقد ذكر ابن منظور (٧١١هـ): (الفَلَاةُ الْمَفَاةُ وَالْفَلَاةُ الْقَفْرُ

(١) معجم مقاييس اللغة: (صحرا): ٣ / ٣٣٣.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب (٥٣): ٤٤٢.

(٣) ينظر: بهج الصباغة: ٦١١ / ٨.

من الأرض لأنها فُليت عن كل خير أي فُطمت وعُزِلت وقيل هي التي لا ماء فيها... وقيل هي الصحراء الواسعة والجمع فَلَاً وفَلَوَاتٍ^(١).

تعد من الألفاظ المرادفة للصحراء؛ وردت هذه اللفظة في النهج في ثلاثة مواضع بصيغة الجمع^(٢)؛ يقول ﷺ من خطبة له وهي في بيان صفات المتقين وصفات الفاسقين والتنبيه إلى مكان العترة الطيبة والظن الخاطئ لبعض الناس: «عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ فَاسْتَشَعَرَ الْحُزْنَ وَتَجَلَّبَبَ الْخُوفَ فَرَزَّهَرَّ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ... مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ دَفَاعُ مُعْضَلَاتٍ دَلِيلُ فَلَواتٍ يَقُولُ فَيُفْهِمُهُمْ وَيَسْكُتُ فَيَسْلُمُ قَدْ أَخْلَصَ اللَّهُ فَاسْتَخْلَصَهُ»^(٣).

يذكر الإمام ﷺ بصفات المتقين وما يجب أن يكون عليه الإنسان، وفي طيات الخطبة أمورٌ جمّة وكثيرة لمن يريد الاهتداء إلى طاعة الله ومن بين الصفات التي ذكرها توظيفه للفظ من ألفاظ الطبيعة لمقصود معين واللفظ هو: الفلوات وتكون أوسع من الصحراء وإن كانت مرادفة لها.

إن عبارة (دَلِيلُ فَلَواتٍ) تبين أنّ الذي يريد كماالات روحية واكتساب التقوى أن يسعى لذلك فيكون كمن يعرف الفلاة مدركاً اتجاهاًتها يقول البحراني: (واستعار لفظ الفلوات لموارد السلوك وهي الأمور المعقولة، ووجه المشابهة أنّ الفلوات كما لا يهتدى لمسالكها إلاّ الأدلاء الذين اعتادوا

(١) لسان العرب: (فلا): ١٥٥ / ١٦١.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٨٧) / ١١ - ١١٩، الخطبة (١٩٨) / ٣١٢، الخطبة (٢٢٢) / ٣٤٢.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة (٨٧): ١١٨ - ١١٩.

سلوكها وضبطوا مراحلها ومنازلها حتى كان من لا قايد له منهم لا بد وأن يتيه فيها ويكون جهله بطرقها سببا لهلاكه كذلك الأمور المتصورة المعقولة^(١).
فدلّ السياق على كون الفلوات هي المعرفة بالأمور والإحاطة بها للسير بطريق الطاعة من خلال معرفة دليله.

ومن الألفاظ الأخرى الواردة مثل: الرابية (بصيغة الجمع مرة واحدة)^(٢) والمفازة (مرة واحدة)^(٣) والشناخيب (مرتان)^(٤).

ينظر جدول إحصائي رقم (١١) للوحدات الدلالية للجبال والصحراء وما يتصل بها في نهج البلاغة - صفحة ٣٠٣.

(١) شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٢ / ٢٩.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة (٩١) / ١٣٢.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة (١٩٢) / ٢٩٢.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (٩١) / ١٣٢، ١٣٥.

المبحث الرابع البحار وما يتصل بها

١- البَحْرُ

(البَحْرُ سُمِّيَ به لاستبحاره وهو انبساطه وسَعْتُهُ. وتقول: استَبَحَرَ في العلم وتَبَحَّرَ الراعي: وقع في رعي كثير)^(١) وكذلك البحر: (الماء الكثير مِلْحاً كان أو عَذْباً وهو خلاف البرِّ سمي بذلك لعمقه واتساعه قد غلب على الملح حتى قلَّ في العذب وجمعه أَبْحَرٌ وُبُحُورٌ وِبِحَارٌ)^(٢).

وردت هذه اللفظة في النهج في خمسة وعشرين موضعاً، منها بصيغة المفرد خمس عشرة مرة، وبصيغة الجمع عشر مرات.

من خطبة له عليه السلام ينبه على إحاطة علم الله بالجزئيات، ثم يحث على التقوى، ويبين فضل الإسلام والقرآن يقول: «ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُوراً لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ وَسِرَاجاً لَا يَجُوبُ تَوَقُّدُهُ وَبَحْراً لَا يُدْرِكُ قَعْرُهُ»^(٣).

أرسل الله سبحانه الرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين وأرسل النبي

(١) كتاب العين: (بحر): ٣ / ٢١٩.

(٢) لسان العرب: (بحر): ٤ / ٤١.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة (١٩٨) / ٣١٥.

محمدًا ﷺ هادياً ورحمة للأمة الإسلامية، وقد خصّه بالكتاب السماوي (القرآن) وقد استعار الإمام ألفاظاً ليعين للناس هذا الكتاب وبحسب افهامهم ومن جملة الاستعارات قوله: «وَبَحْرًا لَا يُدْرِكُ قَعْرُهُ» فضلاً عن كونه نوراً وسراجاً وشعاعاً فهو كالبحر الذي لا يستطيع أحد الوصول إلى فهمه الفهم الكامل والاحاطة بجميع جوانبه وذكر ابن ميثم^(١) أن استعارة البحر كان له مقصدان:

الأول: عمق أسراره بحيث لا يحيط بها الأفهام ولا تصل إلى أغوارها العقول كما لا يدرك الغائص قعر البحر العميق.

الثاني: كونه معدناً لجواهر العلوم النفيسة والفضائل كما أن البحر معدن للجواهر.

لذا مهما بلغ التعمق في القرآن الكريم لا يمكن الاحاطة بدرره ومكوناته، وكما قال الإمام (عليه السلام) من وصية لعبد الله بن العباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج:

«لَا تُخَاصِمُهُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوهِ تَقُولُ وَيَقُولُونَ... وَلَكِنْ حَاجِبُهُمْ بِالسُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصًا»^(٢).

فدلّ السياق على عظمة القرآن الكريم وعده كنزاً من الكنوز يحمل أسراراً وجواهر.

(١) شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٣ / ٤٥٨.

(٢) نهج البلاغة: الوصية: ٧٧ / ٤٦٥.

٢- المَوْج

(الميم والواو والجيم أصلٌ واحد يدلُّ على اضطرابٍ في الشيء. وماج الناسٌ يموجون، إذا اضطربوا. وماج أمرهم ومرج: اضطرب. والمَوْج: مَوْج البحر، سمِّي لاضطرابه)^(١).

وردت هذه اللفظة في نهج البلاغة في ثلاثة عشر موضعاً، منها بصيغة المفرد أربع مرات^(٢)، وبصيغة الجمع تسع مرات^(٣).

مرّ بنا في مقدمة الفصل حول التسميات الأخرى للسماء كالموج المكفوف، كما جاء الموج في باب الاستعارة ضمن السياق اللغوي للنص من خلال قول الإمام من خطبة له عليه السلام لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وخاطبه العباس وأبو سفيان بن حرب في أن يبایعا له بالخلافة: «أَيُّهَا النَّاسُ شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاةِ وَعَرَّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ وَضَعُوا تَبِجَانَ الْمَفَاخِرَةِ أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ أَوْ اسْتَسْلَمَ فَأَرَّاحَ»^(٤).

يبين هنا حرص الإمام عليه السلام في الحفاظ على الدين الإسلامي يشهد له بذلك ما جادت به قريحته من خطبٍ لم يأت أحد قبله أو بعده، فلطالما حذر من الفتن بين ثنایا خطبه مشبهاً تارة مستعيراً تارة أخرى أو مكنياً، وحتى مصرحاً لو أد نار الفتنة في محلها على نحو الحقيقة.

(١) معجم مقاييس اللغة: (موج): ٢٨٤ / ٥.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١) / ٤٠، الخطبة (١٦٤) / ٢٣٤، الكتاب (٣٢) / ٤٠٦.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٥) / ٥٢، الخطبة (٩١) / ١٣١، الخطبة (١٩٦) / ٣١٠، الخطبة (١٩٨) / ٣١٢، الحكمة (١٤٦) / ٤٩٥.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (٥) / ٥٢.

وفي هذه الخطبة بيان واضح في استعارة الأمواج للفتن فإنها تجيء وتذهب فأمرهم بإبطائها فالسفينة في البحر أمام الموج الذي يصل أحياناً بحجم الجبال في اضطرابه وحركته كذلك الفتن فإن حُلِّيَّ سبيلها اغرقت السفينة بمن فيها، ومن جمالية المفردة التي وظفها الإمام هو دلالة الفعل (شقوا) فلم يقل سيروا أو أي فعل مرادف؛ وأتت استعمال هذا الفعل ذا دلالة على المشقة والعمل الحثيث لإطفاء الفتنة.

فالبحر يهلك ويغرق وكذا الفتن اذا قامت كقيام البحر بأمواله^(١) فحذر الإمام عليه السلام من ذلك.

من الألفاظ الأخرى مثل: النهر: ورد النهر (مرة واحدة بصيغة المفرد)^(٢)، وخمس مرات بصيغة الجمع^(٣) بدلالات حقيقية) والجدول (مرتان بصيغة الجمع)^(٤).

ينظر جدول إحصائي رقم (١٢) للوحدات الدلالية للبحار وما يتصل بها في نهج البلاغة - صفحة ٣٠٤.

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ١ / ٢٧٧.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٣٦) / ٨٠.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٩١) / ١٣١، الخطبة (١٠٩) / ١٥٩، الخطبة (١٦٥) / ٢٣٩، الخطبة (١٩٢) / ٢٩٢، الكتاب (١١١) / ٣٧١.

(٤) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٩١) / ١٣١، الخطبة (١٩٢) / ٢٩٨.



الفصل الثاني

أثر السياق في الألفاظ الدالة على السماء

المبحث الأول: السماء والنجوم وما يتصل بها

المبحث الثاني: الهواء والأمطار وما يتصل بها

المبحث الثالث: النور والظلمة وما يتصل بها



توطئة

احتلت السماء مكانة بين ألفاظ الطبيعة، وكان ذلك نابعاً من اهتمام الإنسان والتفكير بها فلطالما اطال النظر فيها وقبله التفكير، ولا يخفى ما للسماء من أهمية في حياة الإنسان بما تمده من انواء جوية او بوصفها من المصادر التي تحمل مكونات لها تأثير مباشر على الأرض.

وردت هذه اللفظة في المعاجم اللغوية بدلالات متعددة ذكر الخليل (ت ١٧٥هـ): (سما الشيء يَسْمُو سُمُوًّا أي ارتفع وسما إليه بصري أي ارتفع بَصْرُكَ إليه وإذا رُفِعَ لك شيءٌ من بعيدٍ فاستبنته قلت سما لي شيءٌ... والسماء سقف كل شيء وكل بيت والسماء المطر الجائد يقال أصابتهم سماء وثلاث أسمية والجميعُ سُمِيٌّ والسموات السبعُ أطباق الأرضين والجميعُ السماء والسموات)^(١).

يقول ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) (السين والميم والواو اصل يدل على العلو)^(٢)، و(السماء يذكر ويؤنث أيضاً، ويجمع على أَسْمِيَّةٍ وسموات. والسماء: كلُّ ما علاك فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت: سماءٌ. والسماء: المطر، يقال: ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم. قال الشاعر:

(١) كتاب العين: (سمو): ٣١٩ / ٧.

(٢) معجم مقاييس اللغة: (سمو): ٩٨ / ٣.

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا
وَيَجْمَعُ عَلَى أَسْمِيَّةٍ وَسُمِّيٍّ^(١).

ورد ذكرها في القرآن الكريم إلى جنب الأرض فهي لا تكاد تنفك عنها بصيغة (السموات والأرض) الأكثر وروداً في القرآن مع اختلاف التقديم والتأخير بينهما بحسب ما يقتضي المقام والسياق، وقد وردت بصيغتي المفرد والجمع؛ أمّا في تذكيرها وتأنيثها، فيقول ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ): (السماءُ التي تُظَلُّ الأَرْضُ تذكّر وتؤنث والتذكير قليل)^(٢)، فمثال التأنيث قوله (تبارك وتعالى): ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾^(٣)، ومثال التذكير قول الله (عز وجل): ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾^(٤).

ولم يقتصر ذكر السماء في القرآن الكريم فحسب؛ بل شمل ذلك جميع ما فيها من: أفلاك، وكواكب، ونجوم، وغيوم وما إلى ذلك؛ فضلاً عن الظواهر الطبيعية التي تنتجها على الأرض.

والملاحظ أنّ السماء وردت بعدة أسماء عند العرب منها:

١. الجرباء: ذكر ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) في المخصص: (والجرباء السَّمَاءُ وقيل هي سماء الدنيا)^(٥) وقد علل سبب التسمية ما نقله عن أبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ): (قال الفارسي: وإنما سُمِّيتْ جَرْبَاءَ تشبيهاً بالجرباء من الأبل

(١) الصحاح: (سما): ١ / ٣٣٢.

(٢) المخصص: ٤ / ٢١٩.

(٣) الانفطار: ١.

(٤) المزمّل: ١٨.

(٥) المخصص: ٤ / ١١٣.

لأن الكواكب تظهر فيها كظهور الجرب بالجرباء^(١).

٢. الخلقاء: لكونها ملساء؛ (الخلقاء: السماء، لملاستها واستوائها)^(٢).

٣. برقع: (قال الليث: البرقع: اسم السماء الرابعة. قلت: وهكذا قال غيره)^(٣) قال رسول الله ﷺ لسعد بن معاذ: «لقد حكمت بحكم الله عز وجل من فوق سبعة أرقعة»^(٤)، فجمع البرقع أرقعة لترقعها بالأنوار التي فيها^(٥). وكذلك الخضراء والعلياء^(٦) وغيرها من الاسماء الأخرى.

أما فيما يخص اسماء السماء الواردة في القرآن الكريم فهي كالآتي:

١. السماء: وردت بلفظها الذي هو سماء وهو الاسم الذي صار دالاً عليها في التسمية.

٢. السقف: قال تعالى: ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾^(٧).

٣. طرائق: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾^(٨) قال: (سبع سموات لأنها طورق بعضها فوق بعض)^(٩).

(١) م. ن.

(٢) تاج العروس: (خلق): ٢٥ / ٢٦٤.

(٣) تهذيب اللغة: (برقع): ١ / ٤١١.

(٤) المغازي: الواقدي: ١ / ٢٠٣.

(٥) ينظر: إيضاح شواهد الإيضاح: القيسي: ١ / ٢٥٢.

(٦) ينظر: المخصص: ٣ / ٢٢٩، ٤ / ١٤١.

(٧) الطور: ٥، وينظر: غريب القرآن: ابن قتيبة: ١ / ٣٦٦.

(٨) المؤمنون: ١٧.

(٩) الكليات: ١ / ٩١٦.

ولا تختلف السنة النبوية كثيراً في تناولها السماء عما جاء في القرآن الكريم، بل كانت في الأغلب مفسرة ومبينة وموضحة لما جاء في القرآن، وما نراه من الرسول ﷺ الاعظم لفيه بيان عظيم حول وصفه للسماء والسبع سموات، وغيرها؛ فلا يخفى على لبيب (الاسراء والمعراج)^(١) خصه الله (سبحانه وتعالى) رسوله الكريم ﷺ على الرغم من الاختلاف به من الذي قال بالإسراء الروحي أو الجسدي^(٢).

وكذلك قول الرسول ﷺ في وصفه السماء بالنسبة للأرض: «أخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾^(٣) قال: بناء السماء على الأرض كهيئة القبة وهي سقف على الأرض»^(٤)، فهنا تظهر السماء كالقبة على الأرض في هيأتها.

لقد كان اعتقاد العرب في الجاهلية سائداً بأن الكسوف للشمس أو الخسوف للقمر لا يحصلان إلا بموت أحدهم، فقد قيل كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ النَّاسُ كَسَفَتِ الشَّمْسُ لِمُوتِ إِبْرَاهِيمَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمُوتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ فَصَلُّوا وَادْعُوا اللَّهَ»^(٥).

(١) ينظر: صحيح البخاري: ٦ / ٢٧٣٠.

(٢) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب: ٩ / ٤٩٨ - ٤٩٩.

(٣) البقرة: ٢٢.

(٤) ينظر: الدر المنثور: السيوطي: ١ / ٤٣، وتفسير ابن أبي حاتم: ابن أبي حاتم الرازي:

٥٦ / ١.

(٥) صحيح البخاري: ٤ / ٢٥٢.

ومن تسميات الرسول ﷺ للسماء الموج المكفوف؛ روي عن ابن عباس: «قال رجل: يا رسول الله ما هذه السماء؟ قال: هذه موج مكفوف عنكم»^(١).

وقد قابل التسمية هذه الإمام علي عليه السلام في النهج بقوله من خطبة في ابتداء خلق السموات والأرض: «فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجًا مَكْفُوفًا وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَسَمَكًا مَرْفُوعًا بَغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعُمُهَا»^(٢).

فقد ذهب ابن أبي الحديد إلى أن الموج هو السماء الدنيا بقوله: (إن السماء الدنيا موج مكفوف - بخلاف السموات الفوقانية - وهذا أيضا قول قد ذهب إليه قوم - واستدلوا عليه بما نشاهده - من حركة الكواكب المتحيرة - وارتعادها في مرأى العين واضطرابها)^(٣)، والمؤكد أن هذا من باب الاستعارة قال ابن ميثم: (واستعار لفظ الموج للسماء ملاحظة للمشابهة بينهما في العلو واللون، ومكفوفاً ممنوعاً من السقوط)^(٤).

وورد ذكر السماء في القرآن الكريم بمعنى (المطر) قال تعالى من سورة الإنعام الآية: ٦ ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُنْمِكُنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ يقول أبو عبيدة: (مجاز السماء ها هنا مجاز المطر، يقال: ما زلنا في سماء، أي في مطر، وما زلنا نطأ السماء، أي أثر المطر، وأنى أخذتكم هذه السماء؟ ومجاز «أرسلنا»: أنزلنا وأمطرنا «مِدْرَارًا» أي غزيرة دائمة)^(٥).

(١) الدر المنثور: ١ / ٦٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة (١) / ٤١.

(٣) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١ / ٨٥.

(٤) اختيار مصباح السالكين: ٦٧.

(٥) مجاز القرآن: أبو عبيدة: ١ / ٣٥.

كما دلّت السماء في سياق النص في النهج على المطر قال من خطبة له في الكوفة جاء فيها: «وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُرْبِلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ وَإِنْ هَطَّ السَّمَاءُ»^(١) انهطال السماء: أي تتابع الأمطار وانصباها^(٢) فهو يعلم كل شيء من سقوط ورقة أو نزول قطرة مطر.

واقتبس من القرآن الكريم^(٣) فقد استعار البكاء للسماء والأرض في سياق ذم من جعل الدنيا أكبر همه، وغالباً ما نجد هذا يتكرر في كلام العرب؛ نقل صاحب مجمع البحرين: (وبكت السماء إذا أمطرت، ومنه بكت السحابة)^(٤).

قال ﷺ من خطبة له يحمد الله ويشني على نبيه ويوصي بالزهد والتقوى: «هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ وَمَضَّتِ الدُّنْيَا لِحَالِ بَالِهَا فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ»^(٥).

قال ابن أبي الحديد موضحاً المجاز هنا: (والمراد أهل السماء وهم الملائكة وأهل الأرض وهم البشر - والمعنى أنهم لا يستحقون أن يتأسف عليهم وقيل أراد المبالغة في تحقير شأنهم - لأن العرب كانت تقول في العظيم القدر يموت - بكته السماء وبكته النجوم)^(٦).

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١٨٢) / ٢٦١.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١٠ / ٨٦.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٤ / ٢٣١.

(٤) مجمع البحرين: الطريحي: ١ / ٢٢٤.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة (٩١): ٢٨٥.

(٦) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١٣ / ١٢٦.

المبحث الأول

السماء والنجوم وما يتصل بها

١- السَّقْف - الجَو المَكْفُوف - أَطْبَاق السَّمَاء

من الأسماء الواردة في النهج والألفاظ الدالة عليها:

أ- السَّقْف

(عماد البيتِ والسماءُ سَقْفٌ فوق الأرض) ^(١) والجمع (سُقُفٌ وسُقُوفًا) ^(٢).

اذن هو اسم للسماء لأنه يشترك معها في دلالة العلو والارتفاع عن الأرض.

ب- الجَو المَكْفُوف

الجو (الهواء.. وفي حديث علي رضوان الله عليه ثم فَتَقَ الأَجْوَاءَ وَشَقَّ الأَرَجَاءَ جمع جَوٍّ وهو ما بين السماء والأرض وجَوُّ السماء الهواء الذي بين السماء والأرض الجمع جَوَاءً) ^(٣).

(١) كتاب العين: (سقف): ٨١ / ٥.

(٢) لسان العرب: (سقف): ١٥٥ / ٩.

(٣) ينظر: كتاب العين: ٦ / ١٩٦، لسان العرب (جوا): ١٥٧ / ١٤.

أما المكفوف فقد ذكر ابن فارس (٣٩٥): (الكاف والفاء أصل صحيح يدل على قبض وانقباض. من ذلك الكَفُّ للإنسان، سميت بذلك لأنها تقبض الشيء... كان الأصمعي يقول: كل ما استطال فهو كُفَّة بضم الكاف نحو كُفَّة الثوب ونحوه وهو حاشيته، وإنما كُفَّة لأنها مكفوفة، وكذلك كُفَّة الرمل. قال: وكل ما استدار فهو كُفَّة، نحو كُفَّة الميزان وكُفَّة الصائد)^(١).

وردت هذه لفظة السقف في النهج أربع مرات^(٢)، أما لفظة الجو المكفوف فقد وردت مرة واحدة، وقد جمعا في سياق واحد من كلام له ﷺ لما عزم على لقاء القوم بصفين: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ المَرْفُوعِ والجَوِّ المَكْفُوفِ الَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً لِلَّيْلِ والنَّهَارِ وَمَجْرَى لِلشَّمْسِ والقَمَرِ وَمُخْتَلِفاً لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ، وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً مِنْ مَلَائِكَتِكَ لَا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ»^(٣).

فكما ذكر في مقدمة هذا الفصل بورود أسماء متنوعة للسما عند العرب وفي القرآن الكريم، فإن اللفظ المشترك بين القرآن والنهج هو السقف، فقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾^(٤).

والإمام ﷺ قد استعمل اللفظة من القرآن مخاطباً ربه بأسلوب الدعاء وفي ذلك جانب روعي في لقاء العبد بربه ودعوته بألفاظ فيها براعة وفطنة فضلاً عن حسن الاختيار بمناسبة المقام، ويبدو بما يتصور من النص أن هذا الدعاء وبهذه الصيغة هو دعاء خاص يقابله دعاء عام كقولنا (اللهم رب

(١) معجم مقاييس اللغة: (كف): ٥ / ١٢٩ - ١٣٠.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١) / ٤٠ - ٤٣، كلامه (١٧١) / ٢٤٥.

(٣) نهج البلاغة: كلامه (١٧١) / ٢٤٥.

(٤) الأنبياء: ٣٢.

السموات والأرض) للموقف الذي وقفه الإمام في حرب صفين.

وقد اختلف في الجو المكفوف من قبل شارحي النهج على النحو الآتي:

١. السماء: إلى ذلك ذهب الراوندي واحتج بأن جميع ما ذكره الإمام يمثل السماء قال: (الاطهر أن جميع ذلك عبارة عن السماء، لانه قال «وجعلت سكانه سبطاً» أي جماعة من الملائكة، و«السبط»: الامة)^(١) وكذلك ابن أبي الحديد وابن ميثم^(٢).

٢. الهواء: ذكر النيسابوري في شرحه أن الجو المكفوف هو الهواء المحدود؛ قال: (الهواء المحدود «الذي ينتهي حده إلى السماء»، والجو ما بين السماء والأرض كأنه كف أي منع من تجاوز حديه)^(٣) وإلى ذلك ذهب المجلسي في شرحه^(٤).

٣. الفضاء: وإلى ذلك ذهب كل من: الخوئي معللاً جوابه بعدم ذهاب أرباب المعاجم إلى أنه بمعنى السماء وما ذهب إليه المعتزلي وابن ميثم بأنه السماء، فهذا من باب المجاز لا الحقيقية^(٥) ومن الشراح أيضاً من ذهب لذلك وهو الموسوي في شرحه^(٦).

٤. الفلك: نقل كل من النيسابوري والمجلسي في شرحيهما قولاً لابي

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (الراوندي): ٢ / ١٥٦.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ٩ / ٣٠١، شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٣ / ٣٢٨.

(٣) حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة: ٢ / ٦٣.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (المجلسي): ٢ / ١٥٥.

(٥) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (الخوئي): ١٠ / ١٢٢.

(٦) شرح نهج البلاغة (السيد عباس الموسوي): ٣ / ١١٠.

عمرو الابيوردي يذكر بأن الجو المكفوف هو الفلك^(١) وكذلك نقل الرواندي أنه في الناس من يقول الفلك الدوار^(٢).

ومع هذا العرض المتضمن تكرار لفظ الساء والأساء الدالة عليه بلفظين مختلفين دلّ على كونه بمعنى الساء لاشتغاله على معنى الكف والسبط ضمن سياق النص.

أما ذكره بأن الساء على أطباق فهذا دلالة على أنه لا يوجد ساء واحدة كما اعتقدت العرب في الجاهلية^(٣)، والطبق: (كُلُّ غِطَاءٍ لَازِمٌ وَيُقَالُ: أَطْبَقْتُ الْحَقَّةَ وَشَبَّهَهَا... وَالسَّائَاتُ طِبَاقٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ الْوَاحِدَةُ طَبَقَةٌ وَيُذَكَّرُ فَيُقَالُ: طَبَّقَ وَاحِدًا وَطَبَّقَةُ: الْحَالُ)^(٤).

يقول ومن خطبة له ﷺ في عجب صنعة الكون: «وَكَانَ مِنْ اقْتِدَارِ جَبْرُوتِهِ وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الرَّاحِرِ الْمُتْرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ يَيْسًا جَامِدًا ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقًا فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَآوَاتٍ بَعْدَ ارْتِفَاقِهَا فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ وَقَامَتْ عَلَى حَدِّهِ وَأَرْسَى أَرْضًا يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ»^(٥).

ذكر الله (عز وجل) آيات مشتملة على خلق السماء الأولى والفتق لها وللأرض، قال تعالى في محكم كتابه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ

(١) ينظر: حقائق الحقائق في شرح نهج البلاغة: ٢ / ٦٣، شرح نهج البلاغة (المجلسي): ٢ /

١٥٦.

(٢) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (الرواندي) ٢ / ١٥٦.

(٣) ينظر: التكون التاريخي لاصطلاحات البيئة الطبيعية والفلك: د. يحيى جبر: ٣٩.

(٤) كتاب العين: (طبق): ٥ / ١٠٨.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة (٢٢١) / ٣٢٨.

وَالْأَرْضُ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴿١﴾ ففي سياق الآية بيان للذين كفروا من قدرة الله سبحانه وتعالى على الخلق وهو القادر على كل شيء بصيغة الاستفهام وفي مسألة الرتق والفتق آراء للمفسرين مختلفة^(٢).

فما معنى الرتق والفتق: عرّف الرتق بأنه: (إلحامُ الفُتق وإصلاحه يقال: رَتَّقْتُ فَتَقَهُ حتى ارتتَقَ... كانت السموات رَتْقًا لا ينزل منها رَجْعٌ وكانت الأرض رَتْقًا ليس فيها صَدْعٌ ففتقها الله تعالى بالماء والنبات رِزْقًا للعباد قال الفراء فُتِقت السماء بالقطر والأرض بالنبت)^(٣).

أمّا الفتق فإنه: (الفتق خلاف الرتق فَتَقَهُ يَفْتُقُهُ وَيَفْتُقُهُ فَتَقًا شَقَهُ)^(٤) ومن هنا يتبين شق السماء وإنزال المطر والارض وإخراج النبات للعباد وقد أشار الإمام عليه السلام إلى ذلك بشيء من التفصيل، فذكر في اثبات قدرة الله على الخلق حيث خلق السموات والأرض من الماء وجعلها سبع سموات من الأطباق التي كانت ملتحمة ففتقها فكانت مطيعة لأمره بإخضاعها لقوانين الأرض^(٥).

ومن هنا يبين الإمام قدرة الله عز وجل في فصل طبقات السماء وكذلك الأرض.

(١) الانبياء: ٣٠.

(٢) ذكرها الشنقيطي في تفسيره: أضواء البيان في تفسير القرآن: ٤ / ٢١٥.

(٣) كتاب العين: (رتق): ٥ / ١٢٦، لسان العرب: (رتق): ١٠ / ١١٤.

(٤) لسان العرب: (فتق): ١٠ / ٢٩٦.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١١ / ٥٢، شرح نهج البلاغة (السيد عباس

الموسوي) ٣ / ٤٧٤.

٢- الشمس

(الشين والميم والسين أصل يدل على تلونٍ وقلة استقرار. فالشمس معروفة، وسميت بذلك لأنها غير مستقرة، هي أبداً متحركة. وقُرئ: ﴿والشمس تجري لا مُستقرّ لها﴾^(١) والشموس من الدواب: الذي لا يكاد يستقر... والجمع شُمس)^(٢).

وردت هذه اللفظة في سبعة عشر موضعاً بصيغة المفرد خمس عشرة مرة^(٣)، وبصيغة الجمع مرة واحدة^(٤).

فقد ذُكرت هذه اللفظة في نهج البلاغة منفردة كما أنها جاءت مقترنة بالقمر ومقدمة عليه، وقد ذكرت ضمن سياق تحديد الزمن.

أ- تحديد زمن استمرار القتال: من كتاب لأخيه عقيل يخبره عندما أنفذ الجيش إلى بعض أعدائه: (فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ شَمَّرَ هَارِبًا وَنَكَصَ نَادِمًا فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ وَقَدْ طَفَلَتِ الشَّمْسُ لِلإِيَابِ...)^(٥)، ويراد بتطفيل الشمس: (ميلها للغروب... والطفل بالتحريك: بعد العصر، إذا طَفَلَتِ الشمس للغروب)^(٦).

(١) يس: ٣٨.

(٢) معجم مقاييس اللغة: (شمس): ٣ / ٢١٢ - ٢١٣.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٨٧) / ١١٨، الخطبة (٩٠) / ١٢٢، الخطبة (٩١) /

١٢٧، الخطبة (١٥٥) / ٢١٧، الخطبة (١٦٣) / ٢٣٢، الخطبة (١٨٥) / ٢٧١، الخطبة

(٢٢٣) / ٣٤٤، الكتاب (٣٦) / ٤٠٩، الكتاب (٥٢) / ٤٢٦، كلامه (١٧١) / ٢٤٥،

الحكمة (٢٩٤) / ٥٢٧.

(٤) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٦٥) / ٢٣٦.

(٥) نهج البلاغة: الكتاب (٣٦) / ٤٠٩.

(٦) الصحاح: (طفل): ١ / ٤٢٦.

فهنا يجبر الإمام عليه السلام أن في وقت القتال مالت الشمس للغروب، وقد كان هذا الاستعمال للفظ سائداً عند العرب آنذاك في اعتقاد العرب بأن للشمس منزلاً تأوي إليه كما الناس فهنا ميلانها يكون للغروب والرجوع إلى ما كانت عليه في الليلة السابقة وليس الزوال^(١) فهنا خاطب الإمام عليه السلام على قدر فهم العرب وافهامهم ويتضح دلالة تحديد الزمن بوساطة الأجرام السماوية.

ب- تحديد وقت صلاة العصر: كما جاء تحديد الزمن في موضع يحدد فيه الإمام عليه السلام وقت الصلاة؛ من كتاب له عليه السلام إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة:

«أَمَّا بَعْدُ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حَتَّى تَقِيَّءَ الشَّمْسُ مِنْ مَرْبِضِ العِزِّ وَصَلُّوا بِهِمُ العَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيضاء حَيَّةً فِي عُضْوٍ مِنَ النَّهَارِ»^(٢).

وصف الشمس بأنها بيضاء حية في تحديد وقت صلاة العصر ودلالة كونها بيضاء أي أنها لا يكون فيها اصفرار لأن اصفرارها دليل على ميلانها للمغرب هذا من جهة ومن جهة أخرى ذكر بكونها حية أي ظاهرة لا مختفية وفي هذا استعارة^(٣).

ووردت الشمس بلفظ آخر مرادف لها وهو السراج قال الإمام عليه السلام:

«وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً وَقَمَراً مُنيراً»^(٤).

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١٦ / ١٤٩.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب (٥٢) / ٤٢٦.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٥ / ١٣٣.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (١) / ٤١.

٣- الفلك والرقيم

(الفلك: فلك السماء سُمِّيَ لاستِدَارَتِهِ، وَاِحْدَتْهُ فَلَكَةٌ. وقيل: الفلك جمعٌ وَاِحْدَتْهُ فَلَكَةٌ وَهِيَ مَجْرَى النُّجُومِ. والفلك: السفينة، يُدَكَّرُ وَيؤنَّثُ. ويكونُ جَمْعاً للسُّفُنِ. ويُجمَعُ على الفُلُوكِ أيضاً.

ويقال للموج إذا اضطرب وجاء وذهب: فلك^(١).

وردت هذه اللفظة في ثلاثة مواضع بصيغة الجمع^(٢).

جاء ذكر الفلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٣).

فلمدار الذي تظهر فيه الاجرام السماوية للأرض مع تعاقب الليل والنهار هو الفلك؛ لذا قال الإمام: «فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ... ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكُوَاكِبِ وَضِيَاءِ الثَّوَابِقِ وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً وَقَمَراً مُنِيراً فِي فَلَكٍ دَائِرٍ وَسَقْفٍ سَائِرٍ وَرَقِيمٍ مَائِرٍ»^(٤).

لقد كان لوصف الطبيعة محوراً متميزاً في نهج البلاغة فضلاً عن الأوصاف الأخرى، وفي بعض الأحيان يأخذ هذا الوصف جانباً تفسيرياً للكون الذي يحيط الأرض من كل جانب.

لقد وقف الإمام عليه السلام أمام هذا الكون متأملاً وبها جاء به من العلم مفسراً، فقد ذكر ثلاث صفات مختلفة «فلك دائر، وسقف سائر، ورقيم مائر» وقد

(١) المحيط في اللغة: (فلك): ٥١ / ٢.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١) / ٤١، الخطبة (٩١) / ١٢٧، الخطبة (٢٢٤) / ٣٤٦.

(٣) الأنبياء: ٣٣.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (١) / ٤١.

خص الله سبحانه وتعالى كل واحد بخصائص معينة فقول الإمام (فلك دائر) أي: (أي يدور، والمراد بالفلك المدار الذي يدور فيه الشمس والقمر، وكونه دائرا اما باعتبار ما حمل فيه - بعلاقة الحال والمحل - او باعتبار ما يستصحب هذين الجرمين من الهواء والغاز لدى الحركة)^(١) وهنا يعطي دلالة السياق بما جاء به القرآن الكريم.

والسقف السائر المقصود به: (السماء)^(٢)؛ أمّا الرقيم فهو: (استعارة أصلية للفلك تشبيها له باللوح المرقوم فيه ثمّ كثر استعمال هذا اللفظ في الفلك حتى صار اسما من أسمائه، سمي الفلك رقيما تشبيها باللوح لأنه مسطح والمائر المتحرك)^(٣) فقد تحول سياق دلالة الرقيم من اللوح المحفوظ إلى دلالاته على الفلك.

٤- الكوكب والنجم

الكوكبُ: (النجم ويسمى الثور كوكبا يشبه بكوكب السماء والبياض في السماء يسمى كوكبا والكوكب: القطرات التي تقع بالليل على الحشيش قال الأعشى

يُضاحِكُ الشَّمْسُ منها كوكبٌ شَرِقُ مُؤَزَّرٌ بَعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلٌ^(٤) (٥)

(١) توضيح نهج البلاغة: ١ / ٢٤.

(٢) توضيح نهج البلاغة: ١ / ٢٤.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١ / ٨٩، شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ١ / ١٤٩.

(٤) ديوان الأعشى: ٤٨ / ١.

(٥) كتاب العين: (كوكب): ٥ / ٤٣٣.

أما النجم فيقال: (نَجَمَ الشيءَ يَنْجُمُ بالضم نُجوماً: ظهر وطلع. يقال: نَجَمَ السِّنُّ، والقَرْنُ، والنَّبْتُ، ونَجَمَ الخارجيُّ. ونَجَمَتِ نَاجِمَةٌ بموضع كذا، أي نَبَعَتْ... والنَجْمُ: الوقت المضروب، ومنه سَمِّيَ المُنْجَمُ. ويقال: نَجَمْتُ المال، إذا أدَيْتَهُ نُجوماً.

والنَجْمُ: الكوكبُ. والنَجْمُ: الثريا، وهو اسمٌ لها علم، مثل زيدٍ وعمرو. فإذا قالوا: طلعَ النَجْمُ، يريدون الثريا. وإن أخرجت منه الألف واللام تنكَّر. والنَجْمَةُ: ضربٌ من النبات^(١).

يتضح من التعريف اللغوي أنَّ كلاً منهما مرادف للآخر، فالكوكب ورد في تعريفه اللغوي أنه: نجم، والنجم: كوكب؛ ولكن ثمة فروق بينهما^(٢)، وهي كالآتي:

أ- يطلق لفظ الكوكب على كبير النجوم ولا يطلق على صغيرها؛ بينما يطلق لفظ النجم على الصغير والكبير معاً؛ يقال كوكب كل شيء: أي معظمه.

ب- الكواكب ثابتة لا تزول والنجوم تطلع وتغرب ولذا قيل فيه كوكب من ذهب وكوكب من فضة وكما قيل في لفظ المنجم منجم لأنه ينظر فيما يطلع منه وليس كوكباً؛ كما ينظر ثبوت ظهور الكواكب في وقتنا الحاضر مثل (الزهرة وعطارد وغيرها) وظهور نجوم وزوالها واختفاؤها.

فالملاحظ من خلال الفروق بينهما أن كل كوكب نجم وليس كل نجم

(١) الصحاح: (نجم): ٢ / ١٩٥.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية: ١ / ٣١٤.

كوكب، وإن الكواكب ثابتة لا تزول والنجوم تزول.

(وقد لاحظ العرب أن النجوم لا تبدو نهاراً، وذلك لتلاشي ضوءها في ضوء الشمس، ولذلك كانوا يجعلون إدراك الممتنع كإبصار النجم ظهراً، قال طرفة:

إِنْ تُنَوِّلُهُ فَقَدْ تَمَنَعَهُ وَتُرِيهِ النَّجْمَ يَجْرِي بِالظُّهْرِ)^(١)

وقد وردت لفظة الكوكب في أربعة مواضع، وردت بصيغة المفرد مرة واحدة^(٢) وبصيغة الجمع ثلاث مرات^(٣).

من كلام له لما مرّ بطلحة بن عبد الله وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد^(٤) وهما قتيلان يوم الجمل: «لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْمَكَانِ غَرِيباً أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ فُرَيْشٌ قَتَلَتْ تَحْتَ بَطُونِ الْكَوَاكِبِ»^(٥).

مرّ الإمام عليه السلام على القتلى ومنهم أبو محمد وهو (طلحة) وقد كره المنظر الذي رآه فيه فجاء بالطف تعبير عن الرؤية التي رآها عليه قال: «تحت بطون الكواكب» والعرب تميز استقبال وجه السماء والكواكب بطناً أو ظهرأ^(٦)،

(١) التكون التاريخي لاصطلاحات البيئة الطبيعية والفلك: ٣٥.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٠٦) / ١٥٤.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١) / ٤٠، الخطبة (٩١) / ١٢٧، الخطبة (٢١٩) / ٣٣٧.

(٤) فصل ابن أبي الحديد سيرته في شرحه: ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١١ / ١٢٣.

(٥) نهج البلاغة: كلامه (٢١٩) / ٣٣٧.

(٦) ينظر: لسان العرب: (بطن): ١٣ / ٥٢، وكذلك نقل ابن الانباري في كتاب الأضداد -البطانة والظهارة- ١ / ٣٤٢. عن الفراء قول على لسان ابن الزبير وقد عاب قتلة عثمان: (خرجوا عليه كاللصوص من وراء القرية، فقتلهم الله كل قتلة، ونجا من نجا

لذا نجد في هذا (كناية لطيفة عن الفلوات)^(١)، والإمام كره هذا المنظر الذي رآه فيه حيث لا ظل ولا غيره فالإمام لم يصرح بالفلاة وإنما ذكر بطون الكواكب للدلالة على ذلك.

أمّا لفظة النجم، فقد وردت في تسعة مواضع، وردت أربع مرات بصيغة المفرد^(٢)، وخمس مرات بصيغة الجمع^(٣).

ومن التعريف اللغوي للنجوم وردت بمعنيين:

الأول: النجوم بمعنى: الظهور تم التعرض لذلك في الفصل الثاني لفظة (الماعز) في قول الإمام عليه السلام للبرج بن مسهر: «حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمَتْ نُجُومٌ قَرْنَ الْمَاعِزِ»^(٤).

وكذلك قوله عليه السلام لما قتل الخوارج ف قيل له يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم: «كَلَا وَاللَّهِ إِنَّهُمْ نُظِفُّ فِي أَصْلَابِ الرَّجَالِ وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلَابِينَ»^(٥).

الثاني: النجوم بمعنى: الكواكب؛ قال عليه السلام من خطبة له في رسول الله

منهم تحت بطون الكواكب، يريد: هربوا ليلاً. قَالَ الْفَرَّاءُ: فقد يكون البطن ظهراً، والظَّهْرُ بطناً على ما أخبرتك).

(١) شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٥٢ / ٤.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٤٨) / ٨٧، الخطبة (١٠٠) / ١٤٥، الخطبة (١٢٦) / ١٨٣، الكتاب (١٨) / ٣٧٥.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٧٩) / ١٠٥، كلامه (١٧١) / ٢٤٥، الخطبة (١٧٨) / ٢٥٦، الخطبة (١٥١) / ٢١٠، الخطبة (١٨٢) / ٢٦٠.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (١٨٤) / ٢٦٨.

(٥) نهج البلاغة: كلامه (٦٠) / ٩٣ - ٩٤.

وأهل بيته: «أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ فَكَانَتْكُمْ قَدْ تَكَامَلْتُمْ مِنَ اللَّهِ فِيكُمْ الصَّنَائِعُ وَأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ»^(١).

لم يسלט التاريخ الضوء على آل محمد كما أشار إليهم الإمام عليه السلام؛ إذ مثل الإمام بآل محمد تمثيلاً تشبيهاً في مشابهمهم بنجوم السماء في دليل السالك للانتفاع منها وما ذكره شارحو النهج من دلالة الفعل (خَوَى) بمعنى: مال للمغيب أو سقط^(٢) فكلما غاب نجم أو كاد ظهر نجم آخر فينتفع الناس من وجودهم كونهم ينتمون إلى الذي قال فيه الله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣).

ووردت ألفاظ أخرى: كالشهاب (مرة واحدة)^(٤)، والقمر (ثاني مرات)^(٥)، كانت لها دلالة حقيقة وهو الجرم السماوي، ينظر جدول إحصائي رقم (١٣) للوحدات الدلالية للبحار وما يتصل بها في نهج البلاغة - صفحة ٣٠٤.

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١٠٠) / ١٤٥.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) / ٧ / ٩٥، شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) / ٣ / ٦.

(٣) القلم: ٤.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (٩٤) / ١٣٩.

(٥) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١) / ٤٠، الخطبة (٩٠) / ١٢٢، الخطبة (٩١) / ١٢٧،

الخطبة (١٦٠) / ٢٢٧، الخطبة (١٦٣) / ٢٣٢، الخطبة (١٧١) / ٢٤٥، الخطبة

(١٨٢) / ٢٦٠، الخطبة (١٨٥) / ٢٧١.

المبحث الثاني الأمطار والأهوية وما يتصل بها

١- الأمطار

وتضمُّ كلاً من:

أ- القَطْر

(القَطْر والقَطْرَانُ مصدرُ قَطَرَ الماءُ)^(١)، و(والقِطَارُ جمعُ قَطِرٍ وهو المطر والقَطْرُ ما قَطَرَ من الماء وغيره واحدته قَطْرَةٌ والجمع قِطَارٌ وسحابٌ قَطُورٌ ومِطَارٌ كثير القَطْرِ حكاهما الفارسي عن ثعلب وأرض مَقْطورة أصابها القَطْرُ واستَقَطَرَ الشيءَ رَامَ قَطْرَانَهُ)^(٢).

وردت هذه اللفظة في النهج في خمسة مواضع، بصيغة المفرد مرة واحدة^(٣)، وأربع مرات بصيغة الجمع^(٤).

(١) كتاب العين: (قطر): ٩٥ / ٥.

(٢) لسان العرب: (قطر): ١٠٥ / ٥.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٨٢) / ٢٦٠.

(٤) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٩١) / ١٣٤، الخطبة (١٧٨) / ٢٥٦، الخطبة (١١٥) /

يقول من خطبة له وتشتمل على تهذيب الفقراء بالزهد وتأديب الأغنياء بالشفقة: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطْرَاتِ الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ»^(١).

فهنا إشارة واضحة من الإمام عليه السلام لنزول أمر الله من السماء إلى الأرض وقد شبه الأمر بقطرات المطر النازلة فدلت القطرات في سياق النص على الأحكام الإلهية التي تنزل لكل نفس من (صلاح حال الخلق في معاشهم ومعادهم من صحة أو مال أو علم أو جاه أو أهل)^(٢).

لذا الأمر يساق من الله فتتمثل السماء هنا بمنزلة المكان الذي تصدر منه الأوامر لتصدر إلى الأرض العالم الذي يضم النفوس وتحمل الزيادة والنقصان كما تتوزع قطرات المطر على الأرجاء بحسب المصلحة.

ب- المَطَر

(الميم والطاء والراء أصلٌ صحيحٌ فيه معنيان: أحدهما الغيث النَّازل من السَّماء والآخر جنسٌ من العَدُو. فالأوَّل المَطَر، ومُطِرْنَا مَطَرًا. وقال ناسٌ: لا يقال أُمِطِرَ إِلَّا فِي الْعَذَاب... والثاني قَوْلُهُمْ: تَمَطَّرَ الرَّجُلُ فِي الْأَرْضِ، إِذَا ذَهَبَ)^(٣)، كما يدل المطر على (الماء المنسكب من السحاب والمطر ماء السحاب والجمع أمطار)^(٤).

(١) نهج البلاغة: الخطبة (٢٣) / ٦٤.

(٢) شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٤ / ٢.

(٣) معجم مقاييس اللغة: (مطر): ٥ / ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٤) لسان العرب: (مطر): ٥ / ١٧٨.

ورد في النهج في خمسة مواضع، بصيغة المفرد ثلاث مرات^(١)، والجمع مرتين^(٢).

يقول من خطبة له ﷺ في صفات الله جل جلاله، وصفات أئمة الدين: «قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ وَلَمَعَ لَامِعٌ وَوَلَّحَ لَائِحٌ وَاعْتَدَلَ مَائِلٌ وَاسْتَبَدَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا وَيَوْمٍ يَوْمًا وَانْتَظَرْنَا الْغَيْرَ انْتَظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرِ»^(٣).

في هذه الخطبة بيان لأمر مرتقب قد حصل وظفه فيه الإمام وقد ذكر هذه الخطبة حين أصبحت الخلافة له بعد قتل عثمان^(٤) فذكر أنه قد طلع طالع والطارح هنا النجم أو ما شابه ذلك؛ وذلك لأن الطالع ممكن أن يكون (الشمس والقمر والفجر والنجوم تَطْلُعُ طُلُوعًا وَمَطْلَعًا وَمَطْلَعًا فَهِيَ طَالِعَةٌ)^(٥) وبطلوعه لمع ولاح بالأفق يرجح أن تكون هذه الجمل الثلاث لمقصود واحد وهو بيان الأمر محقق بـ(قد) الدالة على تحقيق الخلافة للإمام.

وقد انتقلت الخلافة له بعد طول انتظار كونه من يمثل الحق فظهرت خلافته أو ظهر الحق وكلاهما واحد وكان المسلمون ينتظرون تغيير حالهم وواقعهم وهذا دعاء المسلمين حين حصول الجذب^(٦) ويحتمل أن يكون انتظار الغير (بكسر الغين) ويراد به: (الاسم من قولك غَيَّرْتُ الشَّيْءَ

(١) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٢٣) / ٦٤، الخطبة (١٠٨) / ١٥٦، الخطبة (١٥٢) / ٢١٢.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة الخطبة (٩١) / ١٣٤، الخطبة (١٦٥) / ٢٣٦.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة (١٥٢) / ٢١٢.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) / ٩ / ١٥٣.

(٥) لسان العرب: (طلع): / ٨ / ٢٣٥.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) / ٩ / ١٥٤، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة

(الخنوي) / ٩ / ١٨٤.

فَتَغَيَّرَ^(١) لذا فدلالة السياق على حصول المراد بتغيير الحال بعد انتظار الفرج واستجابة الدعاء كمن ينتظر هطول الأمطار ليحصل على المراد فكذلك سيادة الحق فالإمام أولى بإقامة الحدود واجتناب النواهي.

ج- السَّحَابُ وَالْمُزْنُ

السَّحَابُ: (السين والحاء والباء أصلٌ صحيح يدلُّ على جرٍّ شيءٍ مبسوطٍ ومدّه)^(٢) والسحابة: (الغَيْمُ، والجمع سحابٌ وسُحُبٌ وسَحَابٌ)^(٣).

أما المَزْنُ: (الميم والزاء والنون أصلٌ صحيح فيه ثلاث كلمات متباينة القياس: فالأولى: المَزْنُ: السَّحَابُ، والقطعة مُزَنَةٌ... والثانية المازن: بيض النمل. والثالثة: مَزَنَ قَرَبَتَهُ: مَلَأَهَا. وهو يَتَمَزَّنُ على أصحابه، أي يتفضّل عليهم، كأنه يتشبه بالمزنِ سَخَاءً. ولعل المَزْنُ هو الأصل في الباب، وما سواه فمفْرَعٌ عليه)^(٤).

لو دُقِّقَ في التعريفات لظهر أن السحاب هو الغيم، والمزن هي السحاب، وكل له خصائص بحسب سياق ورودها.

وقد وردت السحاب في صيغة الجمع (سحاب) عشر مرات^(٥).

قال ﷺ: **فِي دُعَاءٍ اسْتَسْقَى بِهِ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا ذُلَّ السَّحَابِ دُونَ**

(١) الصحاح: (غير): ٢ / ٣٠.

(٢) معجم مقاييس اللغة: (سحب): ٣ / ١٤٢.

(٣) الصحاح: (سحب): ١ / ٣٠٥.

(٤) معجم مقاييس اللغة: (مزن): ٥ / ٣١٧ - ٣١٨.

(٥) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٩١) / ١٣١ - ١٣٤، الخطبة (١١٥) / ١٧١، الخطبة

(١٦٦) / ٢٤٠، الخطبة (١٨٥) / ٢٧١، الكتاب (٦٢) / ٤٥١، (٤٧٢) / ٤٧١.

صِعَابَهَا»^(١).

قال الشريف الرضي: (وهذا من الكلام العجيب الفصاحة وذلك أنه شبه السحاب ذوات الرعود والبوارق والرياح والصواعق بالإبل الصعاب التي تقمص برحالها وتقص بركبانها وشبه السحاب خالية من تلك الزوابع بالإبل الذلل التي تحتلب طيعة وتقتعد مسمحة).

دعا الإمام بهذا الدعاء في أدعية الاستسقاء المنثورة في النهج، وقد دعا لإعمار الحرث والنسل^(٢) من دون إهلاكها؛ لأن من السحاب من يكون مهلكاً فدلالة السياق على الطلب والدعاء بالرزق الهين والمطر الذي يعمر الأرض لا يهلكها.

وفي سياق مختلف تكون السحاب كالفرص التي تعترض حياة الإنسان قوله ﷺ: «فُرِنَتِ الْهَيْبَةُ بِالْحَيْبَةِ وَالْحَيَاءُ بِالْحِرْمَانِ وَالْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ فَانْتَهَزُوا فُرْصَ الْخَيْرِ»^(٣).

وهذه الفرص لن تتكرر فكما ينبغي ترك الهيبة فيأهبة الآخر والخوف منه تضيع الفرص لأنها مقرونة بالخبية وترك الحياء لأنه مقرون بالحرمان^(٤).

كذلك الفرص إن كانت في الخير تمر مر السحاب لأنها تكون سريعة الزوال.

يقول ابن أبي الحديد: (كانت العرب إذا أوفدت وافدا قالت له -إياك

(١) نهج البلاغة: غريب كلامه (٤٧٢) / ٥٥٨.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (السيد عباس الموسوي) ٥ / ٥٣٨.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة (٢١) / ٤٧١.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٥ / ٢٤٨.

والهيبية فإنها خيبة - ولا تبت عند ذنب الأمر وبت عند رأسه^(١).

أما المزن فقد وردت هذه اللفظة في موضعين، بصيغة المفرد مرة واحدة^(٢)، وبصيغة الجمع مرة واحدة^(٣) أيضاً.

من خطبة له عليه السلام في ذم الدنيا: «لَمْ يَكُنْ أَمْرٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عِبْرَةٌ... وَلَمْ تَطَّلُهُ فِيهَا دِيمَةٌ رَخَاءٍ إِلَّا هَتَنْتَ عَلَيْهِ مُزْنَةً بِلَاءٍ وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُتَّصِرَةٌ أَنْ تُنْسِيَهُ لَهُ مُتَنَكَّرَةٌ»^(٤).

لم ينفك الإمام عليه السلام بالتحذير من الدنيا ويؤكد ذلك في أكثر من خطبة، وفي بداية الخطبة هذه يحذر منها؛ حتى أنه وظّف المطر في اطلال الدنيا على المرء فاستعار لتقلب أوضاعه الديمة للرخاء، والديمة: (المطر الذي ليس فيه رَعْدٌ ولا برق أقله ثلث النهار أو ثلث الليل وأكثره ما بلغ من العِدَّة والجمع دِيمٌ)^(٥) وقد استفاد العرب كثيراً منها من باب الاستعارة لهذه اللفظة في وصف احدهم بأنه سخي وكريم كالديمة في الكرم^(٦).

والديمة بحسب ما ذكره شارحو النهج هنا هو المطر الخفيف المصاحب للخير في نزوله ولكن سرعان ما يتحول ويهتن أي: يصب بلاءً واستعار للبلاء المزنة؛ فمقابل السعة والخير هنالك ضيق وهم^(٧)، فالحذر مطلوب

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١٨ / ١٣١.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٩١) / ١٣١.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١١١) / ١٦٤.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (١١١) / ١٦٤ - ١٦٥.

(٥) لسان العرب: (ديم): ١٢ / ٢١٩.

(٦) ينظر: م.ن.

(٧) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (راوندى) ١ / ٤٧٥، منهاج البراعة في شرح

وإن كان صبهها للبلاء غير دائم.

ووردت ألفاظ أخرى كالديم (ثلاث مرات)^(١)، وذكرت الغيوم بصيغة الجمع (مرة واحدة)^(٢)، والقزح وهو صغار الغيم المتفرقة^(٣)، (مرتان)^(٤).

ينظر جدول إحصائي رقم (١٤) للوحدات الدلالية للأمطار والأهوية وما يتصل بها في نهج البلاغة - صفحة (٣٠٥).

٢- الأهوية

وتضم كلاً من:

أ- الهَوَاءُ

(الهَاءُ وَالْوَاوُ وَالْيَاءُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خُلُوقٍ وَسُقُوطٍ. أَصْلُهُ الْهَوَاءُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، سَمِّيَ لَخُلُوقِهِ. قَالُوا: وَكُلُّ خَالٍ هَوَاءٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ﴾^(٥)، أَي خَالِيَةٌ لَا تَعْبِي شَيْئاً... وَيُقَالُ هَوَى الشَّيْءُ يَهْوِي: سَقَطَ. وَهَآوِيَةٌ: جَهَنَّمُ)^(٦).

والهَوَاءُ (ممدودٌ: ما بين السماء والأرض، والجمع الأَهْوِيَّةُ. وكل خالٍ

نهج البلاغة (الخوئي) ٨ / ٢٠، شرح نهج البلاغة (السيد عباس الموسوي) ٢ / ٢٧٠.
(١) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٠٥) / ١٥١، الخطبة (١١١) / ١٦٤، الخطبة (١٨٥) / ٢٧٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة (٩١) / ١٣٤.

(٣) ينظر: التلخيص في معرفة أسماء الأشياء: ١ / ٢٧٦.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (١١٥) / ١٧١، الخطبة (١٦٦) / ٢٤١.

(٥) إبراهيم: ٤٣.

(٦) معجم مقاييس اللغة: (هوي): ٦ / ١٥.

هواءٌ. قال زهير:

كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ مِنْ الظِّلْمَانِ جُؤْجُؤُهُ هَوَاءٌ^(١)

يقال: إِنَّهُ لَا عَقُولَ لَهُمْ. وَالهَوَى مَقْصُورٌ: هَوَى النَّفْسِ: وَالْجَمْعُ الْأَهْوَاءُ. وَإِذَا أَضْفَتَهُ إِلَيْكَ قُلْتَ هَوَايَ. وَهَذَا يُقَالُ تَقُولُ: هَوَيٌّْ^(٢).

وردت هذه اللفظة في النهج بصيغة المفرد في عشرة مواضع^(٣).

استعمله الإمام بمعناه الحقيقي المعروف في السياق يقول من خطبة الأشباح في صفة الأرض ودحوها على الماء: «وَأَعَدَّ الْهُوَاءَ مُتَنَسِّمًا لِسَاكِنِهَا وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا»^(٤).

من لطف الله سبحانه وتعالى أنه أعد لهم أسباب العيش في بيئة صالحة، فأوجد لهم الماء وجعل منه كل شيء حي والكلاء وتكفل برزق الدواب وما يحتاجه الإنسان الهواء كما الحيوان فخص الإمام صفة الهواء أن يكون متنسماً أي: (جعل الهواء محلاً لطلب النسيم واستنشاقه وفائدته ترويح القلب حتى لا يتأذى بغلبة الحرارة)^(٥) وكيف لا وقد شملت قدرته ورحمته كل شيء.

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى: ٩.

(٢) الصحاح: (هوا): ٢ / ٢٦٠.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١) / ٤٠، (٩١) / ١٢٧ - ١٢٨ - ١٣١، الخطبة (١٦٠) / ٢٢٤، الخطبة (١٧٨) / ٢٥٦، الخطبة (١٨٥) / ٢٧١، الخطبة (٢٢١) / ٣٢٨، الخطبة (٢٢٣) / ٣٤٤.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (٩١) / ١٣٢.

(٥) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (الحوثي): ٧ / ١٣.

ب- الرِّيح

يفيد ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) أن: (الراء والواو والحاء أصل كبير مطرد، يدلُّ على سَعَةٍ وفُسْحَةٍ واطِّراد. وأصل «ذلك» كلُّ الرِّيح...)^(١).

والريح: (نَسِيمُ الهِوَاءِ وكذلك نَسِيمُ كلِّ شيءٍ وهي مؤنثة وفي التنزيل ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرَثَ قَوْمٍ﴾^(٢)... الرِّيحُ يَأْوُهَا وَاوَّ صِيرَتْ ياء لانكسار ما قبلها وتصغيرها رُويحةٌ وجمعها رِيَاخٌ وَأُرُوَاخٌ)^(٣).

وردت هذه اللفظة في النهج في ثمانية عشر موضعاً، منها بصيغة المفرد احدى عشرة مرة^(٤)، وبصيغة الجمع ثماني مرات^(٥).

قال ﷺ من كلام له في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وفيها ابغض خلق الناس يقول في الصنف الثاني «جَاهِلٌ حَبَّاطٌ جَهَالَاتٍ عَاشٍ رَكَابُ عَشَوَاتٍ لَمْ يَعِضَّ عَلَى الْعِلْمِ بِضُرْسٍ قَاطِعٍ يَذُرُّو الرِّوَايَاتِ ذَرَوَ الرِّيحِ الْهَشِيمِ»^(٦).

من صفات العالم الذي يبتي الناس بعلمه ويقيمونه في غير مكانه وينزلونه

(١) معجم مقاييس اللغة: (روح): ٢ / ٤٥٤.

(٢) آل عمران: ١١٧.

(٣) لسان العرب: (روح): ٢ / ٤٥٥.

(٤) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١) / ٤٠، الخطبة (١٧) / ٥٩، الخطبة (٩١) / ١٢٨، الخطبة

(٩٧) / ١٤٣، الخطبة (١٧٨) / ٢٥٦، الخطبة (١٩٢) / ٢٨٧ - ٢٧٩ - ٣٠٠، الحكمة

(١٤٧) / ٤٩٥، الحكمة (٣٩٧) / ٥٤٦.

(٥) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١) / ٣٩، الخطبة (٩٣) / ١٣٧، الخطبة (١٤٩) / ٢٠٧،

الخطبة (١٨٥) / ٢٧١، الخطبة (١٩٦) / ٣١٠، الخطبة (١٩٨) / ٣١٢، الخطبة

(٢١١) / ٣٢٨، الخطبة (٢٢٦) / ٣٤٨.

(٦) نهج البلاغة: كلامه (١٧): ٥٩ - ٦٠.

في غير منزله أن يكون جاهلاً خبّاطاً أي: (ضرب البعير الشيء بخُفِّ يده... وَخَبَطْتُ الشجرة بالعصا: ضربتها بها والمخبطة: العصا)^(١) وذكر جهالات ولم يقل جاهلاً لأنه أراد الزيادة بالخبط أي أن يقع في كثرة ضرب الجهالات أي كثرة الأغلاط من احكام شرعية وغيرها دون طريق الحق^(٢).

فمن تكن هذه صفته فإنه يأتي بالروايات ويلقيها على الناس من أحكام جاهلة ظالمة كما تلقي الرياح بذور النباتات المتكسرة^(٣) في الأرض فلا نتاج في الروايات أو الزرع، فلنلاحظ انتاج ذرو الرياح للهشيم للروايات ما تكون النتيجة يقول الامام في الكلام نفسه: «تَضْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدَّمَاءُ وَتَعَجُّ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ»^(٤).

فدلّ السياق على الظلم والجور من العالم الجاهل.

ينظر جدول إحصائي رقم (١٥) للوحدات الدلالية للأهوية وما يتصل بها في نهج البلاغة - صفحة ٣٠٦.

(١) تهذيب اللغة: (خبط): ٢ / ٤٦١.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ١ / ٣١٧.

(٣) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ١ / ١١٢.

(٤) نهج البلاغة: كلامه (١٧): ٦٠.

المبحث الثالث الظلمة والنور وما يتصل بها

١ - الألفاظ الدالة على الظلمة

أ- الحِندِس

الحِندِسُ: (الليل الشديد الظلمة)^(١)، والحنادسُ: (ثلاث ليالٍ من الشهر، لظلمتهن).

وأسود حِندِسٌ: شديد السواد، كقولك: أسود حالك^(٢).

وردت هذه اللفظة بصيغة الجمع في ثلاثة مواضع^(٣).

قال من خطبة القاصعة في ذم إبليس: «فَاللّٰهُ اللهُ فِي كِبْرِ الْحُمِيَّةِ وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مَلَأَ الشَّنَنَ وَمَنَافِحُ الشَّيْطَانِ الَّتِي خَدَعَ بِهَا الْأُمَّمَ الْمَاضِيَةَ وَالْقُرُونَ الْحَالِيَةَ حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ وَمَهَاوِي ضَلَالَتِهِ ذُلًّا عَن»

(١) الصحاح: (حندس): ١ / ١٥١.

(٢) المحكم والمحيط الاعظم: ٢ / ١١٥.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٨٢) / ٢٦٠، الخطبة (١٩٢) / ٢٨٩، الخطبة (٢٣٠) /

سِيَّاقِهِ»^(١).

يحذر الفخر والتكبر واتباع الشيطان في ذلك كما خدع الأمم السابقة فكانت صفتهم أنهم اعنقوا أي: أصبحوا منقادين بسهولة^(٢)، وكأنهم قدّموا اعناقهم للشيطان باتباعهم إيّاه.

واستعار الإمام ضمن السياق اللغوي هنا لفظة حنادس للجهل بمعنى: أنهم انقادوا لظلمات الجهالة فلم يروا الحق ولم يميزوا الباطل بسبب الشرك الذي نصبه لهم فساقهم اذلاء جهلاء مضلين.

ب- الظُّلْمَةُ

(الظاء واللام والميم أصلاً صحیحان، أحدهما خلافُ الضياء والنور، والآخر وَضَعُ الشَّيْءِ غيرَ موضعه تعدياً.

فالأوّل الظُّلْمَةُ، والجمع ظلمات. والظَّلام: اسم الظلمة؛ وقد أظلمَ المكان إظلاماً)^(٣).

وردت في النهج في تسعة وعشرين موضعاً، منها ثماني مرات بصيغة المفرد^(٤)، وثمانى مرات بصيغة الجمع^(٥).

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١٩٢) / ٢٨٩.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١٣ / ١٤٨.

(٣) معجم مقاييس اللغة: (ظلم): ٣ / ٤٦٨.

(٤) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٠٨) / ١٥٦، الخطبة (١١١) / ١٦٤، الخطبة (١٥٧) /

٢٢١، الخطبة (١٨٧) / ٢٧٧، الخطبة (١٩٠) / ٢٨١، الخطبة (١٩٨) / ٣١٥.

(٥) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٩١) / ١٢٨، الخطبة (١٨٦) / ٢٧٢، الكتاب (١٣١) /

يقول من خطبة له في ذكر الملاحم: «وَلَا تَقْتَحِمُوا مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ نَارِ الْفِتْنَةِ وَأَمِطُوا عَنْ سَنَنِهَا... إِنَّمَا مِثْلِي بَيْنَكُمْ كَمِثْلِ السَّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَجَلَّهَا فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا وَأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا»^(١).

لم يكن الإمام عليه السلام مداحاً لنفسه ولا ينبغي له ذلك وهو الذي طلق الدنيا ثلاثاً، فالناظر لشطف معيشة الإمام عليه السلام يرى ذلك أبلغ في خطبته هذه عدة أمور توزع بعضها بين الفصول.

وفي هذا المقطع ينسجم عنوان الخطبة مع المقصود منها لأنه لم يخل الدين الإسلامي من الفتن طالما مدار الأمر حب الدنيا فيتنتفض الإمام للناس ناصحاً من هذه الفتن المضلة؛ ويلاحظ ذلك خطابه الموجه للمسلمين، فقد شبه نفسه بالسراج الذي ينير الظلمة، والظلمة هنا الفتنة كما دل على ذلك سياق الخطبة وهنا تعبير مجازي، فبعد أن أمرهم بالابتعاد عنها وعدم السير بما تحمل بين لهم أن الطريق الذي اختطه لهم هو طريق الحق، وطريقهم باتباعه يمر بمراحل: السماع والوعي والحضور حتى يكون الفهم والقبول.

ت- الليل

(الليل ضد النهار والليل ظلام وسواد والنور والضياء ينهر أي يضيء والليل ليل إذا أظلم فإذا أفردت أحدهما من الآخر قلت ليلة ويوم وتصغير ليلة لَيْلِيَّةٌ أخرجوا الياء الآخرة من مخرجها في الليالي إنما كان أصل تأسيس بنائها ليلا فقصرت وتقول ليلة ليلاء أي شديدة الظلمة)^(٢).

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١٨٧) / ٢٧٧ - ٢٧٨.

(٢) كتاب العين: (ليل): ٨ / ٣٦٣.

ورد في النهج في تسعة وثلاثين موضعاً، منها: الليل (معرف بال) تسع عشرة مرة، ومن دون تعريف عشرين مرة، والليلة مرتين وليلة مرة واحدة، والليالي ثماني مرات.

من المعروف أن الله عز وجل قد جعل الليل راحة للبدن والنهار للعمل قال تعالى من سورة النبأ الآيتان (١٠ - ١١): ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾.

لذا أكد الإمام هذا المعنى في سياق قوله من وصية له ﷺ وصى بها معقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام يقول: «وَسِرِ الْبَرْدَيْنِ وَعَوِزِ النَّاسِ وَرَفِّهِ فِي السَّيْرِ وَلَا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَنًا وَقَدْرَهُ مُقَامًا لَا ظَعْنَأً فَأَرِخْ فِيهِ بَدَنَكَ وَرَوِّحْ ظَهْرَكَ»^(١).

هذا الليل نفسه عند الإمام يتحول إلى فتن تفتك بالمسلمين ولعل لون السواد الطاغوي فيه دلالة على الشر المستقر في بعض النفوس يقول في إحدى الخطب المشتملة على الملاحم: «لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضَلِيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانٍ... فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَةِ وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ وَالْبَحْرِ الْمُتَنَطِّمِ»^(٢).

إن من أشد الفتن هو أن يقوم الضليل المعروف بكثرة الضلال، وقد عزم عزمه على كسر شوكة المسلمين فحذرهم الإمام ﷺ من الفتنة، فإذا هدأت له الحال قام وتملك ما استطاع فيصبح الأمر ميسراً له بان على حقيقته حينما

(١) نهج البلاغة: الوصية (١٢) / ٣٧٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة (١٠١) / ١٤٧.

يستمكن وتظهر قبائحه على الملاء بلا مبالاة منه.

وقتها تخرج الفتن كخروج الزبد من فم البعير وهو كناية عن كمال الفتنة ووصولها حال الاهتياج^(١)، وظهرت اباريق لمعان سيوفه ورماحه فعندها تقبل رايات الفتن وتكون كليل مظلم فلا يهتدي أحد للحق كما الذي لا يهتدي لواضح الطريق بليل مظلم فيضرب بعضهم بعضاً كأمواج بحر متلاطمة.

ووردت ألفاظ أخرى مثل: الدجى (مرة واحدة)^(٢)، والدجنة (مرة واحدة)^(٣)، والديجور (وردت بصيغة الجمع «دياجير» مرتان)^(٤)، والغسق (أربع مرات)^(٥) والمساء (مرتان)^(٦).

ينظر جدول إحصائي رقم (١٦) للوحدات الدلالية للألفاظ الدالة على الظلمة وما يتصل بها في نهج البلاغة - صفحة (٣٠٦).

(١) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (الخوئي) ٧ / ١٧١ - ١٧٢، توضيح نهج البلاغة، ٢ / ١٣٢ - ١٣٣.

(٢) نهج البلاغة: كلامه (٢٢٢) / ٣٤٣.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة (١٥٥) / ٢١٧.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة (٩١) / ١٣٥.

(٥) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٤٨) / ٨٧، الخطبة (١٥٥) / ٢١٧، الخطبة (١٦٣) / ٢٣٢، الخطبة (١٨٢) / ٢٦١.

(٦) ينظر: نهج البلاغة: كلامه (٢٢١) / ٣٣٩، الوصية (٥٦) / ٤٤٧.

٢- الألفاظ الدالة على النور

أ- البرق

(البرق مصدر الأبرق من الجبال وهو الحبل الذي أبرم بقوة سوداء وقوة بيضاء ومن الجبال: ما فيه جددٌ بيضٌ وجددٌ سودٌ)^(١)، و(الباء والراء والقاف أصلان تتفرع الفروع منهما: أحدهما لمعان الشيء؛ والآخر اجتماع السواد والبياض في الشيء. وما بعد ذلك فكله مجازٌ ومحمولٌ على هذين الأصلين.

أما الأول فقال الخليل: البرق وميض السحاب، يقال برق السحاب برقاً وبريقاً. قال: وأبرق أيضاً لغة. قال بعضهم: يقال برقة للمرّة الواحدة، إذا برق، وبرقة بالضم، إذا أردت المقدار من البرق. ويقال: «لا أفعله ما برق في السماء نجم»، أي ما طلع. وأتانا عند مبرق الصبح، أي حين برق)^(٢).

وردت هذه اللفظة في النهج في سبعة مواضع؛ بصيغة المفرد خمس مرات^(٣)، وبصيغ الجمع مرتين^(٤)، يقول من كلام له ﷺ في وصف السالك الطريق إلى الله سبحانه: «قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ وَأَمَاتَ نَفْسَهُ حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ وَلَطْفَ غَلِيظُهُ وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبَرَقِ فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ»^(٥).

فقد وصف الإمام الذي يصبو إلى الإخلاص لله عز وجل أن يتمثل بعدة

(١) كتاب العين: (برق): ٥ / ١٥٥.

(٢) معجم مقاييس اللغة: (برق): ١ / ٢٢١.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٩١) / ١٣١، الخطبة (٩٤) / ١٣٩، الخطبة (١١٥) / ١٧١، الخطبة (١٩١) / ٢٨٤، الخطبة (٢٢٣) / ٣٤٤.

(٤) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة (١٨٢) / ٢٦٠، الحكمة (٢١٩) / ٥٠٧.

(٥) نهج البلاغة: كلامه (٢٢٠) / ٣٣٧.

أمر منها: إحياء عقله، وإماتة نفسه وهو كله على نحو المجاز في (الإحياء والإماتة) ومفهوم إحياء العقل كما هو معروف باكتساب العلوم وقيل: (هي علوم ضرورية مخصوصة من جملتها العلم بأحوال النفس والمدركات والمحسنات والمقبحات، وقيل: هي العلوم التي تمنع المكتسب من الزوال وحصر بعضهم علوم العقل عشرة:

أولها: علم المرء بنفسه.

ثانيها: علمه بكثير من أحواله نحو كونه مريداً وكارها ومفكراً ومشتها^(١).

أمّا إماتة النفس، فهو ترويضها وكبحها عن جماحها وشهواتها^(٢)، فإذا ما حصل ذلك ارتفع السالك حتى يبرق ويلمع بطريقة نحو الوصول للهدف، فالبرق هنا لا يعني ما نشاهده من الضوء في السماء قبل المطر وإنما هو كما ورد في سياق النص مجموعة الأنوار المكتسبة من هذا العلم وتلك الرياضات الروحية.

ب- الضياء والنور

(الضاد والواو والهمزة أصلٌ صحيح، يدلُّ على نورٍ. من ذلك الضوء والضوء بمعنى، وهو الضياء والنور. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا

(١) حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢١٧.

(٢) ذكر ابن أبي الحديد جانباً من الرياضات الروحية: ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي

الحديد) ١١ / ١٢٧.

حَوْلَهُ ﴿١﴾. قال أبو عبيد: أضاءت النارُ وأضاءت غيرها (٢) (وجمعها أضواءٌ وهو الضواءُ والضياءُ) (٣).

أمّا: (النون والواو والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على إضاءةٍ واضطرابٍ وقلةٍ ثبات. منه النور والنار، سميًّا بذلك من طريقة الإضاءة، ولأنَّ ذلك يكون مضطرباً سريع الحركة. وتنوّرتُ النارُ: تبصّرتُها... ومنه النورُ: نور الشجر ونوّارُهُ. وأنارت الشجرةُ: أخرجتُ النورَ. والمنارةُ: مفعلة من الاستنارة، والأصل منورة. ومنه منار الأرض: حدودها وأعلامها، سميت لبيانها وظهورها) (٤)، و(في أسماء الله تعالى النور... قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٥)... والجمع أنوارٌ ونيرانٌ) (٦).

وقد فرّق العسكري (٧) بينهما على رغم ترادفهما إلا أنها مختلفان في الاستعمال بحسب السياق وكالاتي:

١. أن الضياء ما يتخلل الهواء من أجزاء النور فيبيض بذلك، والشاهد أنهم يقولون ضياء النهار ولا يقولون نور النهار إلا أن يعنوا الشمس فالنور الجملة التي يتشعب منها، والضوء مصدر ضاء يضاء ضوءاً يقال ضاء وأضاء أي ضاء هو واضاء غيره.

(١) البقرة: ١٧.

(٢) معجم مقاييس اللغة: (ضواً): / ٣٧٥ - ٣٧٦.

(٣) لسان العرب: (ضواً): / ١ / ١١٢.

(٤) معجم مقاييس اللغة: (نور): / ٥ / ٣٦٨.

(٥) النور: ٣٥.

(٦) لسان العرب: (نور): / ٥ / ٢٤٠.

(٧) معجم الفروق اللغوية: / ١ / ٢٢٩.

٢. وقد يفرق بينهما بأن الضوء: ما كان من ذات الشيء المضيء، والنور: ما كان مستفاداً من غيره. وعليه جرى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾^(١).

وقال الراغب: النور الضوء المنتشر الذي يعين على الابصار. وهو ضربان: دنيوي وأخروي. والدنيوي ضربان: معقول بعين البصيرة، وهو ما انتشر من الانوار الالهية كنور العقل ونور القرآن. ومنه: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾^(٢) ومحسوس بعين التبصر وهو ما انتشر من الاجسام النيرة، كالقمرين والنجوم النيرات... ومن النور الاخروي قوله تعالى: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٣).

كمثال على ذلك نقول في تسمية مدينة الرسول ﷺ المدينة المنورة وليست المضيفة وذلك لأنها تستمد النور من وجود قبر الرسول ﷺ فيها وليست هي مصدر الاضاءة أو النور.

وردت لفظة الضياء في احد عشر موضعاً، والنور في ثمانية وثلاثين موضعاً.

وقد اخترتُ من كلام الإمام عليه السلام قولين له يذكر فيه الرسول ﷺ مؤطراً كلامه باللفظين. قال الإمام من خطبة له عليه السلام وهي من خطب الملاحم؛ في ذكر النبي ﷺ: «اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَشْكَاتِ الضِّيَاءِ وَدُؤَابَةِ الْعُلِيَاءِ

(١) يونس: ٥.

(٢) المائدة: ١٥.

(٣) الحديد: ١٢.

وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ وَيَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ»^(١).

ومن خطبة له عليه السلام في صفة النبي وأهل بيته وأتباع دينه، وفيها يعظ بالتقوى

«ابْتَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيِّ وَالْبُرْهَانَ الْجَلِيَّ وَالْمِنْهَاجَ الْبَادِي وَالْكِتَابَ الْهَادِي أُسْرَتُهُ خَيْرٌ أُسْرَةٍ وَشَجَرَتُهُ خَيْرٌ»^(٢).

وعلى الرغم من كلامه عليه السلام على الرسول عليه السلام؛ ولكن لو أنعمنا النظر في السياق الذي وردت به كل من (الضياء والنور) لنجد الاختلاف فيما يأتي:

١. نجد في القول الأول صفة اختيار الرسول عليه السلام بتحديد من أين اختاره وبالتأكيد فالانصراف سيذهب إلى النسب وقد ذكر الإمام أن انتهاء الرسول عليه السلام وانتسابه لشجرة الانبياء (يتتهى نسبه الى ابي الانبياء ابراهيم عليه السلام)^(٣)، ونجد في القول الثاني صفة الابتعاث ولكن ليس بسبب أو نسب وإنما اضفى عليه صفات.

٢. إن الفرق بين دلالة الفعلين (اختار وابتعث) واضحة؛ ولكن نجد مناسبتها من حيث الدلالة اللفظية الضياء والنور في قوله عليه السلام: اختار الضياء، وابتعث النور فهنا توجد مناسبة الاختيار بين اللفظين.

٣. دلالة الضياء هنا حسب ما ذكره شارحو النهج في قوله عليه السلام: «وَمَشْكَاةِ الضِّيَاءِ» اتفقوا^(٤) أن المقصود من مشكاة الضياء هو: آل إبراهيم فيما اختاره

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١٠٨) / ١٥٦.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة (١٦١) / ٢٢٩.

(٣) توضيح نهج البلاغة: ٢ / ١٦٥.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ٣ / ٣٩ - ٤٠، شرح نهج البلاغة (المجلسي) / ١

من شجرة الأنبياء فقد خصَّ سبحانه وتعالى آل إبراهيم خاصة بضياء وقد سطع ضياء هدايتهم للناس، كما يسطع النور من المصباح من المشكاة هي: الكوة غير نافذة يجعل فيها المصباح. لذا فالرسول من ذلك الضياء المنبعث من شجرة النبوة.

واختلفوا في تحديد المقصود بعثه أو ابتعائه (بِالنُّورِ الْمُضِيِّ):

أ- ذكر ابن أبي الحديد بأن المقصود (أي بالدين أو بالقرآن)^(١).

ب- ذهب ابن ميثم ومجموعة من شارحي النهج بأنه: نور النبوة^(٢).

ولم يكتفِ السيد الخوئي بما ذهب إليه الآخرون بل ردَّ على ابن أبي الحديد؛ قال: (وتفسير الشَّارح المعتزلي له بالدين أو القرآن وهم لأنَّ المراد بالمنهاج الآتي ذلك، والكتاب أيضا يجيء ذكره والتأسيس أولى من التأكيد «والبرهان الجلي» أي بالمعجزات الباهرات والأدلة الواضحة على حقيقته)^(٣).

لذا نجد أن آل إبراهيم كما دل السياق أنهم مشكاة الضياء لشجرة الأنبياء في نور هداية الناس؛ بينما النور جاء مصاحباً للرسول ﷺ وهو نور النبوة الذي خصَّ بها.

ووردت ألفاظاً أخرى مثل: الفجر (مرة واحدة)^(٤)، والنار ووردت (خمساً

٣٧٣، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (الخوئي) ٧ / ٢٨٣.

(١) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ٩ / ٢٣٧.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم): ٣ / ٢٩٠، شرح نهج البلاغة (المجلسي) ٢ / ١١٨، توضيح نهج البلاغة، ٢ / ٤٤٠.

(٣) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (الخوئي) ٩ / ٤٠٦.

(٤) نهج البلاغة: الوصية (١٢) / ٣٧٢.

وستين مرة) ضُمَّتْ أَغْلَبُ دَلَالَتِهَا مَا بَيْنَ نَارِ (الْحَرْبِ «الْفِتْنَةِ» وَنَارِ «جَهَنَّمَ»
وَالنَّارِ بِدَلَالَتِهَا الْحَقِيقِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ).

يَنْظُرُ جَدْوَلُ إِحْصَائِي رَقْمِ (١٧) لِلوَحَدَاتِ الدَّلَالِيَّةِ لِلأَلْفَاظِ الدَّالَّةِ عَلَى
النُّورِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ - صَفْحَةُ (٣٠٧).



الخاتمة



الخاتمة

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ القائلِ في محكمِ كتابهِ: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(١)، والصلاةُ والسلامُ على منْ ختمتْ بهِ الرسالاتُ وعلى آلِهِ وسلَم: بعدَ التقصي الجادِ والبحثِ الدقيقِ، قدّمَ البحثُ ومن خلالِ أثرِ السياقِ دلالاتَ جديدةَ لألفاظِ الطبيعةِ في نصِّ نهجِ البلاغةِ غيرِ دلالاتِها المعروفةِ وبحسبِ التوظيفِ الدلاليِّ لها وما جاورها من ألفاظٍ وقد توصل من خلالها البحثُ إلى النتائجِ الآتية:

١. اتفق بعض اللغويين القدامى في المعاجم اللغوية حول دلالة لفظة السياق الأولى على (النزع أو نزع الروح)، وتحوّلها الدلالي إلى رصف الكلمات داخل النص أثبتت عند الهنود والأصوليين والنحويين والبلاغيين قبل أن توصل السياق إلى نظرية قائمة بذاتها بعد اكتمال جانبها (اللغوي والاجتماعي).

٢. كشف السياق أنّ نهج البلاغة من الكتب التي تتساقق ومفهوم المعنى، (فالموقع الزمكاني، والمشاركون، والهدف) شكّلت حضوراً في النهج بل حتّى الوقائع والأحداث والبيئة فالقارئ له أو الباحث فيه يجد نفسه كأنه جزء من العملية الحوارية مثلاً؛ وذلك لمناسبة التجدد في النص النهجي:

(١) المطففين: ٢٦.

زمانا ومكانا ودلالة؛ فضلا عن التنوع في الاساليب البلاغية فيقوم برصد الانفعالات، وتوجيه العبارات ضمن اللغة المناسبة للتحليل النصي ولا سيما إذا ما وقف أمام شخصية المتكلم التي أتفق عليها في كونها شخصية اتسمت بالعدالة والفداء للدين الاسلامي.

٣. لقد كان التحليل السياقي حاضراً لدى شارحي النهج وعوناً لهم في الكشف عن دلالة المعاني لألفاظ الطبيعة، فعندما تكون اللفظة محتملة أكثر من معنى ينصرف الشارح إلى الترجيح لمعنى معين من دون غيره معزراً اجابته بقرائن سياقية أو بما يطرحه السياق الثقافي من المعارف في أقوال العرب، وقد كشف البحث عن التلوين السياقي لدى تحليل الألفاظ بكافة أنواعه وأطرافه لتنوع الخطاب في الاختيار والموقعية.

٤. إن تكرار المفردات ومجيئها ضمن إطار معين ومحدد داخل التراكيب المتشابهة في نهج البلاغة أو بين القرآن الكريم ونهج البلاغة؛ لا يعني بالضرورة تشابهها بالدلالات والمعاني فقد حدد السياق دلالة المعنى المقصود بما تمثل في نهج البلاغة مثل (الحية أو السدر) ولم يتوقف السياق في تحديد المعنى فحسب؛ بل فرّق بين دلالات الألفاظ المشتركة أو المترادفة لأن نهج البلاغة انماز باختيار ألفاظه في المقام المناسب لها، وإن أية لفظة لا يمكن أن تحمل محل الأخرى؛ وإن كان هنالك ترادف بينهما أو اشتراك، وهذا دليل اسلوبه المختلف عن بقية الاساليب الأخرى.

٥. لم يتوقف السياق في تحديد المعنى؛ بل فرّق بين دلالات الألفاظ وفي دلالة المشترك اللفظي بما تمثل به في نهج البلاغة مثل (الليث)، فضلاً على إيجاد العلاقات كالترادف والتفريق بينهما من خلال السياق؛ حتى أن السياق

حدّ من ذلك، فقد امتاز النهج باختيار ألفاظه في المقام المناسب لها، وإنّ أية لفظة لا يمكن أن تحل محل الأخرى؛ وإن كان هنالك ترادف بينهما، وهذا دليل اسلوبه المختلف عن بقية الاساليب الأخرى.

٦. لم يكن تناول الإمام عليه السلام لألفاظ الطبيعة منهجاً مبتكراً، فقد سبقه القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وآله؛ ولكن الأسلوب في صياغة الألفاظ بأطر أخرى تارة تكون مبيّنة ومفسرة لما ورد في القرآن الكريم كما في لفظي (اطباق السماء والفلك) أو ما ورد في السنة النبوية كلفظة (الطين) وتارة تكون مكتسبة للدلالة مما يجاورها من دلالة الألفاظ الأخرى مع الحفاظ على معناها المركزي أو تغييره بحسب الإضافة أو الوصف مثل لفظي: (سبيل طريق) وذلك بحسب سياق ورودها؛ فضلاً عن إضافته لبعض ألفاظ الطبيعة دلالة جديدة ضمن الاستعمال لم تكن معروفة ولا ادل دليل على ذلك من نقل أصحاب المعاجم كمعجم (لسان العرب) أحاديث الإمام عليه السلام.

٧. كشف البحث أن الوظيفة الأساس في استعمال الإمام عليه السلام لأية لفظة من ألفاظ الطبيعة كان لغرض إثبات قدرة الله (سبحان وتعالى) والتفكّر بخلقه على نحو الإعجاز الألهي، وكان له مدار أخلاقي تربوي توجيهي تنظيمي، يمكن أن نسميه بـ(منظومة أخلاقية) وقد جاءت متساوقةً ومضمون النهج على النحو الآتي:

أ- الحيوان: من المعروف أنّ الحيوان له تأثير في الحياة العربية؛ لذا ارتفع مستوى التوظيف لبعض الحيوانات وانخفض؛ كما ظهر ذلك جلياً في التحليل السياقي وبوساطة الدراسة الاحصائية التي توافرت على جمهرة من ألفاظ الحيوان:

- الحيوانات الوحشية: تم عرض الحيوان الوحشي بشكل مفصل، وكان للحيوان (السبع) حضوراً عددياً إذ تكرر (ست مرات) بما تميّز به من موقع الصدارة بالنسبة لبقية الحيوانات الأخرى؛ لما له من حضور وهيبه داخل النفوس.

وقد كشفت الدلالات السياقية عن معانٍ للتوظيف الدلالي في النهج منها: (القوة والتعظيم والشجاعة والسيادة والتناحر والظلم والافتراس واليقظة والحذر والتنفير وغيرها).

- الحيوان الأليف: تصدّر لفظ (الخيل) الحضور العددي إذ تكرر (احدى عشرة مرة) ويرجع السبب إلى التصاق العرب بهذا الحيوان كونه رمز القوة وحتى المال ويليه (الابل)، ومثلث دلالات السياق في توجيه المعنى إلى: (الزهد والحذر والتوبيخ والزجر وغيرها).

- الطيور والحشرات: تصدّر الطيور لفظ (الطير) كلفظ عام مجموعة الطيور تكرر (احدى عشرة مرة) وقد تكررت الطيور غير الجارحة أكثر وذلك لتهديب النفس بالتقرب إليها من دون التنفير، وأشارت إلى (ابداع الخالق وجمال تصويره والحنين والحث على الطاعة والزهو بالنفس دلالات السياق في توجيه المعنى للطيور الجارحة إلى والحشرات تصدرها «النمل» وتكرر «أربع مرات» دل التوظيف الدلالي على «اثبات قدرة الله ودقة التصوير في الخلق والإحاطة بكل شيء علماً والتسليم والحذر وغيرها».

ب- النبات: ذُكِرَ النبات أقل من الحيوان، على الرغم من كونه المصدر الأساس مما يؤكل ويلبس منه ويستفاد، والتوظيف الدلالي الى الجانب

الاحصائي ظهر كما يأتي:

- الأشجار: برزت من بين الأشجار لفظ (الشجر) تكررت (سبع عشرة مرة) كان للشجر الذي يحوي المرار أكثر حضوراً وذلك لما لاقى الإمام من محن ومثلت دلالات السياق جانبيين: جانب ذكر صفات الرسول والنسب ويستفاد من جذور الاشجار وأصولها وجانب ذكر صفات ما يستفاد من الاشجار فمنها الصبر والجلد ومنها تساهل الحرام وأكله وعدم الاقرار بالآخرة فضلاً عن اثبات قدرة الخالق).

- النباتات: لقد تنوعت طبيعة هذا المبحث بمختلف النباتات التي كان يعرفها العربي كان العشب أكثر حضوراً (أربع مرات) يليه الحصيد والريحان (ثلاث مرات) وقد كشفت الدلالات السياقية عن معانٍ للتوظيف الدلالي في النهج منها: (الاخلاص والزهد وعدم الغفلة والظلم والدعوة الى التعامل بلطف وطلب الخير وغيرها).

- الأزهار: وردت ألفاظ هذا المبحث بقلة إذ احتوى على أربعة ألفاظ فقط، ولعل الأمر يرجع إلى طبيعة البيئة الصحراوية فلم تكن بيئة غناء وأكثر لفظ هذا المبحث وروداً (الأزاهير) تكررت (ثلاث مرات) والتوظيف الدلالي للأزهار هو: (اثبات لقدرة الله وجمالية التصوير).

ت- الأرض: وهي من أكثر الفصول مباحثاً، لأنها محور الكون، ومنها خلق الإنسان وإليها يرجع، وتخضع وبقية الكواكب وغيرها لنواميس الكون، والتوظيف الدلالي الى الجانب الاحصائي ظهر كما يأتي:

- البساط والحجارة والصخور وغيرها: كان أكثر الفاظ هذا المبحث

وروداً مما فوق أديم الأرض هو (الحجر) تكرر ذكره (ست عشرة مرة) يليه (التراب) تكرر في (أحدى عشرة مرة) كشفت الدلالات السياقية عن معانٍ للتوظيف الدلالي منها: (خلق البشر والزهد والتواضع والتقوى).

- السهل والوادي والطريق وغيرها: كان أكثر ألفاظ البحث هو السبيل تكرر (ثلاث وسبعين مرة) بعد الأرض، يليه (الطريق) تكرر (احدى وسبعين مرة) دَلَّ التوظيف الدلالي على: (عظم خلق الخالق والسهولة واللين في الخلق والحث على تعلم العلوم الدنيوية والأخروية والطاعة).

- الجبال والصحراء: كان أكثر ألفاظ هذا المبحث وروداً هو (الجبل) تكرر (ست وعشرون مرة) من الدلالات السياقية (الصلابة والجلد وتذليل الصعاب والظهور لمواجهة العدو).

- البحار: كان أكثر ألفاظ هذا المبحث وروداً هو: (البحر) تكرر (خمس وعشرون) دَلَّ التوظيف الدلالي على (اهمية القرآن الكريم كونه كنزاً من الكنوز لا يدرك كله وكذلك اجتناب الفتن).

ث- السماء: تعددت اسمائها والدلالة لها ولم يكن العرب مستوعبين إلا لوجود سماء واحدة، فجاء النص القرآني والحديث النبوي والنص النهجي في محاولة لتقريب الذهن وللإدراك وكما يأتي:

- السماء والنجوم: كان أكثر ألفاظ هذا المبحث وروداً هي (الشمس) تكررت (سبع عشرة مرة) يليها النجم (خمس عشرة مرة) والتوظيف الدلالي دَلَّ على (اثبات قدرة الله ودلالة الزمان والمكان).

- الأمطار والأهوية: كان أكثر ألفاظ هذا المبحث بالنسبة للأمطار

وروداً هي (السحب) تكررت (عشر مرات) دل التوظيف الدلالي على (بيان الاحكام الآلية والصبر واغتنام الفرصة)؛ أما الأهوية فكانت (الريح) أكثر وروداً تكررت (ثماني عشرة مرة) دّل التوظيف الدلالي على (ابداع الخالق ولطفه والانتباه من الظلم والجور).

- الظلمة والنور: كان أكثر الفاظ هذا المبحث بالنسبة للظلمة هو (الليل) تكرر (تسع وثلاثين مرة) دّل التوظيف الدلالي على (الجهل والفتن والظلم) وهو مناسب للظلمة أمّا النور فقد كان أكثر الألفاظ وروداً هو (النور) نفسه إذ تكرر (ثماني وثلاثين) ودّل التوظيف الدلالي على (استكمال العلوم الموجبة لتهديب النفس والهداية).

لذا نخلص من ذلك أنّ ألفاظ الطبيعة شكّلت جانباً مهماً في نهج البلاغة لا يمكن الاستغناء عنه واتخذت جانبين:

الأول: ابداع الخالق واثبات قدرته مه وجوب عبادته وشكره.

الثاني: تهذيب النفس والحث على الأخلاق الحسنة واجتناب السيئة والحذر من الشيطان والفتن، فضلاً على أمور متفرقة ذكرها الأمام عليه السلام بمواضعها في نهج البلاغة.

توصيات

١. اعتماد المنهج السياقي (التحليلي) للكشف عن المعنى المقصود للكلمة عن طريق البحث في ايجاءات النص؛ كونه منهجاً مختلفاً عن بقية المناهج الأخرى في تحليله اللغوي وغير اللغوي.

٢. أضْم رأْيِي إِلَى آرَاءِ الْآخَرِينَ بِمَا لَمَسْتَهُ فِي الْبَحْثِ لَدَى دِرَاسَةِ أَلْفَاظِ الطَّبِيعَةِ مِنْ ضَرُورَةِ اعْتِمَادِ نِصُوصِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ، وَلَا سِيَّيَا (الْخُطْبِ) ضَمِنَ النِّصُوصِ الْمَعْتَمَدَةِ فِي التَّدْرِيسِ لِيَشْمَلَ ذَلِكَ طُلَّابَ الثَّانَوِيَّةِ وَطُلَّابَ مَرَحَلَتِي الْبِكَالُورِيُوسِ وَالدِّرَاسَاتِ الْعَلِيَا، فَضْلاً عَلَى التَّخْصِصَاتِ: (الْعِلْمِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ).

٣. عُدَّ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ مِنْ الْكُتُبِ الثَّرَّةِ بِأَلْفَاظِهَا الْمُنْتَوَعَةِ وَدَلَالَاتِهَا الْمَخْتَلِفَةِ عَمَّا حَوَتْهُ الْمَعَاجِمُ اللَّغَوِيَّةُ أَوْ جَاءَتْ بِهِ؛ لِذَا يُمْكِنُ وَضْعُ مَعَاجِمٍ مُنْتَوَعَةٍ لِأَلْفَاظِهِ: كَمَعْجَمٍ لَغَوِيٍّ خَاصٍّ بِهِ أَوْ مَعْجَمٍ لِأَلْفَاظِ الطَّبِيعَةِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ أَوْ مَعْجَمٍ مَعَانِيٍّ كَلِمَاتِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ بِسِيَاقِهَا (الْاجْتِمَاعِي - التَّارِيخِي).



الملاحق



الملاحق

الباب الأول: الفصل الأول: الحيوان:

١. المبحث الأول: الحيوان المفترس:

عدد التكرارات	الوحدة الدلالية	التسلسل
٦	الأسد - الضَّرغام - اللِّيث	١
١	جَمَار الوَحْش (العانة)	٢
١	الحَوْت (الحيتان)	٣
٤	الحَيَّة	٤
١	الجَنْزِير	٥
٣	الدِّئْب	٦
٦	السَّبُع	٧
٢	الضَّب	٨
٤	الضَّبُع	٩
٢	الفِيل	١٠

٣	الْكَلْبُ	١١
٢	الْوَحْشُ	١٢
٣٢ = التكرارات	عدد الوحدات الدلالية = ١٤	المجموع

- جدول إحصائي رقم (١) للوحدات الدلالية للحيوان المفترس في نهج البلاغة-

٢. المبحث الثاني: الحيوان الأليف:

عدد التكرارات	اللفظ	التسلسل
٣٥	الإبِلُ وما يتصل بها	١
١٥	الْحَيْلُ وَالْحَمِيرُ وما يتصل بها	٢
١٠	الثور والغنم والماعز وما يتصل بها	٣
٢٩	الأنعام والبهائم والدواب والمطايا	٤
٨٩ = التكرارات	عدد الوحدات الدلالية = ٤	المجموع

- جدول إحصائي رقم (٢) للوحدات الدلالية للحيوان الأليف في نهج البلاغة-

٣. المبحث الثالث: الطيور والحشرات:

أ- الطيور:

١- الطيور الجارحة:

عدد التكرارات	اللفظ	التسلسل
١	الأُنُوق	١
١	العُقَاب	٢
التكرارات = ٢	عدد الوحدات الدلالية = ٢	المجموع

- جدول إحصائي (٣) للوحدات الدلالية للطيور الجارحة في نهج البلاغة-

٢- الطيور غير الجارحة:

عدد التكرارات	اللفظ	التسلسل
٣	الحَمَامَة	١
١	الخُفَّاش	٢
٢	الدَّيْكَ	٣
١	الشَّكِير	٤
٢	الطَّاوُوس	٥
١١	الطَّيْر	٦

٢	الغُرَاب	٧
٣	النَّعَامَة	٨
التكرارات = ٢٥	عدد الوحدات الدلالية = ٨	المجموع

- جدول إحصائي (٤) للوحدات الدلالية للطيور غير الجارحة في نهج البلاغة-

ب- الحشرات:

عدد التكرارات	اللفظ	التسلسل
٣	البَعُوض	١
٢	الجَرَاد	٢
٤	الذَر	٣
١	العَقْرَب	٤
١	العَنْكَبُوت	٥
١	القز	٦
٤	النمل	٧
١	الهمجة	٨
١	الوذحة (الخنفساء)	٩
٢	اليَعْسُوب (النحل)	١٠

المجموع	عدد الوحدات الدلالية = ٨	التكرارات = ١٩
---------	--------------------------	----------------

- جدول إحصائي (٥) للوحدات الدلالية للحشرات في نهج البلاغة -

الفصل الثاني: النبات:

١. المبحث الأول: الأشجار:

التسلسل	اللفظ	عدد التكرارات
١	السُّدْر	١
٢	الشَّجَر	١٧
٣	الصَّبِرِ	٢
٤	الضَّرَاءِ	١
٥	العَلَقَمِ	٤
٦	المُرَّارِ	١
٧	النَّخْلِ	٣
٨	الودية (الفسيلة من النخل)	١
٩	الورق	٥
١٠	الوسمة	١

المجموع	عدد الوحدات الدلالية = ١٠	التكرارات = ٣٦
---------	---------------------------	----------------

- جدول إحصائي (٦) للوحدات الدلالية للأشجار في نهج البلاغة -

٢. المبحث الثاني: النباتات:

التسلسل	اللفظ	عدد التكرارات
١	البرة	١
٢	البدر	١
٣	البقل	٢
٤	التمر	١
٥	الحسك	٢
٦	الحصيد	٣
٧	الرمان	٣
٨	الشعير	٢
٩	الشيح	١
١٠	العشب	٤
١١	الفاكهة	١
١٢	القمح	١

المجموع	عدد الوحدات الدلالية = ١٢	التكرارات = ٢٢
---------	---------------------------	----------------

- جدول إحصائي (٧) للوحدات الدلالية للنباتات في نهج البلاغة-

٣. المبحث الثالث: الأزهار:

التسلسل	اللفظ	عدد التكرارات
١	الأزَاهِير	٣
٢	الأقْحُوَان	١
المجموع	عدد الوحدات الدلالية = ٢	التكرارات = ٤

- جدول إحصائي (٨) للوحدات الدلالية للأزهار في نهج البلاغة-

الفصل الثالث: الأرض:

١. المبحث الأول: التراب والصخور والحجارة وما يتصل بها:

التسلسل	اللفظ	عدد التكرارات
١	بِسَاطٍ	١
٢	البِقَاع	٣
٣	التُّرَابِ	١١

٤	الثرى	٤
١	الجنادل	٥
١٦	الحَجَر	٦
٣	الصُّخُور	٧
٤	الطِّين	٨
٤٣ = التكرارات	عدد الوحدات الدلالية = ٨	المجموع

- جدول إحصائي رقم (٩) للوحدات الدلالية للتراب والصخور وما يتصل بها في نهج البلاغة -

٢. المبحث الثاني: السهل والوادي والطريق وما يتصل بها

عدد التكرارات	اللفظ	التسلسل
٧٣	السَّيْل	١
١٠	السَّهْل	٢
٧١	الطَّرِيق	٣
٨	الفِجَاج	٤
١	المسلك	٥
٧	الوَادِي	٦

المجموع	عدد الوحدات الدلالية = ٦	التكرارات = ١٧٠
---------	--------------------------	--------------------

- جدول إحصائي رقم (١٠) للوحدات الدلالية للسهل والوادي والطريق وما يتصل بها في نهج البلاغة -

٣. المبحث الثالث: الجبال والصحراء وما يتصل بها:

التسلسل	اللفظ	عدد التكرارات
١	الجَبَل	٢٦
٢	الراية	١
٣	الشناخيب	٢
٤	الصَّحْرَاء	١
٥	الفَلَاة	٣
٦	المفازة	١
المجموع	عدد الوحدات الدلالية = ٦	التكرارات = ٣٤

- جدول إحصائي رقم (١١) للوحدات الدلالية للجبال والصحراء وما يتصل بها في نهج البلاغة -

٤. المبحث الرابع: البحار وما يتصل بها:

عدد التكرارات	اللفظ	التسلسل
٢٥	الْبَحْرُ	١
٢	الجدول	٢
١٣	المَوْج	٣
٧	النهر	٤
التكرارات = ٤٧	عدد الوحدات الدلالية = ٤	المجموع

- جدول إحصائي رقم (١٢) للوحدات الدلالية للبحار وما يتصل بها في نهج البلاغة -

الفصل الرابع: السماء:

١. المبحث الأول: السماء والنجوم وما يتصل بها:

عدد التكرارات	اللفظ	التسلسل
١	الجَوُّ الْمَكْفُوفُ	١
٤	السَّقْفُ	٢
١٧	الشَّمْسُ	٣
٣	الفَلَكُ	٤

٤	الكَوَكب	٥
٩	النَّجم	٦
التكرارات = ٣٨	عدد الوحدات الدلالية = ٦	المجموع

- جدول إحصائي رقم (١٣) للوحدات الدلالية للبحار وما يتصل بها في نهج
البلاغة-

٢. المبحث الثاني: الأمطار والأهوية وما يتصل بها:

١- الأمطار وتضم كل من:

عدد التكرارات	اللفظ	التسلسل
٣	الديم	١
١٠	السَّحاب	٢
١	الغيوم	٣
٢	القرع	٤
٥	القَطْر	٥
٢	المُزن	٦
٥	المَطَر	٧

المجموع	عدد الوحدات الدلالية = ٧	التكرارات = ٢٨
---------	--------------------------	----------------

- جدول إحصائي رقم (١٤) للوحدات الدلالية للأمطار والأهوية وما يتصل بها في نهج البلاغة -

٢- الأهوية: وتضم كل من:

التسلسل	اللفظ	عدد التكرارات
١	الرَّيْح	١٨
٢	الهَوَاء	١٠
المجموع	عدد الوحدات الدلالية = ٢	التكرارات = ٢٨

- جدول إحصائي رقم (١٥) للوحدات الدلالية للأهوية وما يتصل بها في نهج البلاغة -

٣. المبحث الثالث: الظلمة والنور وما يتصل بها:

١- الألفاظ الدالة على الظلمة:

التسلسل	اللفظ	عدد التكرارات
١	الْحِنْدِس	٣
٢	الدجى	١

١	الدجنة	٣
٢	الديجور	٤
٢٩	الظُّلْمَة	٥
٤	الغسق	٦
٣٩	اللَّيْل	٧
٢	المساء	٨
التكرارات = ٧٨	عدد الوحدات الدلالية = ٨	المجموع

- جدول إحصائي رقم (١٦) للوحدات الدلالية للألفاظ الدالة على الظلمة وما يتصل بها في نهج البلاغة-

٢- الألفاظ الدالة على النور:

عدد التكرارات	اللفظ	التسلسل
٧	البَرْق	١
١	الفجر	٢
١١	الضِّيَاء	٣
٦٥	النار	٤
٣٨	النُّور	٥

التكرارات = ١٢٢	عدد الوحدات الدلالية = ٤	المجموع
--------------------	--------------------------	---------

- جدول إحصائي رقم (١٧) للوحدات الدلالية للألفاظ الدالة على النور وما يتصل بها في نهج البلاغة -



المصادر والمراجع



المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الإتيان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ): تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: الهيئة المصرية العامة للكتاب: د. ط، ١٣٩٤ هـ - ١٩٤٧ م.
- اختيار مصباح السالكين: ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ): تحقيق: محمد هادي الأميني: مجمع البحوث الإسلامية التابعة للأستانة الرضوية المقدسة، مشهد، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
- أساس البلاغة: محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): تحقيق الاستاذ عبد الرحيم محمود: دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.
- استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري: دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابو عمر سيف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ): تحقيق: علي محمد البجاوي: دار الجليل، بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار

الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ): دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د. ط، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- أعلام نهج البلاغة (من أعلام القرن السادس): علي بن ناصر السرخسي: تحقيق: عزيز الله العطاردي: مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - نشر عطاردي، ط ١، طهران، ١٤١٥.

- الألسنية: الدكتور نسيم عون: دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٥.

- الأمثال: ابو عبيد القاسم بن سلام الجمحي (ت ٢٢٤هـ): تحقيق: الدكتور: عبد المجيد قطامش: دار المأمون للتراث، ط ١، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

- إيضاح شواهد الإيضاح: أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي (ت. ق ٦هـ): تحقيق: الدكتور محمد بن حمود الدعجاني، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع: الخطيب القزويني جلال الدين محمد ابن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد (ت ٧٣٨هـ): وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

- البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب: الدكتور أحمد مختار عمر: دار الثقافة، بيروت، لبنان، د. ط، ١٩٧٢م.

- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ): تحقيق صدقي محمد جميل: دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ):

تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م.

- بدائع الفوائد: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قَيْم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١): تحقيق: علي بن محمد العمران: دار عالم الفوائد، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها: عبد الرحمن بن حسن حَبَّكَّة الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ): دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: محمد تقي التستري (ت ١٤١٥هـ): دار أمير كبير للنشر، طهران، ط ١، ١٤١٨هـ.

- البيان في روائع القرآن دراسة لغوية واسلوبية للنص القرآني: الدكتور تمام حسان: عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط ٢، ٢٠٠٣م.

- البيان والتبيين: الجاحظ (٢٥٥هـ): الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٧، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

- تاج العروس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ): تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، د. ط، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م.

- تاريخ النبات عند العرب: أحمد عيسى: كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، د. ط، د. ت.

- التصور اللغوي عند الأصوليين: د. أحمد عبد الغفار، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط ١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

- التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم: عودة خليل أبو

عُودَة: مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط ١، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م.

- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ): تحقيق أسعد محمد الطيب: مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط ٣، ١٤١٩ هـ.

- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠ - ٧٧٤هـ): تحقيق سامي بن محمد سلامة: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م.

- تفسير الميزان: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي: صححه وأشرف على طباعته: الشيخ حسين الاعلمي: منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط ١، ١٩٩٧ م.

- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء: ابو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ): تحقيق الدكتور عزة حسن: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط ٢، ١٩٩٦ م.

- تهذيب الأحكام: الشيخ ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ): ضبطه وصححه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: محمد جعفر شمس الدين: دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، د. ط، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م.

- تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (٢٨٢هـ - ٣٧٠هـ): تحقيق عبد السلام هارون وآخرون: الدار المصرية للتأليف والنشر، مطابع سجل العرب، القاهرة، د. ط، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.

- تمام نهج البلاغة: السيد صادق الموسوي: تحقيق: فريد السيد: مؤسسة الإمام صاحب الزمان (عج)، ط ١، ١٤١٨ هـ.

- التواصل اللساني والشعرية مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكسون:
الطاهر بو مزبر: الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٧.
- توضيح نهج البلاغة: السيد محمد الحسيني الشيرازي: دار تراث الشيعة، طهران، د. ط، د. ت.
- الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه: محمود بن عبد الرحيم صافي (ت ١٣٧٦هـ): دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الايمان، بيروت، لبنان، ط ٤، ١٤١٨هـ.
- جمهرة الأمثال: ابو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ):
دار الفكر، بيروت، د. ط، د. ت.
- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ): تحقيق
رمزي منير بعلبكي: دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
- الحجة للقراء السبعة: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو
علي (ت ٣٧٧هـ): بدر الدين قهوجي، بشير جويجايي: راجعه ودققه: عبد العزيز
رباح، أحمد يوسف الدقاق: دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ،
١٩٩٣م.
- حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة: قطب الدين محمد بن الحسين
البيهقي الكيذري: عزيز الله العطاردي: مؤسسة نهج البلاغة - عطاردي، قم، ط ١،
١٤١٦هـ.
- حياة الحيوان الكبرى: محمد بن موسى بن عيسى الدميري (٧٤٢ -
٨٠٨هـ): تهذيب وتصنيف أسعد الفارس: دار طلاس للدراسات والترجمة
والنشر، دمشق، د. ط، ١٩٩٢.

- الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠ - ٢٥٥هـ): بتحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون: شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٢، ١٣٥٨هـ - ١٩٦٥م.
- الحيوان في القرآن الكريم: الدكتور زغلول راغب محمد النجار: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ): تحقيق: محمد علي النجار: دار الكتب المصرية، القاهرة، المكتبة العلمية، د. ط، د. ت.
- دراسة أدبية لنصوص من القرآن: محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، لبنان، د. ط، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- الدر المصون في علم الكتاب المكنون: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ): تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط: دار القلم، دمشق، د. ط، د. ت.
- الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ): دار الفكر، بيروت، د. ط، د. ت.
- الدر الدلالي في خصائص ابن جني: الدكتور أحمد سليمان ياقوت: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط١، ١٩٨٩.
- دروس في علم الاصول (الحلقة الأولى): السيد محمد باقر الصدر: دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط١، ١٩٧٨م.
- دلائل الإعجاز: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي أبو بكر (ت ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ): قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر: مكتبة الخانجي - مطبعة المدني د. ت.

- الدلالة السياقية عند اللغويين: أ.د. عواطف كنوش المصطفى: دار السياب للطباعة والنشر، لندن، ط١، ٢٠٠٧.
- الدلالة اللغوية عند العرب: الدكتور عبد الكريم مجاهد، دار الضياء، عمّان، د. ط، ١٩٨٥.
- الدلالة والنحو: الدكتور صلاح الدين صالح حسنين: توزيع مكتبة الآداب، ط١، د. ت.
- دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان: ترجمه وقدم له وعلق عليه: الدكتور كمال محمد بشر: مكتبة الشباب، د. ط، ١٩٧٥.
- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس: شرح وتعليق الدكتور محمد حسين: مكتبة الآداب بالجهايميز، المطبعة النموذجية، د. ط، د. ت.
- ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي: بشر بن أبي خازم الأسدي: تحقيق: عزة حسن: مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، د. ط، ١٣٧٩هـ، ١٩٦٠م.
- ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت (١٨٦ - ٢٤٦هـ): تحقيق: الدكتور: نعمان محمد أمين طه: الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- ديوان زهير بن أبي سلمى: زهير بن أبي سلمى: تحقيق: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- ديوان طفيل الغنوي شرح الأصمعي ديوان: تحقيق: حسان فلاح أوغلي: دار صادر، ط١، ١٩٩٧م.
- ديوان القطامي تحقيق: د. إبراهيم السامرائي - أحمد مطلوب: دار الثقافة،

بيروت، لبنان، ط١، ١٩٦٠م.

- ديوان النابغة الذبياني: النابغة الذبياني: تحقيق عباس عبد الساتر: دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

- زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي: دار ابن حزم (٥٠٨ - ٥٩٧هـ) - المكتب الإسلامي، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

- سر صناعة الإعراب: إمام العربية أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ): دراسة وتحقيق: الدكتور حسن هندراوي: دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السُّجِسْتَانِي (ت ٢٧٥هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي: دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

- شرح نهج البلاغة: سيد عباس الموسوي: دار الرسول الأكرم، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

- شرح نهج البلاغة: عز الدين ابو حامد ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ): تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم: مكتبة آية الله المرعشي النجفي العامة، قم، ط١، ١٣٧٨هـ.

- شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار: المجلسي: تحقيق: مرتضى حاج علي فرد: مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ط١، ١٤٠هـ.

- شرح نهج البلاغة: ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٨٩هـ)، دار

الثقلين، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

- شعب الايمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُو جردى الخراساني أبو بكر البيهقي (٤٥٨ هـ): حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية، بومباي، الهند، ط ١، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٣ م.

- شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل: أبو حامد الغزالي محمد بن محمد بن محمد الطوسي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ): تحقيق: الدكتور حمد الكبيسي: مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣ هـ): تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار: دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م.

- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر: دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢ هـ.

- صحيح مسلم: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ): تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط ١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.

- الصحيفة السجادية الكاملة: الإمام زين العابدين عليه السلام (ت ٩٤ هـ): تحقيق: حاج عبد الرحيم أفشاري زنجاني: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، د. ط، ١٤٠٤ هـ. الطبعة في الشعر الجاهلي: نوري حمودي القيسي: ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط ١، ١٣٩٠ هـ، ١٩٧٠ م.

- الطبعة في القرآن: الدكتور كاصد ياسر الزبيدي: دار الرشيد للطباعة: د.

ط: ١٩٨٠.

- الطير ودلالته في البنية الفنية والموضوعية للشعر العربي قبل الإسلام: د. كامل عبد ربه حمدان الجبوري: ، دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠١٠.

- علم الدلالة: أحمد مختار عمر: عالم الكتب، القاهرة، مصر، د. ط، ١٩٩٨ م.
- علم الدلالة: أف آر بالمر: ترجمة مجيد الماشطة: مطبعة العمال المركزية، بغداد، العراق، د. ط، ١٩٨٥.

- علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي دراسة: منقور عبد الجليل: اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د. ط، ٢٠٠١ م.

- علم الدلالة دراسةً وتطبيقاً: الدكتورة نور الهدى لوشن: منشورات جامعة قازيونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٥.

- علم الدلالة عند العرب: فخر الدين الرازي نموذجاً: محيي الدين محاسب: دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.

- علم اللغة نشأته وتطوره: الدكتور محمود جاد الرب: دار المعارف، ط١، ١٩٨٥ م.

- العمدة: ابن رشيق القيرواني: حققه وفصله وعلق على حواشيه محي الدين: دار الجيل، ط٥، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

- غريب القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ): تحقيق أحمد صقر: دار الكتب العلمية، د. ط، ١٣٩٨ هـ، ١٩٧٨ م.

- الفروق اللغوية: ابو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت نحو ٣٩٥ هـ): حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع،

القاهرة - مصر، د. ط، د. ت.

- فقه اللغة وسر العربية: لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ): قرأه وقدم له وعلق عليه: خالد فهمي: تصدير: الدكتور: رمضان عبد التواب: الناشر مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القاهرة، ط ١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

- في البحث الصوتي عند العرب: الدكتور خليل إبراهيم العطية: منشورات دار الجاحظ، بغداد، د. ط، ١٩٨٣.

- فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ.

- قاموس القرآن أو اصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: للفقهاء المفسر الجام الحسين بن محمد الدامغاني: حققه وأكملاه وأصلحه: عبد العزيز سيد الأهل: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، نيسان (ابريل)، ١٩٨٣.

- قضايا الشعرية: رومان ياكسون: ترجمة محمد الولي ومبارك حنون: دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ١٩٨٨م.

- الكافي: الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ): منشورات الفجر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

- الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت ١٨٠هـ): تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- كتاب الأنواء في مواسم العرب: أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ): منشورات: دار الشؤون الثقافية العامة: وزارة الثقافة والاعلام العراقية، بغداد، د. ط، ١٩٨٨م.

- كتاب صناجة الطرب في تقدمات العرب: نوفل أفندي بن نعمة الله بن جرجس نوفل الطرابلسي: طبع في مطبعة الامريكان في بيروت، د. ط، د. ت.
- كتاب العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ - ١٧٥هـ): تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ط، د. ت.
- الكليات: أبو البقاء أيوب الكفوي: تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- لسان العرب: للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت.
- اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة: الدكتور: نعمان بوقرة: عالم الكتب الحديث، إربد، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: محمد خطابي: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ٢، ٢٠٠٦.
- اللغة: ج. فندريس: تعريب: عبد الحميد الدواخلي - محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، د. ط، ١٩٥٠.
- اللغة في الدرس البلاغي: أ.د. عدنان عبد الكريم جمعة: دار السياب للطباعة والنشر، لندن، ط ١، ٢٠٠٨.
- اللغة العربية مبناها ومعناها: الدكتور تمام حسان: دار الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، د. ط، ١٩٩٤م.
- اللغة والمعنى والسياق: جون لاينز: ترجمة د. عباس صادق الوهاب: مراجعة: د. يوثيل عزيز: دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والأعلام،

بغداد، العراق، ط ١، ١٩٨٧ م.

- مبادئ اللسانيات: الدكتور أحمد محمد قدور: دار الفكر، دمشق، ط ٣، ٢٠٠٨.

- المجازات النبوية: الشريف الرضي الشريف الرضي (٤٠٦هـ): تحقيق وشرح فضيلة الدكتور طه محمد الزيني: مكتبة بصيرتي، قم، د. ط، د. ت.

- مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري (٥١٨هـ): تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت.

- المحكم والمحيط الاعظم في اللغة: علي بن اسماعيل بن سيدة (٤٥٨هـ): تحقيق: عبد الستار أحمد فرّاج، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ط ١، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨ م.

- المحيط في اللغة: الصاحب، اسماعيل بن عبّاد (٣٢٦ - ٣٨٥هـ): تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين: عالم الكتب، ط ١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م.

- المخصص: علي بن إسماعيل أبو الحسن ابن سيده (٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت.

- مدخل الى علم الاسلوب: شكري محمد عياد: المشروع للطباعة والتصوير: ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢ م - ط ٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م.

- مدخل الى علم اللغة: د. محمود فهمي حجازي: دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، د. ط، د. ت.

- مستدرك سفينة البحار: العلامة البحّثة الشيخ علي النهازي الشاهرودي (١٤٠٥هـ): بتحقيق وتصحيح الشيخ حسن بن علي النهازي: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٨هـ، د. ط، ١٤١٨هـ.

- المستدرک علی الصحیحین: للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا: دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

- مسند أحمد: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ): تحقيق: أحمد محمد شاكر: دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

- مشكلة الهمزة العربية: الدكتور رمضان عبد التواب: الناشر مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

- المصايد والمطارد: ابو الفتح محمود بن الحسن الكاتب المعروف بكشاجم ت (بعد ٣٥٨هـ): حققه وعلق عليه الدكتور أسعد طلس مطبعة دار المعرفة، بغداد، د. ت.

- المعاني الكبير في أبيات المعاني: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ): تحقيق: المستشرق د. سالم الكرنكوي (ت ١٣٧٣هـ)، عبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني، مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، الهند، ط١، ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م.

- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية: الدكتور جميل صليبا: دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د. ط، ١٩٨٢.

- معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عمر: عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

- معجم المصطلحات الأدبية: إبراهيم فتحي: التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، تونس، د. ط، ١٩٨٦.

- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبه، كامل المهندس: مكتبة لبنان، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤.
- معجم اللغة واللسانيات: هارتمان وستورك: ترجمة: الدكتور توفيق عزيز عبد الله - مروان محمد حسن - أوس عادل عبد الوهاب، وزارة الثقافة، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، العراق، ط ١، ٢٠١٢.
- معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ): تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون: دار الفكر، القاهرة، د. ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إخراج: إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، دار الدعوة، إستانبول، ١٩٨٩م.
- المعقول واللامعقول في التراث العربي: د. زكي نجيب محمود: دار الشروق: ط ٣، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، ط ٤، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- المغازي: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله الواقدي: (٢٠٧هـ): تحقيق: مارسدن جونز: دار الأعلمي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٩، ١٩٨٩.
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (٧٦١هـ): تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله: دار الفكر، دمشق، ط ٦، ١٩٨٥م.
- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ): دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.

- مفردات ألفاظ القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ): دار القلم، دمشق، د. ط، د. ت.
- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ): تحقيق صفوان عدنان الداودي: دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.
- مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية: دنيس كوش: ترجمة: د. منير السعيداني: مراجعة: د. الطاهر لهيب: المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط ١، آذار - مارس ٢٠٠٧.
- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب: الدكتور محمد محمد يونس علي: دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤.
- من تراث العرب في المعجم والدلالة: د. عبد القادر سلامي: دار الكتاب الجامعي، العين الإمارات، ط ١٤٣٤، ١هـ - ٢٠١٤م.
- من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن الحسين ابن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ): أشرف على تصحيحه طبعه والتعليق عليه الشيخ حسين الاعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- المنجّد في اللغة (أقدم معجم شامل للمشارك اللفظي): علي بن الحسن الهنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب ب(كراع النمل) (ت بعد ٣٠٩هـ): تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، دكتور ضاحي عبد الباقي: عالم الكتب، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٨م.
- المنزِع البديع في تجنيس أساليب البديع: تأليف أبي محمد القاسم الأنصاري

السجلهاسي (من نقاد القرن الثامن الهجري): تقديم وتحقيق علال الغازي: مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ط ١، ١٤٠١ - ١٩٨٠.

- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣هـ): تحقيق السيد عبد اللطيف الكوهكمري: مكتبة آية الله المرعشي النجفي العامة، قم، د. ط، ١٤٠٦هـ.

- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي: تحقيق السيد إبراهيم الميانجي: المكتبة الاسلامية، طهران، ط ٤، ١٤٠٠هـ.

- الموافقات في أصول الشريعة: تصنيف العلامة المحقق أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت ٧٩٠هـ): تقديم: بكر بن عبد الله ابو زيد: ضبط نصه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان: دار ابن عفان، السعودية، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

- النسق القرآني: الدكتور محمد ديب الجاجي: دار القبلة للثقافة، مؤسسة علوم القرآن، المملكة السعودية، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

- نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية: الدكتور عبد النعيم خليل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، ط ١، ٢٠٠٧.

- نفحات الولاية: آية الله العظمى مكارم الشيرازي: اعداد: عبد الرحيم الحمزاني، سليمان زاده، دار النشر الإمام علي عليه السلام، قم، إيران، ط ٣، ١٤٣٠هـ.

- النقد الأدبي عند الإغريق والرومان: الدكتور عبد المعطي الشعراوي: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د. ط، د. ت.

- نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول، ومعه سلم الوصول شرح نهاية

السول: للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ): الشيخ الإمام جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي الشافعي (ت ٧٧٢) - محمد بخيت المطيعي: عالم الكتب، د. ط، د. ت.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الجزري - ابن الأثير (٥٤٤هـ - ٦٠٦هـ): تحقيق: محمود محمد الطناحي، طاهر أحمد الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.

- نهج البلاغة: الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية: الدكتور صبحي الصالح: دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٤، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١هـ): حققه: الدكتور إحسان عباس: دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

البحوث والمقالات والدوريات

- أسماء الخليل عند ابن الكلبي (بحث): د. نصر الدين صالح: مجلة علوم اللغة المجلد الاول العدد الاول ١٩٩٨.

- ألفاظ النبات في نهج البلاغة دراسة في المعجم والدلالة (بحث): م. كريمة نوماس المدني: مجلة أهل البيت: العدد العاشر، رجب ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

- التكون التاريخي لاصطلاحات البيئة الطبيعية والفلك (بحث): الدكتور يحيى عبد الرؤوف جبر: مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٤٦، كانون الثاني، السنة الثامنة عشرة، ١٩٩٤.

- الحقول الدلالية لأسماء الحيوان في نهج البلاغة (بحث): أ.د. عبد الكاظم

- محسن الياسري، بحث ضمن كتاب دراسات في اللغة والنحو، د. ط، د. ت.
- الذئب والقطا في لامية العرب (بحث): د. عبد الجليل صرصور: مجلة جامعة الاقصى، العدد الأول، المجلد التاسع، ذو القعدة ١٤٢٥ هـ - كانون الثاني ٢٠٠٥ م.
- ضمائر العربية: المفهوم والوظيفة (بحث): الاستاذة دندوقة فوزية: مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية: العدد السادس: ٢٠١٠.
- اللغة ونظرية السياق - علي عزت: (مقال) في مجلة الفكر المعاصر: العدد ٧٦ يوليو - ١٩٧١.
- الفروق اللغوية بين بعض الألفاظ المتشابهة من خلال القرآن الكريم (مقالة): د. حسناء القنيعير، النسخة الالكترونية من صحيفة الرياض اليومية الصادرة من مؤسسة اليمامة، في الاحد ١٥ جمادى الاخرة ١٤٣٣ هـ، الموقع الالكتروني: (<http://www.alriyadh.com/733337>).
- منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب العين (بحث): الدكتور أحمد نصيف الجنابي: المعجمية العربية أبحاث الندوة التي عقدها المجمع العلمي العراقي (١٥ - ١٦ شعبان ١٤١٢ هـ، ١٨ - ١٩ شباط ١٩٩٢ م) مطبعة المجمع العراقي، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م.
- المعنى الجمالي بين التعويض النحوي والإضمار الاستعاري (بحث): د. سهى فتحي نعجة. مجلة الجامعة الإسلامية/ غزة، العدد الثاني، المجلد الثاني والعشرون، ١٩١٤.
- نظرية السياق عند فيرث ومدى تأثيرها بنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني: د. حازم فارس ابو شارب: بحث الكتروني، الموقع الالكتروني:

(<http://www.liilas.com/vb3/t171903.html>).

الأطاريح والرسائل الجامعية

- ألفاظ الحياة الاجتماعية في نهج البلاغة: حسام عدنان رحيم الياسري: (أطروحة دكتوراة): كلية الآداب، جامعة الكوفة، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٢م.
- السماء والأرض في القرآن الكريم: دراسة دلالية للألفاظ والتراكيب (رسالة ماجستير): أحمد صالح حميد، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- صورة السماء والأرض في القرآن (رسالة ماجستير): نوال علي كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، ٢٠١١م.
- الصورة النباتية في الأسلوب القرآني: أحمد عبدالله عيسى، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

المحتويات

٩	مقدمة المؤسسة
١١	المقدمة
١٩	التمهيد
٢١	السياق
٢١	السِّيق لغةً
٢٥	السِّيق اصطلاحاً
٢٧	عناصر السياق
٣٠	أنواع السياق
٣٣	نشأة الدراسات السياقية وتطورها
٣٤	١- السياق عند الهنود
٣٦	٢- السياق عند العرب
٣٧	أ- السياق عند الأصوليين
٤٠	ب- السياق عند النحاة
٤٣	ت- السياق عند البلاغيين
٤٤	٣- السياق عند الغربيين

- ٥١ الباب الأول ألفاظ الطبيعة الحية في نهج البلاغة
- ٥٣ الفصل الأول أثر السياق في الألفاظ الدالة على الحيوان
- ٥٥ توطئة
- ٥٩ المبحث الأول: الحيوان المفترس
- ٥٩ ١- الأسد - الضَّرغام - اللَّيْث
- ٦٤ ٢- جَمَارِ الْوَحْشِ (العانة)
- ٦٦ ٣- الْخُوتِ (الحيتان)
- ٦٧ ٤- الْحَيَّة
- ٧٠ ٥- الْخَنْزِيرِ
- ٧٢ ٦- الذَّبِّ
- ٧٤ ٧- السَّبْعِ
- ٧٦ ٨- الضَّبِّ
- ٧٩ ٩- الضَّبْعِ
- ٨١ ١٠- الْفِيلِ
- ٨١ ١١- الْكَلْبِ
- ٨٢ ١٢- الْوَحْشِ
- ٨٥ المبحث الثاني: الحيوان الأليف

٨٥	١- الإبل وما يتصل بها
٩١	٢- الخيل والحَمِير وما يتصل بها
٩٣	٣- الثور والغنم والماعز وما يتصل بها
١٠١	المبحث الثالث الطيور والحشرات
١٠١	أ- الطيور
١٠١	١- الطيور الجارحة
١٠١	أ- الأتوق
١٠٢	ب- العقاب
١٠٣	٢- الطيور غير الجارحة
١٠٣	أ- الحمامة
١٠٥	ب- الخفاش
١٠٥	ت- الديك
١٠٦	ث- الشَّكِير
١٠٧	ج- الطَّاووس
١٠٩	ح- الطَّيْر
١١٠	خ- الغراب
١١١	د- النعام

- ١١٢ ب- الحشرات
 ١١٢ ١- البَعُوضُ
 ١١٣ ٢- الجَرَادُ
 ١١٥ ٣- العَقْرَبُ
 ١١٦ ٤- العَنْكَبُوتُ
 ١١٨ ٥- النَّمْلُ
 ١٢١ ٦- اليَعْسُوبُ

١٢٣ الفصل الثاني أثر السِّيَاقِ فِي الْأَلْفَاظِ الدَّالَّةِ عَلَى الْنبَاتِ

١٢٥ توطئة

١٣١ المبحث الأول: الأشجار

- ١٣١ ١- السُّدْرُ
 ١٣٣ ٢- الشَّجَرُ
 ١٣٦ ٣- الصَّبْرُ
 ١٣٧ ٤- الضَّرَاءُ
 ١٣٨ ٥- العَلَقَمُ
 ١٤١ ٦- المُرَارُ
 ١٤٢ ٧- النَّخْلُ

١٤٥	المبحث الثاني: النباتات
١٤٥	١- البَدْر
١٤٦	٢- البَقْل
١٤٨	٣- الحَسَك
١٤٩	٤- الحَصِيد
١٥١	٥- الرِيْحَان
١٥٣	٦- الشَّيْح
١٥٥	٧- العُشْب
١٥٩	المبحث الثالث: الأزهار
١٥٩	١- الأَرَاهِير
١٦٠	٢- الأَقْحُوَان
١٦٣	الباب الثاني ألفاظ الطبيعة غير الحية في نهج البلاغة
١٦٥	الفصل الأول أثر السياق في الألفاظ الدالة على الأرض
١٦٧	توطئة
١٧٥	المبحث الأول: التراب والصخور والحجارة وما يتصل بها
١٧٥	١- بَسَاط
١٧٩	٢- البِقَاع

- ١٨١ ٣- التُّرَابِ
- ١٨٣ ٤- الْحَجَرِ
- ١٨٥ ٥- الصُّخُورِ
- ١٨٦ ٦- الطِّينِ
- ١٩١ المبحث الثاني: السهل والوادي والطريق وما يتصل بها
- ١٩١ ١- السَّبِيلِ
- ١٩٤ ٢- السَّهْلِ
- ١٩٦ ٣- الطَّرِيقِ
- ١٩٩ ٤- الْفِجَاجِ
- ٢٠٠ ٥- الْوَادِيِ
- ٢٠٣ المبحث الثالث: الجبال والصحراء وما يتصل بها
- ٢٠٣ ١- الْجَبَلِ
- ٢٠٥ ٢- الصَّحْرَاءِ وَالْفَلَاةِ
- ٢٠٩ المبحث الرابع: البحار وما يتصل بها
- ٢٠٩ ١- الْبَحْرِ
- ٢١١ ٢- الْمَوْجِ
- ٢١٣ الفصل الثاني: أثر السِّيَاقِ فِي الْأَلْفَاظِ الدَّالَّةِ عَلَى السَّمَاءِ

٢١٥

توطئة

٢٢١

المبحث الأول: السماء والنجوم وما يتصل بها

٢٢١

١- السَّقْف - الجَو المَكْفُوف - أَطْبَاق السَّمَاء

٢٢١

أ- السَّقْف

٢٢١

ب- الجَو المَكْفُوف

٢٢٦

٢- الشَّمْس

٢٢٨

٣- الفَلَك والرَّقِيم

٢٢٩

٤- الكَوَكَب والنَّجْم

٢٣٥

المبحث الثاني: الأمطار والأهوية وما يتصل بها

٢٣٥

١- الأمطار

٢٣٥

أ- القَطْر

٢٣٦

ب- المَطَر

٢٣٨

ج- السَّحَاب والمُزْن

٢٤١

٢- الأهوية

٢٤١

أ- الهَوَاء

٢٤٣

ب- الرِّيح

٢٤٥

المبحث الثالث: الظلمة والنور وما يتصل بها

- ٢٤٥ ١- الألفاظ الدالة على الظلمة
- ٢٤٥ أ- الحنْدِس
- ٢٤٦ ب- الظُّلْمَة
- ٢٤٧ ت- اللَّيْل
- ٢٥٠ ٢- الألفاظ الدالة على النُّور
- ٢٥٠ أ- البرِّق
- ٢٥١ ب- الضِّيَاء والنُّور
- ٢٥٧ الخاتمة
- ٢٦٥ توصيات
- ٢٦٧ الملاحق
- ٢٨٣ المصادر والمراجع
- ٢٨٥ القرآن الكريم
- ٣٠٢ البحوث والمقالات والدوريات
- ٣٠٤ الأطاريح والرسائل الجامعية